

الصلبيون

وَأَسْمَاعِيلِيَّةِ الشَّامِ فِي عَصْرِ الْحُرُوبِ الصَّلْبِيَّةِ
(القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري)

دكتور

أسماعيل زكي زيد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



الهيئة العامة المصرية للكتاب

فرع الإسكندرية



الصَّالِبِيُّونَ

وإسماعيلية السام في عصر الحروب الصليبية

(القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري)

دكتور

السام زلمي زبير

مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية التربية - جامعة طنطا

تقديم

دكتور فوزي فسيم يوسف

استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



الهيئة المشرفة والناطقة للكتاب
خبر الامانة

١٩٨٠



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَمَا أُتِیْتُمْ مِنْ عَمَلٍ
إِلَّا قَلِیْلًا



محتویات الكتاب

رقم الصفحة

۱ - ۱۱

۱۲ - ۱۳

تقديم الكتاب

مقدمة المؤلف

تصدير

عرض وتحليل لمصادر الكتاب

المصادر الاوروية المعاصرة - المصادر العربية المعاصرة

المراجع الثانوية الأوروية - المراجع الثانوية العربية

الفصل الأول

الطائفة الاسماعيلية

۱۰۸ - ۸۸

نشأتها ونظمها وقلاعها وشيوخها

نشأة المذهب الشيعي وفرقه - ظهور الطائفة الاسماعيلية -

سفر ابن الصباح إلى مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله -

تكوين أول دولة اسماعيلية في فارس - انقسام الطائفة -

نظم الاسماعيلية ومراتب الدعوة - جذة الحشيشية - اسلوب

القدارية في الاهتيلات - وسائل دعاتهم - طرق اجتذاب

الناس لاهتاق المذهب - عقائد الاسماعيلية - تعدد اسمائهم -

قلاع الدعوة ببلاد الشام - شيخ الجبل في المصادر الاوروية

والعريية ، وأهميه الدور الذي قام به في الصراع الصليبي

الاسلامي .

رلم الملصقة

الفصل الثاني أوروبا وأشرق الأذن

٩٠٠ - ١٦٨ في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) القديس الاصلاحية في الشرق الأذن : للباسيون في بغداد ، الخاطميون في مصر ، السلاجقة في آسيا الصغرى - الحرب الصليبية الأولى وأثرها - أحوال اللاتين في الشرق وحروب القرن الثاني عشر الصليبية - أحوال الغرب الأوروبي - الامبراطورية البيزنطية - ظهور الحشيشية في الشام - اتصالهم بالملك رضوان - استيلاءهم على أقاليمه ، ثم تسليمهم هذا الحصن إلى الصليبيين - كراهية الملك رضوان للاسماعيلية - مذبحه حاب ، والفضاء على الاسماعيلية فيها سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م - استيلاء الاسماعيلية على شيزر وانياس - مذبحه دمشق سنة ٥٧٣ هـ / ١١٢٩ م - اتصال الاسماعيلية بالصليبيين لتسليمهم بانياس - اغتيال تاج الملوك بوري - راشد الدين سنان أول شيخ جبل في الشام .

الفصل الثالث

١٦٩ - ٧١٥ موقف الحشيشية من المسلمين السنيين

المخطوط العريضة لسياسة اسماعيلية الشام حبال كل من الصليبيين والسنيين - استيلاء نور الدين محمود على مصر وأهية ذلك - نهاية المذهب الشيعي بمصر وموقف سنان -

رقم الصفحة

مؤامرة عمارة اليمنى - اتصال المتآمرين بالصليبيين وزعيم
الحشيشية في الشام - قضاء صلاح الدين على المؤامرة -
موقف اسماعيلية الشام من بعض الفدة المسلمين وأثر ذلك على
الصليبيين - اغتيال مودود وآقسنر - الاسماعيلية ونور الدين
محمود - تحليل مواقف كل من الصليبيين والاسماعيلية وصلاح
الدين حيال الآخر .

الفصل الرابع

موقف الحشيشية من القوى الصليبية في الشام ٢١٧ - ٢٦١

الخطوط العربية لسياسة الصليبيين حيا ، الحشيشية في الشام -
العداوة بفتاوى زعماء الصليبيين: مقتل ريموند الثاني صاحب
طرابلس - مقتل كونراد دي مونتفرات صاحب صور -
مقتل ريموند بن يوهيموند الرابع صاحب انطاكية
وطرابلس - مقتل فيليب دي مونتفورت صاحب صور -
محاولة اغتيال الملك ادوارد الأول ملك إنجلترا - تحالف
الاسماعيلية مع الصليبيين لمواجهة نور الدين محمود - سفارة
سنان إلى الملك هموري الأول - اغتيال فرسان المبدل لارسل
الاسماعيل وآثاره - مانشة موضوع تفاق شيخ الجبل - ل
بالديانة المسيحية - زيارة هنري صاحب شامانيا لقلع الدهة
ودلائها - أوجه الشبه بين كل من الجماليات التجارية الإيطالية
والجماعات الرهبانية العسكرية من ناحية وبين اسماعيلية الشام
من ناحية أخرى .

الفصل الخامس

تقييم العلاقات الصليبية الاسماعيلية ٢٩٣ - ٢٨٧

اختلاط تاريخ اسماعيلية الشام بتاريخ كل من الصليبيين
والسنيين وأثر ذلك - نخوف كل من الفرنجة والسنيين من
الحشيشية وتناجسه - تحليل المواقف والسياسات التي اتخذتها
الأطراف المتصارعة ، ومدى الالتزام بها عند التطبيق العملي -
أثر الخلاف المذهبي بين المسلمين على الوجود الصليبي في
الأراضي المقدسة ، ومدى ما حققه الفرنجة من وراء ذلك -
مصير الاتصالات الصليبية الاسماعيلية - الموقف لو لم يظهر
الحشيشية على مسرح الأحداث وقتذاك - الموقف لو ظهرت
طائفة الاسماعيلية دون وجود صراع صليبي اسلامي - زوال
دولة الحشيشية في الشام وأثره على الصراع الصليبي الإسلامي -
أسباب فشل اسماعيلية الشام في تحقيق أهدافهم في المنطقة -
أهمية المصادر الأدبية في الكشف عن طبيعة العلاقات الصليبية
الاسماعيلية .

٢٨٩ - ٣١٢

الخاتمة

أهم الاستنتاجات التي أمكن الوصول إليها - أهم المشاكل
والقضايا التي عولجت في البحث - الجديد في الموضوع -
العلاقات الصليبية الاسماعيلية في القرن الثالث عشر الميلادي
(القرن السابع الهجري) - نهاية اسماعيلية الشام على يد
الظاهر بيبرس .

٣٧٤-٣١٤

الملاحق

الملحق رقم (١) :

استيلاء اسماعيلية الشام على حصن أرامية ، ثم أخذ الفرنجة له .

ملحق رقم (٢) :

زيارة الملك الصليبي هنري صاحب شامبانيا للاراضي الاسماعيلية

ملحق رقم (٣) :

بعثة شيخ الجبل إلى الملك الصايبي عموري الأول وتفاوضهما

من أجل إعفاء اسماعيلية الشام من الجزية المفروضة عليهم .

المصادر والمراجع

٣٥١ - ٣٢٦

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في حواشي الرسالة - مجموعات

الحروب الصليبية - المخطوطات العربية - المصادر الأصلية

الاوروپية - المصادر الأصلية العربية - المراجع الثانوية

الاوروپية - المراجع الثانوية العربية والمعرية - دوائر

المعارف .

الخرائط واللوحات

خريطة رقم (١) :

٩٤

قلاع الدعوة بالشام في القرن الثاني عشر الميلادي

خريطة رقم (٢) :

١١٨

شمال الشام في القرن الثاني عشر الميلادي

خريطة رقم (٣) :

١٢٠

جنوب الشام في القرن الثاني عشر الميلادي

- لخريطة رقم (٤) :
- ١٢٧ غرب أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي
- لوحة رقم (١) :
- ٦٧ منظر لشيخ الجبل
- لوحة رقم (٢) :
- ٩٧ منظر للمبنى القديم لقاعة المرقب
- لوحة رقم (٣) :
- ٢٠٨ منظر قديم لقاعة مصيف

تقديم

يسرني أن أقدم إلى قراء العربية باحثنا من الطراز الأول ، هو الدكتور أسامة زكي زيد ، مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية بجامعة طنطا . وهو أحد أبناء كاية الآداب بجامعة الاسكندرية . تخرج من قسم التاريخ بها في يونيو عام ١٩٦٧ . ثم التحق بالسة التمهيدية الماجستير (شعبة العصور الوسطى) في العام الجامعي ١٩٦٨/١٩٦٩ ، حيث نجح بتقدير « جيد جدا » . وحصل سنة ١٩٧٤ على درجة الماجستير في الآداب في حقل التاريخ الوسيط بتقدير « جيد جدا » ، في موضوع « العلاقات بين الصليبيين وسماعيلية الشام في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) » . وواصل دراسته الأكاديمية إلى أن حصل على درجة الدكتوراه في تاريخ العصور الوسطى عام ١٩٧٧ بمرتبة « الشرف الأولى » ، في موضوع « بارونية صيدا وعلاقتها السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى في عصر الحروب الصليبية » .

كما سبق يتضح أن الدكتور أسامة زيد أمضى قرابة خمسة عشر عاما متصلة في البحث والتحصيل إلى أن حصل على درجة الدكتوراه . وقد عرفته خلالها عن قرب شابا ممتازا علما وخلقا ، عندما تعلمت على في مرحلة الليسانس ، وأثناء إشرافي على رسالته للماجستير والدكتوراه . وكان طموال سني دراسته يميز بتفوقه الواضح ، ونشاطه العلمي ، ونايرته الدؤوية على العلم والتحصيل ، فضلا عن الحاسة التاريخية الأصيلة التي يجمع بها ، والتي تبدو واضحة في هذه الدراسة الحادة عن العلاقات بين الصليبيين وسماعيلية الشام في فترة من أدق فترات الصراع الصليبي الإسلامي فوق رقعة الشرق الأدنى .

وهذه الدراسة تنقسم إلى فصول خمسة ، تسبقها مقدمة وعرض تحليلي

لأم مصادر البحث ومراجعة ، وفي نهايتها قائمة ففائمة المصادر والمراجع التي استقى منها الباحث مادته العلمية . وفي المقدمة كشف عن أهمية الموضوع باعتباره مرحلة هامة رئيسية من مراحل الصراع الملويل بين الشرق والغرب ، خلال الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط . ثم أعقبها بعرض تحليل هارن لأم مصادر البحث ومراجعة ، من عرية وأجنبية ، خطية ومطبوعة . ووقف أمام كل مصدر موقف الناقد ، فأشار إلى أهميته ، وقيمته التاريخية ، ومدى ما أفاه منه ، والجديد فيه . وتوصل إلى نتائج عمدة تكشف عن عمق في اللهم وإصالة في التفكير .

أما الفصل الأول الذي جعل عنوانه « الطائفة الاسماعيلية : نشأتها ونظمها وقلاعها وشيوخها » ، فقد إستعرض فيه أحوال طائفة الاسماعيلية في بلاد الشام كدخل طبيعي للموضوع . وتناول عدة نقاط هامة ، من بينها قلاع الدعوة ، والآراء التي ثارت حول تسمية اسماءيلية الشام بالحشيشية ، ومختلف التسميات التي وردت في المصادر الأجنبية من لائيتية وفرنسية قديمة وغيرها عن هذه الطائفة وشخصية مقدمها أو شيخها باعتباره الأداة المحركة للمجتمع الاسماهيلي في الشام ، معضداً من المنهج التاريخي السليم أسلوباً له . وقد توصل إلى آراء وأفكار تميز بقيمتها التاريخية الواضحة ، وتساعد على فهم وتفسير كثير من مشاكل البحث . أما الفصل الثاني وعنوانه « أوروبا والشرق الأدنى في القرن للثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) » ، فيعتبر الأساس المتين الذي تركز عليه العلاقات التي قامت بين للصليبيين الغربيين وبين اسماءيلية الشام ومقدمهم شيخ الجبل . وفيه إستعرض الباحث أحوال للشرق والغرب خلال الفترة الزمنية موضوع البحث ، من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، مع الاشارة إلى مختلف القوى التي أسهمت

بطريق مباشرة أو غير مباشر في توجيه مسار الأحداث آنذاك ، مما يعين على فهم حقيقة العلاقات الصليبية الاسماعيلية ، وما هيتمها ، وموقف كل طرف من طرفي الصراع حيال الآخر . وكان طبيعياً أن يشير الباحث إلى قوة نالفة هامة كانت طرفاً مؤثراً في هذا الصراع ، ونعني بها العالم السنّي . إذا إختلط تاريخ إسماعيلية الشام إختلاطاً شديداً بتاريخ كل من الصليبيين والحسين ، بحيث لا يمكن الفصل بين هذه القوى الثلاث عند الحديث عن العلاقات الصليبية الاسماعيلية ، بسبب تشابك الظروف وتداخلها - نعتقدا ، وبسبب الإختلاط والتلاحم الشديدين في العلاقات بين هذه الأطراف الثلاثة ، الأمر الذي ترك بصماته على سير مجرى الأحداث بمنطقة الشرق الأدنى وقتها .

وفي الفصل الثالث من الكتاب وعنوانه « موقف الحشيشية من المسلمين السنيين » ، عالج الباحث سياسة إسماعيلية الشام حيال السنيين ، وحدد خطوطها العريضة ، والمراحل التي مرت بها إلى أن وصلت إلى طور النضج والكمال ، مبيّناً أن الحشيشية كانوا بلونوناً سياسياً طرفي الصراع بالون الذي يتناسب مع مصالحهم فحسب . وقد عالج في هذا الفصل عدة قضايا هامة بطريقة موضوعية ، ومن بينها الأسباب الكامنة وراء مقتل إثنين من رواد حركة الإنتظة الاسلاميه في بواكير القرن الثاني عشر الميلادي (بدايات القرن السادس لهجري) على يد ندوية الشام ، وهاموود واقسنقره البرسي صاحبي الموصل ، والنتائج التي ترتب على ذلك ، وأثرها على العلاقات الصليبية الاسماعيلية . وحتى تستكمل هذه الدراسة كافة مقوماتها ، فقد عالج في الفصل الرابع وعنوانه « موقف الحشيشية من القوى الصليبية في الشام » ، الجانب الآخر من الموضوع . فاستعرض سياسة الصليبيين حيال الاسماعيلية بكل دقة تفهمها وتفصيلها ، واستعرض خطوطها العريضة



والراحل التي مرت بها ، مبيتا أن كلا من الصليبيين والحشيشية كان يعمل على إستغلال الآخر لمصلحته الشخصية ، رغم ما كان يجمع بينهما من هدف مشترك وهو العمل على إزاحة القوى السنية من الميدان حتى يسهل عليها تحقيق مصالحها الذاتية . ومن بين القضايا الهامة التي ناقشها الباحث في هذا الفصل قضية إغتيال بعض القادة الصليبيين على يد البدو ، ودوافع ذلك ، وأثرها على العلاقات الصليبية الاسماعيلية . كما عقد دراسة مقترنة بين طائفة الاسماعيلية وبين الجماعات المسيحية الرهبانية العسكرية كالداوية والاسيبارية ، وبينها وبين الجاليات الايطالية التجارية كالبنادقة والبيازنة والجنوية ، وبيننا أوجه ، الشبه والخلاف بينها . وتوصل إلى الكثير من الأفكار الجديدة التي تحترم الموضوع .

وفي الفصل الخامس والأخير وعنوانه «تقييم العلاقات الصليبية الاسماعيلية» إلى الباحث نظرة عريضة شاملة على الموضوع من كل جوانبه وزواياه . وناقش العديد من المسائل الهامة التي زودته بنتائج لها وزنها . ومن بينها الكنية المصادر الأدبية العربية ، من شعر ونثره ، في توضيح طبيعة العلاقات الصليبية الاسماعيلية ، مع تقييم موضوعي دقيق لهذه العلاقات من وجهة النظر الاسلامية والمسيحية ، استنادا على المصادر والأصول من عربية وغير عربية . وفي تحليل علمي جامع مانع شرح مختلف المواقف والسياسات التي اتخذتها الأطراف المتصارعة . حيال بعضها البعض ، مع بيان مدى الالتزام بها عند التطبيق العملي ، وركز في خاتمة الكتاب على أهم الاستنتاجات التي توصل إليها وأهم المشاكل والفصا التي عالجها ، والجديد في الموضوع ، وأوضح أن العلاقات التي قامت بين الصليبيين ولاسماعيليين كانت سياسية في المرتبة الأولى ، وإنما إنحدت الشكل العدائي أحيانا ، والشكل السلمى في بعض الأحيان ،

وانها لم تؤثر جذريا على مجريات الامور والاحوال فو منطقة الشرق الادنى
في ذلك الحين .

وخلصة القول ان الدكتور أسامه زيد تيمدى بشجاعة وجدية ، وفي
صبر واناة ، لموضوع صعب وشائك ومعقد وجديد . فهو لم يدرس من قبل
دراسة علمية متكاملة تلم بكل جوانبه وتلبي للضرورة على كل خباياه . وعلى هذا
يعتبر الكتاب الذي بين أيدينا أول دراسة علمية مستقلة متكاملة في هذا
الموضوع الحيوى الهام ، اسعد مادتها من منابعها وأصولها العربية والاجنبية ،
على قدم المساواة ، سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة . ثم أنه يمحيط اللثام
عن فترة هامة نامضة في تاريخ الصراع الصليبي الاسلامى ، ويعتبر في ذات
الوقت إضافة لها وزنها إلى مكتبه الأريخ الوسيط بصفة هامة ومكتبة الحروب
الصليبية على وجه الخصوص .

دكتور جوزيف نسيم يوسف

الاسكندرية في ١٤ سبتمبر ١٩٨٠ أستاذ تاريخ العمور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



شهدت العصور الوسطى التي اقتطعت من تاريخ البشرية حوالي عشرة قرون من الزمان حركات دامية وظواهر خطيرة اهل أعرقها وأبعدها أثرا هي الحركة التي تعارف المؤرخون على تسميتها باسم « الحروب الصليبية » التي قام بها الغرب الاوروبي ضد العالم الإسلامي بقصد الاستيلاء على الاراضى المقدسة . والواقع أن هذه الحروب التي أكتوى العالم الإسلامي بناها طوال ثلاثة قرون إنما كانت تمثل دورا رئيسيا من أدوار الصراع العتيق بين شقي العالم ، ذلك الصراع الذي استلأ به تاريخ الإنسانية منذ القدم حتى يومنا هذا .

وموضوع هذا الكتاب هو إحدى الحلقات المذكورة . وقد جعلنا عنوانه « العلاقات بين الصليبيين والاسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) » . راخذنا هذا الموضوع لخطو المكتبة العربية من دراسة مستعينة قائمة بذاتها تتناول احداثه بالتفصيل والتحليل والتعليل ، ولأنه لم يلق العناية الكافية من المؤرخين التقدمي والمحدثين . فضلا عن عدم تناول أي بحث علمي لوجهي النظر الاسلامية والعربية حيال هذه العلاقات المتشابكة المعقدة . وأن ما كتب في هذا الموضوع في مختلف المراجع العربية والاجنبية لا يزيد عن صفحات قليلة أو نكت وشذرات مبعثرة هنا وهناك ، لا تشق غلة الباحث ولا تصلح اساسا للدراسة العلمية الدقيقة عميقة . واهل ذلك يرجع الي من كتب من للمؤرخين المسلمين عن هذا الموضوع لم يكن مهم أن يجمعوا تاريخنا محصورا لهذه الطائفة وعلاقتها بمختلف القوى الموجودة وقتذاك ، بل انصرفوا الى التدوين العام لما يجري من وقائع واحداث سنة بعد أخرى على غرار نظام الحوليات المعروف .

وفضلا عما تقدم ، فقد تبين لنا أثناء قراءتنا للإرضاع السائدة في بلاد الشام خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى العهد الأخير من القرن السابع

المجری (۱۱۰۰ - ۱۲۷۵ م) أن تاریخ اسماعیلیة الشام كان مختلطاً اختلاطاً شديداً إخباریخ بكل من الصليبيين والسنيين بحيث لا يمكن الفصل بين هذه القوی الثلاث ونحن تناول العلاقات الصليبية الاسماعيلية . كما تبين أن فدائية الشام أضحوا قوة سياسية لا يستهان بها ، وبات أمراء المسلمين والفرنج يخافون بطشهم ، ويحسبون حسابهم . لقد كانت سياستهم تقوم على التفتك بمن يعترضهم في سبيل تحقيقتي غاياتهم الشخصية ، كما كانوا يتقبلون في خدمة الاعضاء والأصدقاء - سيما عليه عليهم مصالحهم - بصرف النظر عن أي اعتبار آخر . كما أن تاريخهم - اقل بالارهاب السياسي والاعتقالات المنظمة ضد الزعماء السنيين وكبار رجال الافرنج على السواء . ومن هنا بدأنا في جمع المادة العلمية من بطون المصادر والمراجع من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة .

وكان لزاماً علينا أنشاء تناول الموضوع أن تتبع أحداثه وتطوراته في جوف الأصول الأوربية والعربية على السواء ، وأن ناقش مختلف الروايات والنصوص المتضاربة ، مع عقد المقارنات والموازنات التاريخية بينها حتى نخرج منها بالتحفة التاريخية البحتة التي هي فوق كل شيء وأسمى من كل اعتبار . وقد واجهنا الكثير من القضايا والمسائل التي أدلينا فيها برأينا محاولين تفسيرها التفسير السليم ، مع بيان أسبابها ومسبباتها وما تفرقت عليها من نتائج وآثار . ولسكن ، لسوء الحظ ، لم تستفنا منابع البحث ، وبخاصة العربية منها ، بفيض من المعلومات يحيط الثمام عما غمض . لقد ضنت علينا بالكثير من المعلومات ، بينما سكت به . منها سكوتنا مطبقاً حيال الكثير من الوقائع والاحداث الأمر الذي أثار بعض الصعاب أمامنا . وكان علينا أن نبحث في الأصول الاجنبية ، التي تعبر عن هذه الأحداث من وجهة نظر غربية بحتة . علنا نعرضها على ما يسد الفجوات التي أغفلتها المصادر الاسلامية . كما كان علينا أن نتناول

المادة الواردة في المصادر الاجنبية بشئ، من التردد والحذر ، مع مقارنتها بغيرها بغية الوصول الى الحقيقة التاريخية التي يتمخض عنها البحث التاريخي السديد .

ولعل اغفال المصادر الإسلامية السنوية لكثير من واقع هذه الفترة وأحداثها يعود الى الصراع المذهبي بين الشيعة والسنة ، الذي فتت العالم الإسلامي وقتذاك وأنتهك وأضرف قواه أمام العدو الصليبي الدخيل . وقد انمكس ذلك على كتابات كثير من المؤرخين لتبعيتهم لدولة من الدول أوطاففة من الطوائف ، فظهر عدم التناسق والتجيز في كتاباتهم . وأهمل البعض ذكر الحقائق المتعلقة بالدويلات المعادية ، كما قام البعض الآخر بخفاء المؤلفات التاريخية والنسب عليها لظروف سياسية أو مذهبية . والنتيجة أن تلك المؤلفات لم يقدر لها البقاء وضاع الكثير منها وما بقي لم يعطها الصورة كاملة . ولم يعد من السهل التعرف على تاريخ هذه الدويلات والطوائف الهامسة خلال تلك الشذرات القليلة المبعثرة التي وردت في ثنايا قليل من الكتب . ولكن المادة التي استقيناها لم تكن بالقدر الكافي ، ولم تساعد على تكوين فكرة واضحة متكاملة عن تاريخ العلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام . ومن ثم كان علينا بذل المزيد من الجهد لملئ هذه الثغرات في العلاقات بين الطرفين الصليبي والاسماعيلي بالرجوع الى مختلف المصادر والأصول من عربية وغير عربية ، معاصرة ومأخرة زمنها .

هذا ، وترجع أهمية العلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام إلى أنها تاتي مزبدا من الضوء على فترة هامة ودقيقة في تاريخ الحركة الصليبية نفسها بصفة عامة وفي تاريخ الشام آنذاك بصفة خاصة . كما أنها تساعد على إيضاح الامر الذي نجم عن الانشقاق المذهبي الذي نشب وقتذاك بين الشيعة والسنة ، مما

أدى في وقت من الاوقات الى تصدح الجهة الإسلامية وعدم قدرتها على الوقوف ضد القوى تصاليفية في المحقة . ولعل أبلغ دليل على ذلك أن نجاح الحملة الصليبية الأولى في حتام القرن الحادي عشر الهجري (أواخر القرن الخامس الهجري) في تحقيق انتصار من الانتصارات في فترة زمنية قصيرة ، كان بسبب الضعف والانقسام السياسي والمناخ بين المسلمين آنذاك .

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى فصول خمسة . الفصل الأول وعنوانه « الطائفة الاسماعيلية . نشأتها ، نظمتها وقهرها وشيخها » وقد احتوى على أصل المذهب الشيعي وفرقه حيث كانت الطائفة الاسماعيلية إحدى الفرق الهامة التي تعضت عن هذا المذهب . ثم اعقلنا الى الكلام عن نشأة هذه الطائفة في بلاد الشام ونظمتها وفلاحتها وتعدد أسمتها وسمياتها كما وردت في المصادر العربية والاجنبية كمدخل طبيعي لموضوع البحث . ثم تعرضنا للحديث عن شخصية شيخ الجبل والاصل الذي استمدت منه هذه التسمية من واقع ما جاء في الاصول اللاتينية والفرنسية القديمة ، فضلا عن المصادر العربية . أما الفصل الثاني وعنوانه « أوروبا والشرق الأدنى في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) » فقد تضمن أحوال هاتين المنطقتين ليكون خلفية لموضوع البحث . وأن الفاه نظرة شاملة على الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في كل من الشرق والغرب وتقداك تساعد على فهم الجو الذي مهد لنجاح دور الاسماعيلية بالشام من ناحية ، وعدم قدرة الصليبيين في مقاومة سياسة الاغتيالية التي انتهجتها هذه الفئة تجاههم بالشكل الجسدي من ناحية أخرى وذلك بسبب اشغال الغرب الأوربي بمشاكله الخارجية والداخلية التي صرفته عن تأييد الصليبيين في الشرق تأييدا قويا . انصلا ، الامر الذي انعكس بدوره على مدى مقاومة الصليبيين للاسماعية .

ثم أن هذه الدراسة التمهيدية المركزة تساعد على فهم وتفسير مختلف العبارات التي بدت على مسرح الأحداث ، وموقف كل طرف من الاطراف المصارعة حيال الآخر .

وإلى جانب ما تقدم ، فقد تضمن هذا الفصل مرحلة انتقال طائفة الاسماعيلية إلى الشام وسيطرتها على قتال الدعوة بفضل عطفت وتأييد بعض حكام المنطقة السنيين . وأهينا الفصل بالحدث عن أول زعيم للاسماعيلية بالشام الذي استطاع بجرأة وشجاعة أن يعان لأول مرة في تاريخ الطائفة انفصاله عن شيخ الجبل الوجود في « الموت » انفصالا تاما مع عدم تبعيته له مصغدا من تسمية « شيخ الجبل » لقباله ، ونفى بذلك راشد الدين ستان .

أما بالنسبة للفصل الثالث وعنوانه «موقف الحشيشية من المسلمين السنيين» فقد أشرنا فيه إلى سياسة طائفة اسماعيلية الشام تجاه الصليبيين واستلزم ذلك الإشارة إلى السنيين باعتبارهم طرفا أساسيا في الصراع الهام في المنطقة . كما كشفنا عن العلاقات المتشابهة بين الاطراف الثلاثة في الفقرة موضوع البحث، وهم الصليبيين واسماعيلية الشام والسنيين، الأمر الذي أدى إلى استفادة الصليبيين من بعض المواقف، النزاعية التي نشبت بين السنيين من جهة والاسماعيلية بالشام من جهة أخرى . فبلا كان اغتيال الفداوية لبعض كبار القادة السنيين أمثال مودود وأعمقر البرسي فرصة كبيرة لم يغفل الصليبيون عن انتهازها في تحقيق أهدافهم الصليبية والعمل على زيادة نفوذهم في المنطقة . كما كان لمحاولات الاغتيال التي تعرض لها صلاح الدين من قبل الفداوية ، ثم تفرغ السلطان الايوبي للاختقام من هذه الجماعة كان لكل هذا أثره في امادة خطوات الوحدة الإسلامية التي كان يهدف صلاح الدين إلى تحقيقها ، والتي كانت قد بدت برورها الأولى مع بدايات القرن السادس الهجري (بدايات القرن الثاني عشر الميلادي) .

والنتيجة أن هذه الأحداث شكلت السلطان قليلا عن السلم بالأفاه الإسلامية في طريقها المرسوم ، كما اتاحت الفرصة لهذيليين لتحريض الاسمايلية للوقوف معهم ضد القوى السنية في المنطقة ، أو بكلمة أخرى لاستغلال هذا النزاع المذهبي لتعقيق مصالحهم بضرب قوة بأخرى ومناصرة أمير على آخر ، واتخاذ سياسة متقلبة غير مستقرة تتأجج بين العداة والصفاة بين القريتين المتصارعتين .

وفي الفصل الرابع وعنوانه « موقف الحشيشية من القوى الصليبية في الشام » انتقلنا إلى الحديث عن الجانب الآخر من الموضوع وهو سياسة الصليبيين تجاه اسماعيلية الشام ، ثم محاولات الفداوية اغتيال كبار قادة الفرنجة مثل ريموند الثاني صاحب طرابلس سنة ١١٥٢م ، وكوزادى مونتفرات صاحب صور وملك بيت المقدس سنة ١١٩٢م . تم أسرنا اشارة سريعة إلى محاولات الاغتيال التي تعرض لها الصليبيون خلال القرن الثالث عشر الميلادي استكمالاً لسلسلة الحديث عن هذه الاغتيالات التي تمت في القرن الثاني عشر الميلادي ، وتميزها وتفسير السياسة فداوية الشام حياال الفرنج . وكانت من ضحايا الفداوية في القرن الثالث عشر الميلادي ريموند بن بوهيموند الرابع الذي اغتيل سنة ١٢١٢م ، وفيليب دى مونتفورت صاحب صور الذي قتل على أيديهم سنة ١١٧٠م ، وأخيراً « المحاولة الفاشلة لاغتيال الملك ادوارد الأول ملك إنجلترا سنة ١٢٧١م . وبعد ذلك تعرضنا للاتصالات السلمية التي تمت بين هذه الجماعة والصليبيين ، فأشرنا إلى الاتصال الذي تم بين راشد الدين سنان وملك عورى من أجل دخول الاسماعيلية في طاعة الملك الصليبي مقابل إلغاء الجزية المفروضة عليهم من قبل جماعة فرسان الفداوية . وأشرنا كذلك إلى زيارة الكونت هنري صاحب شامبانيا للإراضى الاسماعيلية تدعيماً لاواصر الروابط بين الطرفين ،

وتأكيدا لسياسة كل منهما حيال الآخر من ناحية ، ومواقفهما المشتركة حيال الآخر من ناحية ، ومواقفهما المشتركة حيال المسلمين السنين من ناحية أخرى .

وظرا لما كان للجماعتين الرهبانيتين العسكريتين الداوية والاستبارية من ناحية ، وكذلك الجاليات الايطالية من ناحية أخرى من دور كبير في سير الحملات الصليبية المختلفة والتأثير على مختلف المواقف والسياسات ، ونظرا لما كان بين هذه الجماعات واسمايلية الشام من أوجه شبه - فقد خصصنا لذلك دراسة مقارنة بينها ختمنا بها هذا الفصل ، وتوصلنا إلى نتائج محددة ساعدت على تفسير مواقف وسياسات مختلف الأطراف المتصارعة .

أما الفصل الخامس والأخير من هذا المؤلف وعنوانه « تقييم العلاقات الصليبية الاسمايلية » ، فقد تناولنا فيه العديد من القضايا والمسائل الهامة ومن بينها محاولة تقييم العلاقات بين الفريقين من وجهتي النظر المسيحية والإسلامية ، وكذلك أهمية المصادر الأدبية العربية في توضيح هذه العلاقات. إذ كشفت عن أسباب اختلاط تاريخ اسمايلية الشام بتاريخ كل من الصليبيين والسنين مع بيان نتائجهما والاتسار المترتبة عليه . كذلك عالجتنا مدى تخوف الفرنج والسنين من الفداوية وخناجرهم ، مع تحليل وتعليل مختلف المواقف والسياسات التي اتخذتها الأطراف المتصارعة والتي كان الشرق الأدنى مسرحا لها . واختتمنا الفصل الخامس بمرس عدة تساؤلات تفرض نفسها ملحة في طلب الاجابة عنها ، ومنها على سبيل المثال مدى ما حققته سياسة الحشيشية حيال الصليبيين وماذا يعنى زوال دولتهم في أخريات القرن السابع الهجري (أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) بالنسبة للصراع الصليبي الإسلامي ، وما إلى ذلك من قضايا رأينا أن طرحها محاولين الاجابة عنها .

وانهبتا المؤلف بخاتمة تعرضنا فيها لـ...مرار الاتصالات بين اسماعيلية الشام الصليبيين خلال القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) ، والتي كانت أساسا -- في شكل سفارات متبادلة بين شيخ الجبل الاسماعيلي والملك لويس التاسع ملك فرنسا أثناء اقامته في سورية ، مع بيان أهم النتائج والاستنتاجات التي أمكن التوصل اليها من وراء هذه الدراسة . ولكن مما يوسع له أننا عندما رجعنا إلى المصادر العربية ، المعاصرة والمتأخرة زمنيا ، من مخطوطة ومطبوعة ، لم نثر على أية وثائق عن هذه السفارات المتبادلة بين الاسماعيلية والصليبيين . ومن المرجح أن يكون المؤرخون لآسنيون مثل ابن واصل وسبط بن الجوزي وابو شامة وغيرهم قد غفلوا عن عمد أمرها لما كان بينهم وبين الشيعة من تناحر وعداء بغضاء ولأنهم كانوا ينظرون إلى هذه الجماعة الشيعية نظرة ربة وتوجس . كما أننا لم نستطع أن نحصل على معلومات تفصيلية عنها سوى ما سجله جيرانقيل في مذكراته عن القديس لويس ، وأشارة سريعة في كتاب المؤرخ الأثيني روتلان لا تعدو بضعة أسطر . وبعد ذلك أشرنا إلى طبيعة العلاقات بين اسماعيلية الشام والظاهر يبرس سلطان مصر الملوكي الذي تمكن من القضاء عليهم سنة ١٢٧٣م / ٦٧٨ هـ بحيث لم يصبحوا سوى شراذم مبعثرة في شتى أنحاء العالم .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن العلاقات التي كانت قائمة بين الصليبيين واسماعيلية الشام لا تعدو أكثر من اتصالات سياسية اتخذت الشكل العدائي أحيانا والشكل السلمى في بعض الاحايين . فلم نثر أثناء بحثنا في بطون المصادر والمراجع على ما يفيد وجود أى نوع آخر من العلاقات بين الطرفين سواء كانت اقتصادية أو ثقافية أو غيرها . ولعل ذلك مرجعه أن هذه العلاقة الاسماعيلية لم تستند على أسس وركان الدولة بالمعنى المفهوم من هذا

الاصطلاح ، ولم يكن معترفاً بها بالنسبة للعالم الخارجي المعروف حينذاك . فلم تكن في نظر الدول القانسنة أكثر من فرقة هدامة تسعى من أجل تحقيق أهدافها ومصالحها فحسب ، وتعمل على نشر مذهبها واحلاله محل المذهب السني بشق السيف والرسائل مما أتاح فرصاً ذهبية لاعدو الصليبي الدخيل استغلها لتحقيق أطماعه . هذا وأن كانت الدول وحكامها وقتها قد عملت لها حساباً ، فلم يكن ذلك إلا خشية من نظامها القائم على الارهاب والاعتقال والتفكك .

وقد فرض علينا البحث تزويده بعدد من الخرائط واللوحات الايضاحية واحدى هذه الخرائط قلاع الدعوة بالشام وخریطتان عن شمال الشام وجنوب وخریطة رابعة عن الغرب الأوروبى خلال الفترة موضوع البحث بيننا تمثل احدى اللوحات شيخ الجبل كما تصوره الغريون . واللوحتان الباقيتان لبعض قلاع الدعوة . وقد استعنا فى اعداد هذه الخرائط واللوحات بعدد من مؤلفات المؤرخين المحدثين وعلى رأسهم ستيفنس رانسيان وبول لاكروا والدكتور سعيد عبد الفتاح حاتور ، والدكتور جوزيف نسيم يوسف .

وقد ذيلنا للكتاب بثلاثة ملاحق ترتبط بالبحث ارتباطاً وثيقاً ، أولها عن مخطوطة عربية لم تنشر بعد ، وثانيها عن مصدر فرنسي قديم لم ينقل إلى اللغات الحديثة . وثالثها عن مصدر لاتيني معروف . وكلها تعرض لمسائل وقضايا هامة عالجتها فى صلب الموضوع . ورأينا أن نثبت النصوص المتعلقة بها فى الملاحق الثلاثة بدائلها وتفصيلها ، لما تضمنه من معلومات قيمة تعرضناها فى صلب الموضوع . وبأخر البحث قائمة بأسماء المصادر والمراجع من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة ، وهى التى اعتمدنا عليها واستقينا منها مادتنا التاريخية .

تصليح

عرض و تحليل لمصادر الكتاب

- المصادر الاوروية المعاصرة
- المصادر الفريية المعاصرة
- المراجع القانونية الاوروية
- .. المراجع لتانوية العريية

يكمنف تاريخ العلاقات بين الصليبين واساعيلية الشام أنساء العدوان الصليبي على العالم الاسلامى بامة . وخلال القرن الثانى عشر الميلادى (لقرن السادس الهجرى) بحاصه ، كثير من الغموض والملس والابهام ، فضلا عن وجود العديد من الفجوات التى أهملتها المصادر التاريخية . ويرجع السبب فى ذلك أنه لا توجد للحشيشية كتب مستقلة منفصلة على نسق الحوليات التى سجلها مؤرخوا المسلمين السنين فى مصر وفى غيرها من البلدان فقد اندثر الجانب الأكبر من كتبهم وآلافهم ولم يعد له وجود . ولعل ذلك يرجع إلى العصور النالية التى قضت على هابت نشيئة بمسلة . فضلا عن سياسة السرية والعكتم التى اتبعها الاساعيلية بالشام بالنسبة لاصحالاتهم وعلاقاتهم بحيرانهم من صليبين وسنين الذى لم يسمح بسجلاها فى مؤلفات مدونة حرصا على سريتها وعدم اقتضاحها . وعلى هذا فكل ما هناك نتف وشذرات مبعثرة فى شتى الأصول والمراجع من عربية وغير عربية لا تشفى غليل الباحث فى هذه الناحية ثم أنه يشوب هذه المعلومات المتناثرة هنا وهناك التقاض والابهام ، وبها فجوات عديدة لا نسمح بسرمد منظم منعمل لتاريخ العلاقات الصليبية الاساعيلية خلال الفترة مر صوع البحث . وان كان هذا لا يمنع من القول بأن المصادر العربية والأجنبية التى رجعت إليها والتي لا يزال بعضها بلفته الاصلية التى دون بها ، اللاتينية أو الفرنسية تقديمة : قد أفادتنا فائدة كبرى فى سد الفجوات الناقصة فى المصادر العربية بحيث يبدو التناقس والانسجام فى الرسالة على اعتمادها .

وأهم هذه المصادر التى اعتمدنا عليها وأفدنا منها كتاب ولیم الصورى (١)

(١) ولد ولیم الصورى فى بيت المقدس -والى سنة ١١٣٠ م . وكان يتقن كنجرا =

المعروف باسم « الأعمال التي انجزت في بلاد ما وراء البحر » . وقد وضعه المؤلف أصلاً باللغة اللاتينية تحت اسم « Historia Rerum in partibus Transmarinis Gazarum » وبميز هذا المصدر المعاصر بأهميته الفائقة فيما نحن بصدده إذ يعتبر صاحبه مؤرخاً معاصراً للأحداث الهامة المعصلة بالعلاقات الصليبية الاسماعيلية في القرن الثاني عشر الميلادي . وقد أمدنا بكثير من المعلومات التي أغفلتها المصادر الأخرى سواء كانت عربية أم أجنبية ، مثل حادثة اغتيال فرسان الدارية لرسول شيخ الجبل الموفد إلى الملك الصليبي عموري ، تلك الحادثة التي تركت أعمق الأثر على طبيعة العلاقات بين الصليبيين والاسماعيلية خلال الفترة موضوع البحث .

وهناك مصدر آخر هام يأتي بعد كتاب ولیم الصوري هو حوالية ميخائيل السرياني ويوجد مقتطفات منها في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية تحت اسم : « Extrait de la Chronique de Syriem » ولكنه لم يكثر من الإشارة إلى الاسماعيلية الشام ودعوتهم وعلاقتهم بالصليبيين خلال الفترة التي

من اللغات مثل اللاتينية والفرنسية والعربية ، فضلاً عن اللغتين الفارسية والعبرية واليونانية . ولقد بدأ حياته بالعمل في الساك البصني ، وكان تاباً لرئيس أساقفة صور . ودخل في خدمة الملك عمودي الأول ملك بيت المقدس ١١٦٢ - ١١٧٣ م الذي دینه رئيساً لشمامسة كنيسة صور وكناهه بكتابة تاريخه . وقام الاستاذ الدكتور عمر كمال توفيق بعمل دراسة تحليلية من هذا المؤرخ وكتاباه . ولزيد من التفاصيل انظر عمر كمال توفيق - المؤرخ ولیم الصوري ، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٧ ص ١٨١ - ١٣٠ انظر كذلك :

Gaston Histoire de Institutions Monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem (١٠٩١ - ١٢٩٠) pp. ٤٠ - ٤١ .



عاصرها ، فضلا من أن اشاراته لهذه العلاقات كانت تتمم بالتركيز الشديد
فمثلا عندما تعرض للمعركة التي تمت بين الجشيشية والصليبيين من جانب وبين
القوى السنية بزعامة نور الدين محمود من جانب آخر والتي انتهت بانتصار
السنيين لم يبرز لنا ملامح المعركة بشكل تفصيلي يشبع غليل الباحث وإنما
اقتصر على ذكرها في اشارات سريعة . كما أنه اتبع نفس الموقف عندما وصف
المحاولة الفاشلة التي دبرت من جانب القداوية لاغتيال صلاح الدين أثناء
حصاره قلعة عزاز .

كذلك يعتبر تاريخ هرقل Eracles (١) من المصادر الرئيسية التي يعتمد
عليها . فرغم أنه متأخر زمنيا عن الفترة موضوع البحث إلا أنه من الضروري
الرجوع اليه والإفادة منه باعتباره مصدر ثقة ورعت فيه تفصيلات ومعلومات
قيمة لم ترد في كثير من المصادر الأخرى . فمثلا نراه يتناول حادثة اغتيال
المرکيز كوزاددي مونغورات عام ١١٩٢ م / ٥٨١ هـ بأيدي اثنين من القداوية
في شيء من التفصيل بينما مرت المصادر الأخرى مر الكرام على هذه الواقعة .

وهناك مصدر آخر اطلعنا عليه وهو تاريخ روتلان Rothelin وهو وان

(١) منشور باللغة الفرنسية القديمة في «مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية» هـ-و
مكمل لتاريخ ولیم الصوري ، ولم يعرف مؤرخه . ولقد قام أحد رجال الملك الفرنسي
لويس التاسع في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بترجمة كتاب ولیم الموردي وأضاف
عليه ذبلا تتناول الفترة الممتدة من سنة ١١٨١ حتى سنة ١٢٧٧ م وسماها باسم « تاريخ
هرقل » لأن أول كلمة افتتح بها الكتاب « الامبراطور هرقل » ولازده من التفاصيل
انظر :

Runciman, A History of the Crusades, t.I, p. 477, III, p. 482,



كان متأخرا زمنيا الا أنه قد غطى حوادث الفترة الممتدة من سنة ١٢١٩ م الى سنة ١٢٦٩ م ، وقد أفادنا ذلك كثيرا في خانة الموضوع . ورغم انه كان معاصرا لبعض الأحداث التي تمس العلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام خلال تلك الفترة الا أنه لم يتناولها بالتفصيل والتحليل ، بل اكتفى بذكر اشارات سريعة شديدة التركيز عنها . وقد لمسنا هذا أثناء تعرضه لسفارة شيخ الجبل الى القديس لويس التاسع سنة ١٢٥٠ م فلم يسهب في ذكر تفاصيلها مثلما تعرض لها جوانفيل مثلا . وكلاهما كان معاصرا لتلك الفترة .

والى جانب المصادر التي أسلفنا اليها ، يوجد كتاب باسم «زهور التاريخ» *Flowers of History* لكاتب روجرز صاحب وندوفر *Roger of Wendover* (١) وقد تضمن سردا للحوادث الواقعة فيما بين عامي ٤٧٧ و ١٢٣٥ م . ورغم انه تعرض للفترة موضوع البحث في أسطر قليلة لا تنقش غلة الباحث إلا أن هذه الأسطر تتميز بقيمتها التاريخية التي لا تنكر فضلا عن أنه أمدا بصورة خطاب هام مرسل من شيخ الجبل في بلاد الشام إلى كل من امبراطور ألمانيا ودوق النمسا يثبت فيه براءة الملك رتشارد قلب الاسد من

(١) ينسب الى مدينة وندوفر احدى مدن مقاطعة باكنجهام بإنجلترا . وكان يشغل وظيفة مرسل في أحد الأديرة ، وأخذ يتنقل لى مناصب الساك العكسي حتى وصل الى منصب رئيس دير بلنذار الملحق بدير سانت اليبني *Aibeny* ، وكان ذلك في عصر الملك حنا ملك إنجلترا (١١٩٩ - ١٢١٦ م) ، ومات روجر سنة ١٢٢٢ م . وتقدم كتابه الى ثلاثة أقسام : الأول يبدأ بالحليفة ويستمر حتى سنة ٤١٧ ، والثاني يتسبى سنة ١٢٠٠ م ، والثالث ينتهي حوادثه سنة ١٢٤٥ م أنظر:

Roger of Wendover, Flowers of History, t. 1, pp. V-VII.

تهمة التعريض على قتل المركز اللاتين كوراد دي مونتفات . وإن كنا قد أخذنا ماجاء في هذا الخطاب بشيء من الحذر ، لأنه المصدر الوحيد الذي أتفرد بذكر الواقعة المذكورة . فضلا عن أنه لم يرد في أى مصدر آخر سواء كان أجنبياً أم عربياً معاصراً أم غير معاصر ما يؤيد وجود الخطاب المشار إليه .

وهناك مصدر آخر هام أخذنا منه وهو كعاب جان دي جواتفيل (١) عن حملة القديس لويس التاسع على مصر والشام وهو مدون أصلاً باللغة الفرنسية القديمة وقد قام الاستاذ الدكتور حسن حبشي بنقله إلى اللغة العربية ورغم أن هذا المصدر متأخر زمنياً عن الفترة موضوع البحث ، ورغم أننا لم نستفد منه إلا في خانة الموضوع إلا أن له أهمية خاصة باعتبار أن مؤلفه شاهد عيان للاتصالات التي تمت بين الصليبيين وأسمايلية الشام أيام إقامة الملك لويس التاسع في بلاد الشام في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) . ثم أنه تضمن معلومات هامة أفدنا منها كثيراً فيما يتعلق بجادات وتقاليد أسمايلية الشام وطبيعة علاقاتهم بالصليبيين لم يرد ذكرها في أى مصدر آخر .

ونضيف الى هذه المصادر كتاب هام للكاتب الانجليزى مئى صاحب

(١) ولد حوالى عام ١٢٢٤ م ، وكان أحد فرسان الملك الفرنسى لويس التاسع أثناء حملته على مصر والشام في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى . وللزيد من المعلومات عن جواتفيل وكتابه ، انظر جوزيف نسيب: العدوان الصليبي على الشام ص ٢ - ١٩ ، - من حبش: القديس لويس - حملاته على مصر والشام ص ١ - ٥٥ .

توجد مقتطفات منها في « مجموعة مؤرخي المروب الصليبية الوثائق الارمينية » ورغم أنه لم يكن من الاشارة الى اسماعيلية الشام ودعوتهم وعلاقتهم بالصليبيين إلا أننا أحيانا نجد بنفرد برأى خاص له أهميته في معالجة إحدى النقاط المتعلقة بالمرضوخ فنراه مثلا قد أرجع اغتيال هودود بأبدي الفداوية الى محاولة أغراء طفكتكين أتابك دمشق لأحد المدجونين عنده وذلك مقابل إعطائه قدرا من المال ، فضلا عن العفو عنه ، قابل أنقاضه تايه . وقد قبلنا هذا الرأى بشيء من التحفظ والحذر . ولاحتلنا على هذا المؤرخ أنه لم يمرض ، ولو في لحات سريعة ، لراحل انتقال الاسماعيلية إلى الشام وبدء نشاطهم به موقوف كل من السنين والصليبيين حيال هذه الطائفة وليس معنى هذا أننا نقلل من قيمة المصدر المذكور فهو يعد بالرغم من ذلك من المصادر الهامة .

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام بعض المصادر الاجنبية الاخرى التي رجعنا اليها وأفتنا منها في جوانب مختلفة من البحث يبدو أثرها جليا في تزيان الكتاب ، مثل مؤلف امبرواز Ambroise صاحب كتاب « حملة رتشارد ناب الأسد الصليبية » ويبدو أن عاطفته نحو جنسيته الانجليزية قد تغلبت على كته بانه ، فضلا نراه يعجب ذكر الاتهام الموجه الى الملك الانجليزي رتشارد في التحريض على مقتل كونراد سنة ١١٩٢م / ٥١٨ هـ ، ولم يتعرض له سواء بالنفي أو بالايجاب .

وهناك أيضا المؤلف المعروف باسم « حروب الاراضى المقدسة » الذي تناول الفترة الممتدة من سنة ١٠٩٥م حتى سنة ١٢٩١م وقد قام بشره كل من رهرشت Rohricht وروينو Rainaud ، وكذلك كتاب بروكاردوس

توجد مقتطفات منها في « مجموعة مؤرخي المروب الصليبية الوثائق الارمينية » ورغم أنه لم يكن من الاشارة الى اسماعيلية الشام ودعوتهم وعلاقتهم بالصليبيين إلا أننا أحيانا نجد بنفرد برأى خاص له أهميته في معالجة إحدى النقاط المتعلقة بالمرضوخ فنراه مثلاً قد أرجع اغتيال وودود بأبدي الفداوية الى محاولة أغراء طفكتكين أتابك دمشق لأحد المدجونين عنده وذلك مقابل إعطائه قدراً من المال ، فضلاً عن العفو عنه ، قابل أنقاضه عليه . وقد قبلنا هذا الرأى بشيء من التحفظ والحذر . ولاحتنا على هذا المؤرخ أنه لم يمرض ، ولو في لحات سريعة ، لراحل انتقال الاسماعيلية إلى الشام وبدء نشاطهم به موقوف كل من السنين والصليبيين حيال هذه الطائفة وليس معنى هذا أننا نقلل من قيمة المصدر المذكور فهو يعد بالرغم من ذلك من المصادر الهامة .

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام بعض المصادر الاجنبية الاخرى التي رجعنا اليها وأفتنا منها في جوانب مختلفة من البحث يبدو أثرها جلياً في تانيا الكتاب ، مثل مؤلف امبرواز Ambroise صاحب كتاب « حملة رتشارد ناب الأسد الصليبية » ويبدو أن عاطفته نحو جنسيته الانجليزية قد تغلبت على كته بانه ، فشلا نراه يعجب ذكر الاتهام الموجه الى الملك الانجليزي رتشارد في التحريض على مقتل كونراد سنة ١١٩٦م / ٥١٨ هـ ، ولم يتعرض له سواء بالنفي أو بالايجاب .

وهناك أيضاً المؤلف المعروف باسم « حروب الاراضى المقدسة » الذي تناول الفترة الممتدة من سنة ١٠٩٥م حتى سنة ١٢٩١م وقد قام بشره كل من رهرشت Rohricht ورينو Rainaud ، وكذلك كتاب بروكاردوس

Brocardus المسمى « Directorium ad Passagium Faciendum » وهيثوم
الارمينى Hethoum صاحب كتاب « الجدول الزمنى » Table Chronologique
ويضاف إلى ما تقدم كتاب فيلكس فابري (١) Felix Fabri المنسوب
The Book of wondering الذى يتتبع بحوادث سنة ١٤٨٣ . والى جانب
فيلكس فابري يوجد عدد اخر من الرحالة اللاتين الذين زاروا المنطقة ودونوا
مشاهدتهم وملاحظاتهم فى كتب ومؤلفات لاتزال باقية الى اليوم تزود
الباحث بقدر لا بأس به من المعلومات التى تفصل بموضوع البحث . ومن هؤلاء
بيركارد من جبل صهيون (٢) Burchard of Mount Sion ومارينو سانوتو (٣)

(١) هو أحد أفراد جماعة الدومنيكان ، عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى
وذهب الى الاراضى المقدسة مرتين آخرهما فيما بين عامى ١٤٨٠ - ١٤٨٣ م . وكان
قد وضع كتابه سنة ١٤٨٤ م وفاء لوعده كان قد اتخذه على نفسه أمام أحد أصدقائه .
وللمزيد من التفاصيل انظر :

Fabri, The Book of Wandering, t. I, part I p I.

(٢) المانى الاصل عاش فى القرون الثالث عشر الميلادى . وزار مرسورية ودون
مشاهداته عام ١٢٨٠ م . ويرى البعض أنه مكث حوالى عشرة سنوات فى الاراضى
المقدسة ، والحقيقة أنه لم يكتم سوى ستين ، انظر من ذلك :

Burchard, A Description of the Holy Land, pp. III-IV.

(٣) يطلق عليه أحيانا مارينو سانوتو Marino Sauni وهو ينسب الى إحدى العائلات
الشرقية فى البندقية . وقد سجل مشاهداته اعتبارا من أواخر القرن الثالث عشر الميلادى
حتى سنة ١٢٢١ م وذلك بعد زيارته للشرق .

Marin Saunoto, Secrets for the Crusades to Help them to
Recover the Holy Land, pp. III-V.

Marino Sanuto والرحالة البندقي ماركو بولو (١) الذي زار الشام بين عامي ١١٧٠ - ١١٧١ م وقد تعرض لنظم الاسماعيلية وأشار الى الجنة التي ابتدعها الحسن بن الصباح ، وكيفية اغراء التدلوية والسيطرة عليهم بحيث يجعلهم كبرهم أو مقدمهم بتنافس من أجل طمأنته والعمل على مرضاته .

وقمة مسألة جدبيرة بالتسجيل عند استعراض الأصول الأوروبية المعاصرة واللاحقة على الفترة موضوع البحث ، هي أن المؤرخين المسيحيين من لادين وأرمن وغيرهم كانوا على الملم لا بأس به بأحوال العالم الاسلامي آنذاك . بل لقد انفرد بعضهم أحيانا بذكر أحداث غفلت عن ذكرها المراجع العربية على الرغم من أهميتها بالنسبة للعلاقات الصليبية الاسماعيلية ومن ذلك محاولة اتصال راشد الدين سنان بالملك عموري من أجل تدعيم روابط التجارة بين الطرفين تحقيقا لمصالحها المشتركة ضد العالم السني ، وكذلك خطابات شيخ الجبل إلى ملوك أوروبا ودوق النمسا من أجل تبرئة الملك الانجليزي ريتشارد قلب الأسد من تهمة التعريض على اغتيال كونراد دي مونفرات ، والسفارات المتبادلة بين لويس التاسع وشيخ الجبل ، وما الى ذلك من بيانات ومعلومات تستخدم ناحية من نواحي البحث وتسد لكثير من الفجوات والتفجرات فيه .

وليس معنى هذا أن المصادر العربية من معاصرة وغير معاصرة تعتبر ثانوية بالنسبة لنا . فمن الانصاف القول بأن فيها مادة ممتازة فيما يتعلق بأحوال الشرق الأدنى الاسلامي آنذاك وتطور العلاقات بين اسماعية الشام والمسلمين

(١) ولد سنة ١٢٥٤ م في البندقية وهو ينسب الى احدى العائلات الشريفة بها . وكان منذ صغره شغوفا بحب المغامرات وقد زار عدة بلاد ودون مشاهداته عنها ورحلاته وللمزيد من التفاصيل انظر :

Travels of Marco - Polo, pp. VII-XIII,

المبنيين من ناحية وبين كل من الصليبيين وأسماعيلية الشام والسنيين من ناحية أخرى . وقد استهنا على بحث هذه النواحي بعدد غير قليل من المخطوطات التي لم تر النور حتى الآن . هذا عدا المصادر الاخرى المطبوعة .

وجدير بالذكر أنه رغم تعدد المصادر العربية التي تحدثت عن موضوع للبحث سواء كان ذلك في لمحات سريعة أو بشيء من التفصيل ، الا أننا في كثير من الاحيان لم نخرج منها الا بصورة واحدة تكاد لا تفسر هي الصورة التي رسمها المصدر الاصلى الذي نقلت عنه باقى المصادر الاخرى ولعل السبب في ذلك ما درج عليه المؤرخون العرب من أخذ الواحد منهم عن سببه أخذاً قد يكون حرفياً في كثير من الأحيان . وإن كان هذا مما يؤخذ على تلك المصادر إلا أنها كانت ذات فائدة كبرى فيما يتعلق بحفظ كثير من النصوص الهامة التي لم يعثر عليها في مصادرنا الاصلية . فكثير ما وردت في بعض هذه المصادر المتأخرة زمناً عن الفترة موضوع البحث ، معلومات وشذرات متناثرة هنا وهناك لم ترد في المصادر الاصلية نفسها . ولعلها تكون قد نقلت عن كتب قديمة اندثرت فحفظتها لنا هذه المصادر من الضياع .

والى جانب هذا ، فقد لاحظنا قلة الحقائق والمعلومات التي وردت في المصادر والمراجع العربية ، ولعل السبب في ذلك فضلال عن عملية النقل عن السابقين ، يرجع الى تكتم الاسماعيلية عن نواياهم وأغراضهم وحرصهم التام على ألا يبدو من سلوكهم ما يدل على حقيقة تلك النوايا والأغراض . ولهذا لم يجد الدارسون والباحثون المحدثون بداً من أن يقتصرُوا في كتاباتهم على ذلك السلوك الظاهري دون أن يمارلوا تفسيره ويبان المر فيه .

ومن أم مخطوطات القرن الثاني عشر الميلادى التي رجعنا إليها ، مؤلفات

عماد الدين محمد بن حامد الاصفهاني (١). ومن أهم مصنفاته في التاريخ «اللبستان الجامع لتواريخ أهل زمان»، وهو عبارة عن كتاب موجز في التاريخ العام لم ينشر بعد انتهى حوادثه بسنة وطاقته ولم يتعرض هذا المؤلف لأحوال الاسماعيليين بالشام إلا في سطور قليلة، مثل مؤامرة عمارة اليمن ضد السلطان صلاح الدين الأيوبي في مصر عقب قضائه على الدولة الفاطمية، ثم محاولة اغتيال السلطان على أيدي الفداوية أثناء حصاره عزاز وكان وصفه في كلتا الحادثتين شديد الانتفاخ ومع ذلك أفدنا من أجزاء كثيرة من المخطوط، وبخاصة عند استعراض الأحوال السائدة على مسرح الأحداث خلال الفترة موضوع البحث. أما الكتاب الثاني وهو «نصرة الفطرة وعصرة الفطرة» وهو نسخة مصورة لم تنشر بعد. ورغم أنه اقتصر على تاريخ السلاجقة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، إلا أنه لم يتعرض للاحتكاكات التي تمت بينهم وبين طائفة الاسماعيليين سواء كانوا في قلعة الموت قبل انتقال نشاطهم إلى الشام أو في قلاع الدعوة بالشام أيام مجدهم في عهد الملك رضوان. وكان كل ما أشار إليه عن أخبار هذه الطائفة هو محاولة اغتيال الوزير السلجوقي نظام الملك على يد الفداوية. أما الكتاب الثالث فهو

(١) ولد سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م. دخل في خدمة نور الدين محمود في ديوان الانشاء وأخذ مات نور الدين سائر إلى حلب. وعندما بلغ وصول صلاح الدين دمشق وأخذها هاد إلى الشام وصلاح الدين على حلب هدمه ولزم ركابه إلى أن استكتبه ومال إليه وطالعه على سره وكان يخاصي الوزراء. وعندما توفي صلاح الدين اختلت أحواله ولم يجد في وجهه باباً مفوحاً فلهزم بيته إلى أن توفي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م انظر: الصفي الوافي بالوفيات ٩٢٢ - ١٤٠، انساب الاصفهاني: الفتح القمى في التبع القمى تعليق عماد محمود صبيح ص ١٧ - ٢٧.

« الفتح القسوى في الفتح القدسى » وهو منشور وقام بتحقيقه محمد محمود صبيح وبالنسبة للدؤلف الرابع له فهر « تاريخ دولة آل سلجوق » وهو عمل مطبوع ولا نجد من خلال سطورهِ إلا تعريفا عاما للطائفة الاسماعيليه دون التعرض لعلاقتها مع الأطراف المعنية التي كانت موجودة وقتذاك . ومن بين ما نشر من مراجع هذا العهد « الملل والنحل » للشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) وهو كتاب عظيم الفائدة خدم موضوع البحث عند التعرض لنشأة طائفة اسماعيلية الشام في الفصل الأول من هذا البحث ، و « ذيل تاريخ دمشق » لابن الفلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وهو يعتبر مرجعا أصليا في تاريخ الشرق الادنى منذ بداية القرن السادس الهجرى ، ويمتد الكتاب حتى سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م متخذنا من مدينة دمشق محورا للحوادث . وقد القى ابن الفلانس الضوء على تاريخ اسماعيلية الشام ولكن دون أسهاب إذ إقتصروا على لمحات سريعة مركزة وربما لو طالت به الحياة لاوضح لنا تفاصيل كثيره عن طبيعة العلاقات التي تمت بين الصليبيين واسماعيليه الشام ، الأمر الذى يسمح بالقاء المزيد من الضوء على العديد من قضايا البحث ومشاكله .

وهناك أيضا كتاب « الاعتبار » لابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) الذى كان على صلة وثيقة بمختلف القوى في الشرق الأدنى في النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى ، ولكنه مع ذلك لم يذكر شيئا عن المدى الذى وصلت اليه العلاقات السيئة بين صلاح الدين واسماعيليه الشام برعاية مقدمهم سنان . وقد قصر كتابه على ذكرياته وشاهداته في الشام خلال تلك الفترة من الزمن وبخاصة في النواحي الحربية والاجتماعية . وإلى جانب هذا الكتاب يوجد كتاب « نلبس ألبس » لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٢ م) وهو مؤرخ آخر غير صاحب كتاب « مرآة الزمان » .

ومن بين المخطوطات التي ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) والتي استمنا بها مخطوطة «زبدة الحلب في تاريخ حلب» و «بقية الطلب في تاريخ حلب» لابن المديم (ت ١٢٦٦هـ / ١٢٦٧م) وما نسختان مصورتان لم ينشر منها سوى الجزء الأول من المخطوطة الأولى . ولقد أفسدنا من المخطوطة الأولى فيما يتعلق بالأحداث التاريخية التي توضح العلاقة بين الاسماعيليين والسنيين في ذلك الوقت باعتبارهم طرفا معاديا للقرى الضليبية الموجودة في المنطقة . زمن بين ما نشر من مراجع هذا العهد كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت ١٢٣٠هـ / ١٢٣٤م) (١) . وقد تعرض للحوادث الخاصة بامهيلية الشام من خلال تدوينه العام للحوادث التاريخية على امتداد الكتاب . ولو كان زودنا بمفصيلات عديدة عن أخبار هذه الطائفة لكشف الكثير من خبايا البحث . فهو لا يذكر إلا قشور الحوادث . دون الخوض في تفاصيلها . فضلا عن أنه كان متعاملا بعض الشيء على صلاح الدين فهراه يوجه إليه أصابع الاتهام في تمريض السداوية على اغتيال كل من المركز كورادى ومنتفرات ورتشارد قلب الأسد ولكننا قبلنا هذا الرأي بشئ من الحيطة والحذر لأن ذلك يتناقض مع سياسة صلاح الدين وأخلاقه فضلا عن ان المصادر والمراجع الأخرى قد أوضحت لنا بأن السلطان صلاح الدين لم يسر باغتيال المركز لأن مجرد وجود العداء بين المملك

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي الصكر الملقب جز الدين والمعروف بابن الأثير، ولد سنة ١١٦٠هـ / ١١٦٠م في الجزيرة، وتنشأ بها ثم سار الى الموصل واستقر بها وكان اماما في حفظ القرآن والحديث وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وتوفى ١٢٣٠هـ / ١٢٣٠م سن ٧٥ سنة أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩٤ — ٤٩٥ .



وتشارد قلب الأسد والمركيز كان يعمل على اضعاف شأن الصليبين وتحمك قوام الأمر الذي يسهل عليه الاستفادة من وراه ذلك وتوجيه الضربة للفريج ويتضح ذلك جليا عند تعرضنا لتلك الحادثة في الفصل الرابع من هذا المكان .

وإلى جانب ابن الأثير ، يقف ابن شداد (١) (ث ١٢٣٦ / ٥٦٣٢) صاحب كتاب « التوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية » ونلاحظ أن مؤلفه مختصر للغاية ولم يتوسع فيه في ذكر أية تفاصيل لأي حادثة تنطلق بالفترة موضوع البحث ، بل أكتفى بالمرور على أحداث تلك الفترة مرأ سريعا دون الخوض في تفاصيلها . ونجد مثلا لذلك في حادثة وترب الاسماعيلية على السلطان صلاح الدين أثناء حصاره حلب وعزاز- وكنا نتوقع أن يقف أمامها وقفة طويلة ولكنه أكتفى بذكرها دون أن يخوض في تفاصيل موقف الصليبين حيالها ، وعمّا إذا كانت لهم يدأ في التحريض على مقتله من عدمه . ونراه يكتفى أيضا بمسليء الصفحات الأولى من الكتاب بالكلام عن أخلاق السلطان وتدينه وشخصيته وما إلى ذلك من يسانات . وقد قسم ابن شداد كتابه إلى قسمين : الأول يختص بمولد السلطان ونشأته وخصائصه وأوصافه وأخلاقه . والثاني تناول فيه تقلبات الأحوال به ووقائمه وفتوحاته وجهاده ضد الفريج وتواريخ ذلك إلى آخر حياة .

(١) هو أبو المحاسن يوسف بن رافع بن نعيم بن هشبة بن محمد بن عتاب الاسدي المروفي بابن شداد القصب بهاء الدين الفقيه الشافعي . ولد في الموصل سنة ١١١٥ / ٥٠٣٩ م ونشأ نشأة دينية ، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين سنة ١١٨٨ / ٥٠٨٤ م وولاه قاضيا عليها سنة ٥٠٩١ / ١١٩٥ م وتوفي سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٦ م ، انظر ابن خاسكان : ويات الأعيان ج ٢ ص ٥٢٦ - ٥٣٦ .



أما سبط بن الجوزي (١) (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٧ م) صاحب كتاب «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» فقد قامت حكومة الهند بشر الجزء الثامن ورغم أن هذا المؤرخ يعتبر ناقلاً عن سبقه من المؤرخين ، ورغم أن درايته بالأحداث التي كانت واقعة على مسرح الأحداث وقتذاك ، إلا أنه كان بخيلاً في عرض الحقائق ونوع العلاقات التي ربطت بين الصليبيين وأسماعيلية الشام. فلم يهرس مثلاً -سفرات التبادلة بين الملك لويس وشيخ الجبل الأسماعيلي رغم أنه كان معاصراً له .

وهناك أيضاً كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» للمؤرخ أبي شامة (٢) . (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) . وقد أعاز هذا الكتاب بأنه تضمن الكثير من المنقطفات الكاملة لكتاب «كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين

(١) هو سبط شمس الدين أبو المظفر يوسف تراوغلي ، ولد سنة ٥٢٨ هـ / ١١٨٦ م في بغداد وكان أبوه عبداً تركياً . ودس في سقط رأسه وأصبح مدبراً وكاتباً بدمشق وتوفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م . وكتابه يبدأ من الخليفة ريتي سنة ١٢٥٦ م انظر : ابن تفرى بردي : المنهل الصاق والـتوق بعد الوالي جـ ورقة ٥٩١ ، جوزيف نسيم يوسف : المدوان العليبي علي الشام ص ٣٤ حاشية ١٠

(٢) هو عبد الرحمن بن ابراهيم بن عثمان بن محمد المقدسي والمعروف بأبي شامة ، لوجود شامة على حاجبه الايسر - ولد بدمشق سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م وتوفي سنة ٦٦٥ هـ [١٢٦٧ م زار بيت المقدس سنة ٦٢٤ هـ وله عدة مؤلفات أهمها «الروضتين في أخبار الدولتين و «الذيل على الروضتين» وقد نشره الأستاذ هزنت المطاط تحت اسم «تراجـ رجال القرنين السادس والسابع» انظر الكتيبي : فوات الوفيات ج ١ ص ٥٢٧ — ٥٢٨ ؛ السبكي : طبقات الشاهسية ج ٥ ص ٦١ — ٦٢ .

لاين أبي طى الذى فقد ولم يصلنا . رلولاها لما تمكنا من الوقوف على آرائه وتفسيرها وتحليلها بعد المزاينة والمقارنه بينها وبين الآراء التى وردت فى المصادر الأخرى ، وخاصة أن النص الأصلي مفقود ولم يعثر عليه حتى الان . فى الوقت الذى أورد أبى شامة حصار صلاح الدين لمصيف ثم أنسحابه من أمام أسوارها نتيجه لشناعة خاله شهاب الدين محمود لديه نراه يذكر نقلا عن ابن أبى طى أن الدرهمى التى جعلت صلاح الدين يعقد صلحا مع شيخ الجبل راشد الدين ستان هو تخوفه من هياج الفرنج فى الشام الاعلى وهو بعيد عنه . وعمما هو جدير بالذكر أن أبى شامة ينهم ابن أبى طى بأنه معجز للشيعة ومعصب ضد نور الدين محمود السق . والواقع أن كلام ابن أبى طى لا يستشف منه هذا المعنى وإلا لكان قد تعصب ضد صلاح الدين أيضا وهو الذى قضى على المذهب للشيعى فى مصر بقضائه على الخلافة الفاطمية بها ، كما أحرقت المكتبة الاسماعيلية وشرذ الاسماعيليون الموجودون بالقاهرة . ولقد أشار أبو شامة فى مواضع كثيرة من الكتاب فى شيء من التفصيل إلى علاقة السلطان بالحشيشة ومدى الكره الذى كانت تكنه له هذه الطائفة ومدى استغلال الصاييين لذلك المرف .

ولا يمكننا أستعراض المصادر العربية دون ذكر ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٧٢ م) (١) وكتابه « وفيات الأعيان » فهو من المصادر

(١) هو أبى الياس شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بأبى خلكان . ولد سنة ٦١٨ هـ / ١٢١٦ م ، تفقه بالموصل وتولى قضاء الشام سبع سنوات ثم هزلتأنا وأمكنه هاد الى ذات المنصب بعد سبع سنوات أخرى ، ولزيد من التفاصيل انظر المكتبى : وفيات الوفيات ج ١ ص ١٠٠ - ١٠١ ، مقدمة وفيات الافان ج ١ ص ٤ - ١٦



الهامة التي رجعنا إليها وقد جاء في ثناياها ترجمة سيرة بعض رجال القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) . والمعروف أنه اعتمد في ذلك على ما كتبه الآخرين من قبله أو ما سمعه هو بنفسه ممن عاصر تلك الاحداث ، ومن أهمهم نور الدين محمود . إذ أفادنا في إيضاح بعض الجوانب الغامضة في العلاقات التي نشأت بينه وبين زعيم الاسماعيليه بالشام راشد الدين سنان وما يذكر أن تلك المعايير التي ذرودنا بها غفلت عن ذكرها كثير من المصادر الأخرى سواء كانت معاصرة أو متأخرة زمنياً ، واذكر على سبيل المثال خطابات التهديد التي توارها كل من صلاح الدين وسنان والتي تعرضنا لها بالتفصيل في ثنايا الكتاب ومع ذلك فقد بخل علينا ابن خلكان عندما مرر الكرام على الكثير من الوقائع والاحداث التي تعتبر أساسية في صلب العلاقات الصليبية الاسماعيليه . فمثلا لم يتعرض لتلك الحلة التي وقف فيها كل من اسماعيلية الشام بزمامة أبي الوفاء والصليبيين بقيادة ريموند الاول صاحب طرابلس ضد نور الدين محمود والتي أنتصر فيها الاخير بعد أن قضى على أعدائه . ووقف ابن خلكان نفس الموقف عندما تحدث عن سيرة صلاح الدين فرغم وجود الكثرة الشديد بين هذا السلطان وراشد الدين سنان ومحاولة الاخير التخلص منه مرتين ، إلا أنه لم يكلف نفسه حتى بالإشارة إلى ذلك خاصة وأن مثل هذه المحاولة تعتبر صفحة هامة في تاريخ صلاح الدين . والدليل على ذلك أنه لم يتعرض لترجمة راشد الدين سنان الذي ذاع صيته وأشتهر اسمه ولم يكن مؤرخو العصر يجهلونونه وكانوا



يعرفون تماما الدور الذي قام به في تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة ، وفي التاريخ الاسلامي الوسيط بصفة خاصة .

ونختتم هذه المجموعة من المؤرخين العرب بابن واصل (١) التوفى في اخريات القرن السابع الهجري (أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) . وقد ورد في تاياه كتابه المنشور تحت اسم « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » وقائع واحداث هامة عن تاريخ أسمة عيلبة للشام وكذلك الصلة التي كانت قائمة بينها وبين السنيين والآثار التي ترهنت على ذلك بالنسبة للصليبيين ، وقد أمتاز هذا الكتاب بأنه تاريخ كامل لدولة بني أيوب في مصر والشام ، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأن ابن واصل مرورا سريعا على الكثير من الاحداث التي كان يجب أن يقف عندها لاهميتها التاريخية بالنسبة للأنصالات الصليبية الاسماعيلية في المنطقة ، خاصة وأنه تعرض لوقائع وأحداث أقل أهمية . وكنا نتوقع أن يفيض في تفاصيل ظروف - مدار السلطان صلاح الدين لقلمه مصيفا ولكنه أغفلها دون سبب واضح .

(١) هو جمال الدين أبو عبد الله بن محمد بن الم بن نهر الله بن سالم بن واصل فاضل حيا . ولد عام ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م وطاف في بلدان الشرق الادنى الكبرى وعواصمها وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب وبغداد ومكة والمقاورة . وتم نشر كتابه «مفرج الكروب» في خمسة أجزاء قام بتحقيق الثلاثة أجزاء الأولى منه الاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال وقد انتهى فيه الى حوادث سنة ٦١٥ هـ أما الجزء ان التذلل بتميزان بحوادث سنة ٦٤٥ هـ فلها الدكتور حسنين محمد ربيع تحت اشراف الاستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور . وتولت نشرها دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٧ على التوالي . وللمزيد من التفاصيل انظر: جمال الدين الشيال في مقدمة كتاب مفرج الكروب ج ١ ص ٤ وما بعدها .

ومن أم مؤلفات القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) التي ينبغي الاشارة اليها في هذا المقام والتي خدمت جانباً من البحث أو زاوية من زواياه كتابا « كنز الدرر وجامع الدرر » و « در التيجان وغرر تواريخ الزمان » لابن ابيك (ت ٤٥٧ / ١١٣١ م) . وأن كان الكتاب الاول قد احتوى على سرد الحوادث التاريخية على غرار نظام الحوليات المعروف ، الا أن الكتاب ثاني قد بدأ يذكر الالبياء منذ الخليفة وانتهى حتى سنة ٥٧١ . وبلاحظ أن ركز تماما الكاتب على مقاييس النيل طوال السنوات التي تعرض لذكر حوادثها . فضلا عن أنه اقتصر على ذكر ملوك الدولتين الفاطمية والابوية في مصر فحسب . كما أن كتاباته كلها لا تتخذ الصورة التفضيلية عند ذكر الاحداث ، وإنما أكتفى بذكر الحادته فقط دون التوسع في سرد تفاصيلها . فمثلا عندما تعرض لموضوع هجوم الاسماعيلية على صلاح الدين إثناء حصاره عزاز لم يذكر سوى أن هذا السلطان قد جرح بخناجر الغداوية وأنه نجح من الموت باعجوبة .

وهناك أيضا كتاب « نهاية الارب في فنون الادب » للنوبري (ت ٥٧٣٢ / ١٣٣٢ م) وهو أولى الموسوعات التي ظهرت في عصر المماليك والتي تعرضت لمختلف العلوم والادب والفنون وقد بدأ المؤلف كتابه بالطريقة التقليدية و سرد الحوادث التاريخية منذ بدء الخليقة . وتعرض خلال سرده لاحداث القرن الثاني عشر الميلادي إلى بعض احوال اسماعيلية الشام والعصا التي كانت بينهم وبين الصليبيين ومن ين ما نشر من مراجع هذا القرن كتاب « ذيل مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » لليونيني (ت ٥٧١١ / ١٣٢٦ م) وقد استفدنا منه عند تعرضنا لعلاقات الظاهر بيبرس باسماعيلية الشام وتأيدهم له ضد القوى الصليبية في الشام فقد مالج هذه الناحية بشيء من

التفصيل وإلى جانب كتاب « ذيل مرآة الزمان » هناك مؤلفات أخرى وهامة مثل « المختصر في أخبار البشر » لآبي الفدا (ت ٧٣٢ / ٥ م ٣٣١) ، و « العبر في أخبار من غير » لآذهبي (ت ٧٤٨ / ٥ م ١٣٦٨) ، و « تنه » و « المختصر في أخبار البشر » لابن الوردي (ت ٥٧٤٩ / ٥ م ٢٦٩٨) والكتاب الأخير يعتبر تكملة للسلسلة التاريخية التي بدأ حلقها أبو الفدا في كتابه المشار إليه . و جدير بالذكر أن كليهما أكتفى بسرد مضمون الحوادث التاريخية دون التوسع فيها ، فضلا عن أنها لم يأتيا بمجديد عن سبقها من الكتاب والمؤرخين .

وإلى جانب هذه المؤلفات، هناك أيضا كتات «الوافي بالوفيات» للصفدي (ت ٥٧٦٤ / ٥ م ١٣٦٣) ، و « فوات الوفيات » للكتبي (ت ٥٧٦٤ / ٥ م ١٣٦٣) و « ما لم ينشرنا بعد ، و « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكي (ت ٨٧١ / ٥ م ١٣٧٠) و « البداية والنهاية في التاريخ » لابن كثير (ت ٥٧٧٤ / ٥ م ١٧٣) .

وهناك مؤرخ له أهمية كبرى بالنسبة لموضوع البحث وهو أبو فراس صاحب كتاب « فصل من اللفظ الشريف لناقب راشد الدين » وقد قام بنشره المستشرق جويارد . ومن الملاحظ أن هذا المؤلف استعرض مناقب هذا الزعيم الاموي فحسب . وقد ألصق به كثير من القصص والأساطير الخيالية التي تمجده وهذا يدل دلالة واضحة على مدى تميزه له . وما لاشك فيه أن هناك جوانب أخرى في حياة راشد الدين لم ترد في كتاب أبي فراس بينما أعقبتها المصادر الأخرى أو مرت عليها من الكرام . وأن الطارقة التي عالج بها أبو فراس موضوعه تجعل ملورد في مؤلفه من مؤلفات أقرب إلى الأساطير



منها إلى الحقيقة التاريخية بحيث يهين، ابنا تنازلها بحمطة وحذر لاسه خلاص المامة التاريخية منها .

أما بالنسبة لمؤلفات القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) فرغم أنها بعيدة زمنيا عن فترتنا إلا أننا أفدنا منها من عدة نواح . ونذكر على سبيل المثال مخطوطة « الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين » لابن دقان (ت ٨٠٩ / ٥٨٠ م) ، و « عقد الجمان في تاريخ أهل زمان دلعي » (ت ٨٥٠ / ١٤٥١ م) ، و « فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر » لابن بامر (غير معروف تاريخ وفاته) ، و « الدر الثمين في سيرة نور الدين دلابن قاضي شهبه (ت ٨٠٤ / ١٤٦٩ م) وهو كتاب عظيم الفائدة وبخاصة فيما يتعلق بأحوال الفترة التي عاصرت وج. ود الاسماعيلية بالشام . ورغم أن هذا المؤلف تخصص في جمع سيرة نور الدين إلا أنه لم يشر ولو مرة واحدة إلى وجود أية علاقة بينه وبين اسماعيلية الشام بصنفة عامة وبين شيخهم راشد الدين بصنفة خاصة - وهو الذي كان معاصرا له - ، ولو أن بن خلكان سد هذه الفجوة في كتابه « وفيات الاميان » كما سبق أن اوضحنا حقيقة أن الصلات التي كانت قائمة بين القطبين لم تكن بارزة بالمعنى المفهوم إلا أننا كنا نتظنر منه أن يتناولها في مؤلفه . ونضيف إلى هذه المخطوطات كتاب « المعبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون (ت ٨٠٨ / ١٤٠٦ م) (١) وهو من الكتب العامة المطبوعة ، وكتب « تعاظ الحنفا بأخبار الأئمة - الفاطميين

(١) هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ، ولد سنة ١٣٣٢ م وتوفي سنة ١٤٨٦ م وأرتبط به بمقدمته . وللمزيد من التفاصيل انظر بسرى الجاهري : المعبر الجزالي والكشوف الجزائرية ص ١٠١ - ١١٣ .



الحلقة « و « السلوك لمعرفة دول الملوك » ، و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » للمقريزي (ت ٨٤٥ / ٥١٤٢٢ م) ، وقد غدا أولها من المراجع الرئيسية في عصر الفاطميين ، والثاني في عصر الأيوبيين والمماليك .
 يضاف إلى ما تقدم كتاب «المنهاج الصافي والمستوفى بعد الوافي» ، و «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ / ٥١٢٠٩ م) وأولها كتاب خاص بالتراجم وتاريخها التاريخ مصر منذ الفتح العربي إلى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي ومن الملاحظ أن هذا المؤرخ أغفل حقائق كثيرة وخاصة ما حدث لصالح الدين في الشام أثناء حصار حاب عقب وفاة نور الدين محمود والمعاب التي لا تأمن قبل طائفة الحشيشية . ويرجع هذا إلى أحد عاملين أولها أما أن المؤرخ قصد ذلك ، وتاريخها أن المصادر التي نقل عنها لم تنشر إلى هذه الحادثة . وفي رأينا أن الاحتمال الأخير غير مقبول لأن المؤرخين الذين نقل عنهم بن تغري بردي مثل بن الأثير وأبا شامة قد أفاضوا في سرد هذه الحوادث ، فيما تجاهلها هو ، ولا يبعد لذلك مبررا حقيقيا مقولا .

وفضلا عن هذا لم يتعرض هذا المؤرخ إلى حادثة هامة في تاريخ الدولة الأيوبية بشي . من التفصيل وهي مؤامرة عمارة اليماني من أجل القضاء على صلاح الدين وإعادة المذهب الشيعي والدولة الفاطمية إلى مصر . ولما كان لهذه المؤامرة من أثر بسبب اشتراك ثلاثة أطراف كبرى فيها وهي الصابيين والحشيشة وكبار أميين الشيعة الموجودين في مصر في ذلك الوقت ، كان عليه أن يسجلها في كتابه خاصة وأن هذا المرجع قد أختص بذكر ملوك مصر والقاهرة . وهناك أيضا كتاب «الذر المنبجج في تاريخ حاب» لابن الشحنة (ت ٨٩٩ / ٥١٤٨٥ م) . ومن المؤلفات الأخرى التي كتبت في



فترات أخرى « شفاء القلوب في مناقب بني أيوب » وهو مخطوطه مؤرخ مجهول . وقد انتصر صاحبها على ذكر حادثة بني أيوب . ورغم ذلك اغفل سرد تفصيلات كثير من الحوادث الهامة التي كانت تستحق الوقوف أمامها بالتعليل والتبرير . فبالا عندما أشار المؤرخ إلى محاولة اغتيال اسلطان أثناء محاصرته حلب وهزاز ثم محاولته الانتقام من الاسماعيلية بمحاصر معيبي ، نراه يمر مر الكرام على هذه الوقائع ولا يزد ماجاه عنها في كتابه مما ورد في مؤلفات غيره ، بل يكاد يكون أفلم . وهناك أيضا مخطوطه « الله - الجنة المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك » للخزرجي الانصاري (غير معروف تاريخ وفاته) ، و « عيون الاخبار » لابن أبي سرور (ت ١٠٧ / ١١٩٠ م) وهما لم ينشرا بعد ، و « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات (١) (ت ١٠٧ / ١٠١٠ م) ، و « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » للحماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ م / ١٦٧٩ م) :

وبين الكتب العربية الأخرى التي اعتمدنا عليها بعض الاعتماد، كتب تاريخية سابقة لموضوع البحث مثل « الفرق بين الفرق » البغدادي (ت ١٤٧٠ م / ١٢٩٠ م) ، و « كشف أسرار الباطنية » للحمادي اليمني . وكتب جغرافية

(١) رجعت الى الجزء المنشور منه أجزاء من حوادث سنة ٥٦٣ هـ حتى عام ٥٦٥ هـ (١١٦٨ - ١٢٠٩ م) وقد نشره الدكتور محمد سعد الشباع وساعدت جامعة البصرة على طبعه . وصدر تحت عنوان « تاريخ ابن الفرات » والمجلد الرابع الجزء الأول يتد من سنة ٥٦٣ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ وقد طبع سنة ١٩٦٧ ، والجزء الثاني وبحوى الفترة من سنة ٥٨٧ هـ حتى سنة ٥٩٩ هـ وقد طبع سنة ١٩٦٩ ، ويبدأ الجزء الأول من المجلد الخامس بحوادث سنة ٦٠٠ هـ ويمتد حتى سنة ٦١٥ هـ وطبع سنة ١٩٧٠ . انظر من ابن الفرات : المنهل الصافي - ٥ - ورقة ٣٠ - ٣١ .

لغفل كتاب « المسالك والممالك » للاصطخري (١) (عاش في القرن الرابع
هجري - القرن العاشر الميلادي) وكتاب « المسالك والممالك » و« مناقب
والممالك » لابن حوقل (٢) (عاش في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي،
ورحلة ابن جبير (ت ٦١٤ / ١٢١٧ م) ، وكتاب « معجم البلدان » لياقوت
الرومي الحموي (٢) (ت ٦٢٦ / ١٢٢٨ م) ، وكتاب « آثار البلاد وأخبار
العباد » ، و « هجاء الخلوقات و«غرائب الموجودات » للقزويني (ت ٦٨٢
/ ١٢٨٣ م) ، وكتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » للانصاري
الدهشقي (ت ٧٨٧ / ١٣٢٦ م) ، وكتاب « تقويم البلدان » لابي الفداء
(ت ٧٢٢ / ١٣٣١ م) . وإلى جانب هذا يوجد كتاب « مرصد الاطلاع »
ولم يستدل على اسم صاحبه ، وكتاب رحلة ابن بطوطة (١) (ت ٧٧٩

(١) اسمه الحقيقي الشيخ ابو اسحاق وقد عرف بالاصطخري نسبة لاصطخر الكلا
الذي ولد فيه . وفيه ممزوف تاريخ وفاته . ولزيد من التفاصيل انظر يسرى الجوهري
الفكر الجغرافي والكتشف الجغرافية ص ٨٧ .

(٢) عاش في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي ، وقد قضى ثلاثون عاماً في
ترحال دائم واحتوى كتابه على كثير من المعلومات الشيقة الدقيقة الفاتحة على الدراسة
الحقلية ، انظر يسرى الجوهري : الفكر الجغرافي والكتشف الجغرافية ص ٨٩ - ٩٩ .

(٣) ولد في اليونان سنة ١١٧٩ م واختاره أحد التجار المسلمين وأخذ معه الى
بغداد حيث نشأ هناك واشتغل بالتجارة الى أن اعتق سنة ١١٩٩ م . وقد أمضى معظم
حياته في ترحال دائم في العرق الاوسط وخاصة منطقة الخليج العربي . وكتابته يعد
موسوعة كبيرة في الأدب والتاريخ والجغرافية من ١٠٣ - ١٠٤ .

(٤) ولد في طنجة سنة ١٣٢٥ م ويحبر أم شخصية جغرافية خلال القرن الرابع
هجر الميلادي (القرن الثامن الهجري) . وقد قضى ما يقرب من ٢٨ عاماً في ترحال
دائم . ولزيد من التفاصيل انظر يسرى الجوهري : الفكر الجغرافي والكتشف الجغرافية

١٣٧٧ م . وقد حصلنا منه على فوائد عظيمة في دراستنا للنواحي التاريخية والجغرافية والاقتصادية التي تمت بصلة إلى موضوعنا .

هذا عن المصادر الاصلية المعاصرة للفترة موضوع البحث والمتأخرة عننا زمنا ، من هرية وغير عربية ، خطية ومطبوعة : أما عن المراجع الثانوية فهي تنقسم بدورها إلى قسمين أجنبية وعربية . ولاشك أن مراجع المحدثين من أهل الغرب والشرق على السواء أصبحت تسد فجوة كبيرة في تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة وفي تاريخ العلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام على وجه الخصوص وفيما يتعلق بالمراجع الأجنبية يعتبر كتابا ستيفنسن رانسيمان S. Runciman (١) ورينيه جروسيه R. Grousset من أفضل ما ظهر في تاريخ الحركة الصليبية وقد وردت فيها إشارات لا بأس بها عن العلاقات الصليبية الاسماعيلية في القرن الثاني عشر الميلادي : وغيرها نجد مؤلفات ستون Setton ، وميشو Michaud وريتمولد رهرشت R. R. Rricht . هذا بالإضافة إلى ما كتبه وليم ستيفنسن W. Stevenson وارشر وكنجز فورد Archer & Kingsford ، وهارولد لامب H. Lamb وكالثراب Calthrop ، وكامبل Campbell ، وشالندون Chandon ومبورج Maimbourg : ولويس برييه L. bréhier ولودلو Ludlow ويورجا Irega ، كينج King وستانلي لانيرل S. Lane - Poole . هذا فضلا عن مؤلفات برنارد لويس B. Lewis وماكس فان برشم Max Van Berchem وجريارد Guyard ودفريميري Defrémery وهم من ضمن المؤرخين المحدثين المتخصصين في الكتابة عن تاريخ اسماعيلية الشام . وإلى جانب هؤلاء نجد

(١) نقل هذا الكتاب إلى العربية للدكتور السيد الباز العمري تحت اسم « تاريخ الحروب الصليبية » وهو يقع في ثلاثة أجزاء طبع بيرت ١٩٦٧ - ١٩٦٩ .

شوندر Conder و بول لاغرو Lacroix ويزانث Besan، وبراون Browne وروسو Dussaud وجرساف شلومبرجيه Schlumberger وهنري تريس H. Trece و وودهاوس Woodhouse وقد أخذنا من هذه المجموعة الأخيرة من الكتب فائدة كبرى تبدو واضحة في ثنايا البحث وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الصليبية الاسماعيلية والمرادف التي مرت بها هذه الطائفة أثناء نقل نشاطها إلى الشام في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) .

أما بالنسبة للكتب التي استعنا بها في عرض أحوال لغرب الأروبي في الفترة موضوع البحث نذكر منها ، مؤلفات آدمز Adams وديفيز Davia وأومان Omon وتريفيان بالنسبة لتاريخ إنجلترا ، وميشليه Miciklet وپترز Peters وتارت. Tout بالنسبة لأحوال فرنسا ، إراكوف Parraclaugh ولويس Lewin وستبس Stubbs بالنسبة لأحوال ألمانيا ، وشاب مان Chapman بالنسبة لاسبانيا ، وأوستروجرودسكي Ostrogorsky وفازايف Vasilive بالنسبة لأحوال الدولة البيزنطية ، ومايكوك Maycock وتاوت ، وبل Bell وهاردويك Hardwik ، وبريس B-yce بالنسبة لأحوال البابوية والامبراطورية والصراع الطويل بينهما . هذا بجانب بعض الكتب العامة التي تعرضت لأحوال أوروبا مثل مؤلفات بروك بروك Browk وإيرر Eyre ، وفانك برانتو Funck-Brentano وهنري هالام H. Hallam وكلود جنكنز C. Jenkins ولاندون Iandone وميشيل Michels ، وكارل ستيفنسن C. Stephénspn وتومسون Thompson وبجانب هذا فقد كانت المادة التي أمدتنا بها دوائر المعارف المختلفة وكذلك مجموعة كاهن بريدج في تاريخ المعور الوسطى عظيمة وقيمة خلصنا منها بعض الفائدة .

ونعتم الحديث عن مصادر البحث ودراسة بالمراجع العربية التي أصبحت الآن عامرة بالعديد من المؤلفات العلمية القيمة التي تتناول تاريخ العداوات الصليبية على العالم الإسلامي أو فصلا من فصوله ، والتي زودنا بالكثير من المعلومات والأفكار التي نتصل بموضوع البحث . ويتصدر هذه المؤلفات مؤلف الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور المسمى « الحركة الصليبية - صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي » وهو يقع في جزئين و « الناصر صلاح الدين » و « العصر المملوكي في مصر والشام » و « الظاهر بيبرس » و « أوروبا العصور الوسطى » ويقع في جزئين وكذلك مؤلفات الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق منها كتاب « مملكة بيت المقدس الصليبية » ، وكذلك مؤلفات الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف مثل « العرب والروم واللاتين » ، « العداوات الصليبية على الشام » . ويضاف إلى ذلك مؤلفات الاستاذ الدكتور عبدالعزيز سالم مثل « طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي » ، و « دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي » وكذلك كتاب الاستاذ الدكتور حسن حبشي « الحرب الصليبية الأولى » ، « نور الدين محمود والصليبيون » ، ومؤلفات الاستاذ الدكتور حسن إبراهيم مثل « تاريخ لدولة الفاطمية » ، « تاريخ الاسلام السياسي » ومؤلفات فيليب حتى وعلي رأسها « تاريخ سورية ولبنان - فلسطين » ، « تاريخ العرب » . وكتاب « منتخبات اساهيلية » لعادل العوا ، وكتاب « تاريخ الدعوة الاساهيلية » للدكتور مصطفى غالب خمس رسائل اساهيلية ، « سنان وصلاح الدين » لعارف تامر ، « تاريخ الجيوش الصرية » و « تراجم اسلامية » لمحمد عبد الله عنان ، « دولة القرارية » و « عبيد الله المهدي » لطفه شرف ، و « طاقة الاساهيلية » للدكتور محمد كامل حسين ، و « لعاب » الاعلام الاساهيلية للدكتور مصطفى غالب . فضلا

عن بعض أعداد مجلة كلية الآداب ، بجامعة الإسكندرية ، ومجلة المشرق اللبنانية فقد وردت بها دراسات هامة عن أحد -وال طائفة إسماعيلية الشام . ولاننى فضل كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » لكارل بروكلمان هذا بجانب العديد من الكتب التي افدنا منها بطريق مباشر أثناء تناول قضايا البحث ومشاكله .

هذا عرض نقدي تحليلي لمصادر البحث ومنابعه ، من شرقية وغربية ، عربية وأوروبية ، خطية ومطبوعة . واستطنا أن نوضح تاريخ العلاقات التي كانت قائمة بين الصليبيين وإسماعيلية الشام في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) وخلصنا من ذلك إلى أن طائفة إسماعيلية الشام كانت تعمل لمصلحتها فحسب دون النظر إلى مصلحة أى من الصليبيين أو المسلمين ، كما كانت تتقلب في خدمة الأعداء والأصدقاء من أجل الوصول إلى هدفها المنشود وهو التوسع والاستقرار من أجل الإبقاء على المذهب الشيعي وتدعيم أركانه والقضاء على المذهب السني .



التسليح الأول

العائلة الاسماعيلية : نشأتها ونظمها - وقلامها وشيوخها
نشأة المذهب الشيعي وأهم فرقه - ظهور الطائفة الاسماعيلية -
سفر ابن الصباح إلى مصر في عهد الخليفة الفاطمي المعتز
بالله - تكوين أول دولة اسماعيلية في فارس - انقسام الطائفة -
نظم الاسماعيلية ومراتب الدعوة - جنة الحشيشية - أساليب
الاسماعيلية في الاغتيالات - وسائل دعابهم - طرق اجتذاب
الناس لاعتناق المذهب - عقائد الاسماعيلية - تعدد اسمائهم -
قلاع الدعوة ببلاد الشام - شيخ الجبل في المصادر العربية
والأجنبية وأهمية الدور الذي قام به في الصراع الصليبي
الاسلامي .

موضوع الكتاب هو حلقة هامه من حلقات الصراع الصليبي الاسلامي ، وقد جعلنا عزرائيم الصليبيون واسماعيليه الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر الميلادي - القرن السادس الهجري) . فمع بداية هذا القرن كان الصليبيون قد أسسوا اماراتهم في الاراضى المقدسة مستغلين الخلف والانقسام بين المسلمين في الشرق الأدنى الاسلامي سياسيا ومذهبيا ومع نهايته كان المسلمون قد أفاقوا واتحدوا وواجهوا الضربات القوية للتلاحقة إلى معازل اللاتين في الشام وفي أثنائه كان أهل القرب اللاتين والفرنجة الذين استقروا في الشرق يعملون بكل السبل والوسائل لتثبيت كيانتهم في المعازل والقلاع التي أقاموا بها . ولم يعرف اللاتين عن اتخاذ أى خطوة لتدعيم وجودهم في الأرض المقدسة . وكان من الطبيعي أن يستغلوا الخلاف المذهبي بين المسلمين من شيعة وسنة ، وأن يستفيدوا من انداء التقليدي المستحكم فيها لصالح القضية الصليبية . وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الخلاف رذلك العداء إلى اتاحة الفرصة لاتصالات وعلاقات تتشابه فيها ثلاثة أطراف هي : اللاتين والسيون والشيعة . وكان كل طرف من هذه الأطراف الثلاثة يتصرف وفقا لما تليه عليه مصالحه . وهكذا شبت منطقة الشرق لادنى الاسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) صراعا سياسيا واتصالات دبلوماسية تشابتت فيها هذه القوى الثلاثة وتداخلت في بعضها تداخلا شديدا فضلا عن الاحتكاك الدامي بينها .

واستقر تفهم طبيعة هذه العلاقات أسبابها والنتائج والآثار التي ترتبت عليها بحسن أن نمهد لذلك بدراسة مركزه من ظهور طائفة الاسماعيليه في بلاد الشام ونظورها وفعالها ، وهي الطائفة الشيعية التي أصبحت طرفا أساسيا من الاطراف الثلاثة سالفه الذكر ولا يمكن ونحن نؤرخ للحركة الصليبية أن

تفضل هذه الطاقة والدور الذي قامت به .

لقد شعر المسلمون بصد وفاة رسول الله (ﷺ) سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م بخرج الموقف وبماجتهم الماسة إلى رجل يقوم بإعباء الخلافة ويعهد أمور المسلمين . وقد عرضت عندئذ ثلاثة آراء حول اختيار الخليفة . فرأى البعض تخصيص الخلافة لبنى هاشم وخاصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لسبقه إلى الاسلام ولقرابته من رسول الله ولاسنتاره بصفات كثيرة لانتوافر في غيره من سائر الصحابه ورأى البعض الآخر تخصيص الخلافة بالبيت القرشي اسنادا إلى قوال النبي « الاثمة من قريش » . أما الفريق الثالث وهم من الانصار فقد رأوا أنهم أحق بالخلافة لما كان لهم من فضل في تأييد ونصرة الرسول (١) . ولقد انتهى الخلاف وهدأت الثورة بولية أبي بكر الخلافة ، ثم انتقلت من بعده إلى عمر بن الخطاب ، ولكنها تفاقمت في عهد عيان بن عفان وانتهت بقتله وبخلافة علي بن أبي طالب . وألقت أصحاب الرأي الأول المؤيد لخلافة علي عقب وفاة الرسول مباشرة - حوله وساعده على نيل الخلافة فيما بيد ، والوقوف معه ضد منافسه العنيد في الخلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقد أطلق على هؤلاء أسم الشيعة .

وبناء على ذلك فالشيعة هم الذين شايعوا عليا بن أبي طالب منذ وفاة الرسول وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية أما علانا أو جهرا ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم من غيره (٢) .

(١) السيد محمد صادق محمد الصدر : الشيعة ص ١٢ .

(٢) التبرستانى : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٣٥ ، القلنشندي : صح

الامنى ج ١٣ ص ٢٦ .

وعلى الرغم من ذلك فقد اختلفت آراء الباحثين حول تجديد البداية الزمنية الشيعية ويمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - يرى البعض أنها ترجع إلى فترة الرسالة في حياة الرسول حيث التأم شمل جماعة من الصحابة تفضل عليا على غيره من الصحابة وتصله رئيسا (١) .

٢ - يرجع الرأي الثاني للبداية الزمنية للشيعية إلى الموقف الذي نشأ أثر وفاة الرسول حيث التفت حول علي جماعة مؤيدة له وخلافته (٢) .

٣ - يرى البعض ذلك أن هذه البداية ترجع إلى الثورة على عثمان رضي الله عنه

٤ - يرى أصحاب هذا الرأي أن البداية الزمنية للشيعية إنما ترجع إلى الموقف الذي نتج عن مقتل عثمان . إذ خالف طلحة والزبير في الأمر على، وأبى إلا الطلب بدم عثمان ، وقد قصدهما على ليقاتلها ، وتسمى حينئذ من أتبعه على أمره « الشيعة » ، وكان عليا يدعوهم بلفظة « شيعتي » (٣) .

وبالإضافة إلى الآراء السابقة ، فمن المعروف أن كلمة « الشيعة » قد استعملها معاوية بن أبي سفيان مع أتباعه ، وذلك حينما قال لبشر بن أبي أرطأة حين وجهه إلى اليمن : « أمن حتى تأتي صعاء فان لنا بها شيعة » (٤)

(١) كامل مصطلح الشيعي : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص ٢٠ .

(٢) كامل مصطلح الشيعي المرحم السابق ص ٢٧ .

(٣) يحي هاشم حسن فرشل : نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية

ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) كامل مصطلح الشيعي : الفكر الشيعي ص ٢٧ .



فهل معنى ذلك أن لفظة « الشيعة » قصد بها أيضا من تشيع

لمعاوية ؟

على أبة حال ، يرى الباحث وسط هذا الخلاف حول الصحيد
 الزمى للفظ « الشيعة » أن هذه اللفظة عرفت في حياة الرسول
 بل وقبل ذلك ، وكان يطلق حينذاك على كل من يتشيع
 حول الرسول أو حول أى شخص ما أنه من شيعته . ولكن بعد
 وفاة الرسول أضيق على هذا اللفظ مفهوم آخر ينصب على كل من
 التفت حول على بن أبي طالب، واتخاذة أماما نسجت حوله عقائد الشيعة التي
 تكاملت فيما بعد .

وعلى ذلك يمكن القول أنه منذ ذلك الوقت أصبح لفظ الشيعة يتضمن
 مفهومين أحدهما المفهوم العام ، والثاني مقصور على اتباع على بن أبي
 طالب وبناء على ذلك يتضح أنه ليس كل شيعى علوى ولكن كل علوى
 شيعى .

هذا ، وقد انقسمت الشيعة إلى أربع فرق أساسية هي : الزيدية، والأثنا
 عشرية ، والكيانية ، والاسماعيلية ، وقد تفرعت عن كل منها فرق أخرى
 عديدة .

أما الزيدية فهم القائلون بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي
 طالب ، وكان زيد يميز أمامة أبى بكر وعمر رغم أن عليا كان أفضل الصحابة
 عليهم . إلا أن الامامة ذهبت إلى الشيخين لأن ناصحة العامة قد اقتضت ذلك
 لتسكين نائرة الفتنة ، وكان مذهبهم في الامامة أنها تجوز في أى من أولاد على
 من فاطمة رضى الله عنها سواء كانوا من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين

بشرط أن يكون طالما زاهدا شجاعا وسخيا (١) . وقد تعرضت من الزبيدة فرق كثيرة .

أما الامامة الاثنا عشرية فهم الذين يتبرأون مدة خلافة أبي بكر وعمر ويطعنون في امامتها لانها لم يقدمها عليا ويابعها (٢) . وهم القائلون بامامة اثني عشر اماما أولهم علي كرم الله وجهه ثم الحسن (ت ٥٥٠/٥٧٢م) ، ثم الحسين (ت ٥٦١/٦٨٠م) ، ثم علي زين العابدين (ت ٥٩٠/٥٩١م) ثم محمد الباقر (ت ٥١١٢/٦٣١م) ، ثم أبي عبد الله جعفر الصادق (ت ١٤٨/٥٧٦م) ثم اختلفوا بعد ذلك فاستمر الامامة من بعد جعفر الصادق إلى موسى الكاظم (ت ٥١٨٢/٧٩٩م) ، ثم علي الهادي (ت ٢٥٤/٨٦٨م) ، ثم أبي محمد العسكري (ت ٥٦٠/٨٧٠م) ، ثم جد المهدي المنتظر . وتلقب هذه الفرق بالاثني عشرية حينما لقوهم بامامة اثني عشر اماما وبالوسوية حينما آخر لقوهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنته موسى الكاظم (٣) . والفرقة الثالثة وهي الكيسانية فتنسب إلى شخص يدعى كيسان وقد قيل هو المختار بن أبي عبيد القفي (المقتول عام ٥٦٨/٦٨٦م) ، وسمى كيساناً لأن أباه أبا عبيد ابن مسعود القفي - وكان من كبار الصحابة وسجاً لعل - ذهب بولده إليه

-
- (١) الشهرستاني : المل والنحل ج ١ ص ١٣٧ - ١٤٠ ، القلقشندي : صيغ الاعشى ج ١٣ ص ٢٢٧ ، عبد الله عنان : تاريخ الجعيات السرية ص ٢٧ ، محمد مجاهد مصباح : محاضرات في تاريخ الفرق الاسلامية ص ٤٧ .
(٢) عبد الله عنان : تاريخ الجعيات السرية ص ٢٧ .
(٣) القلقشندي : صيغ الاعشى : ج ١٣ ص ٢٢٨ ، محمد مجاهد مصباح : محاضرات في تاريخ الفرق الاسلامية ص ٥١ .

وهو صغير ، ووضعه بين يديه لمسح على رأسه وقال (كيس . كيس) فلزمه هذا الاسم (١) . وقيل أيضا أن كيسان الذي تنصبا له الكيسانية هو مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو هو تلميذ محمد بن الحنفية (٢) . وسواء أكان هذا أم ذلك ، فنقول الكيسانية بامامه محمد بن الحنفية بمد واة آيه ، وأن الحسن والحسين إنما خرجا باذن محمد ، ولو خرجا بغير أذنه هلكا وضلا ، وأن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك (٣) .

والفرقة الرابعة هي التي تعرف باسم الاسماعيلية وقد لعبت دورا كبيرا في التاريخ ، وكانت أنشطة طوائف الشيعة في بث مبادئ الخروج والهدم . ولا يقصد بالهدم من المبادئ إلا ما ترى أنه يخالف مبادئها ويعارض مع غاياتها السياسية غير أنها تحولت فيما بعد إلى أداة لهدم جميع المعتقدات الدينية والنظم السياسية (٤) . واستمدت هذه الفرقة أصولها المذهبية عن الاصول الشيعة التي وجدت قبيل ظهور طائفة الاسماعيلية نفسها (٥) .

وقد نشأت طائفة الاسماعيلية هذه رسميا فرعا قائما بذاته من الشيعة بعد وفاة اسماعيل بن جعفر الصادق (٦) . إذ نادى البعض بأحقية اسماعيل بن جعفر

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٨ .

(٢) الشهرستاني . المل والنحل ج ١ ص ٣١ .

(٣) يعقوب هاشم فرغلي : نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ص ١١١ .

(٤) عبد الله هنان : تاريخ الجماعات السرية ص ٣١ .

(٥) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٢ .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اسمايلية طعة ١١٧٢ - ١١٧٣ ص ٣٨٣ .

محمد عبد الصالح : دولة بني أيوب في اليمن « رسالة ما-ستير لم تطبع » ص ١٤ انظر كذلك

Ency. Brit., t. XII, p. ١63.



الصادق وابتائه من بعده بالولاية . وعرف هـ-ؤلاه بالاسماعيلية أو السبعية لأن اسماعيل في نظرم هو الامام السابع ، ومن هؤلاء ظهر عبيد الله المهدي مؤسس اقدولة القاطمية في المغرب (١) .

ولقد استند الاسماعيلية في احقود بالامامة إلى بعض الأقوال الصادرة عن آيه - جعفر الصادق ، وغير معروف مدى صحتها ، وربما تكون بدعة من نسج خيال طائفة الاسماعيلية تدعيها لما تؤدي به فيرى أنصار اسماعيل أن الامام جعفر الصادق قد نص على امامته من بعده حيث قال (لوجاه كم أحد بدمافى ابني هذا أي اسماعيل فلا تشكرو أنه امام بعدي) ، وقال أيضا (هذا هو الامام بعدي لما أخذتموه عنه فهو عني) ، كذلك قيل في هذا الصدد أن الامام جعفر الصادق كان قد أوصى بالامامة إلى ابنة الاكبر اسماعيل ثم نجاه عنها وأوصى بها إلى ابنة الكاظم وانقسمت الآراء في السبب فيما نقل ، فيرى أنصار الرأي الأول أنه قد نصح إلى علم جعفر الصادق أن اسماعيل يشرب الخمر ولذا تراجع عن الوصاية له بالامامة بينما يرى أصحاب الرأي الثاني أن اسماعيل قد مات في حياة آيه (٢) .

وقد تعددت الآراء فيما يتعلق بموت اسماعيل بن جعفر الصادق في حياة آية إذ قال البعض بصحة واقعة الموت وأن النص لا يرجع قهقري ، والقائدة في النص

(١) القلة شندى : صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٥ - ٢٢٦ ، ابن خلدون : الدرر ودوران المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٩ - ٣١ ، حسن ابراهيم وطه شرف : هيد اقة المهدي ص ٢٩ - ٣٥ ، مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٨٣ ، لويس شيخو : جولة في الدولة الطولية ص ٤٩٣ .

(٢) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٨٤ .



بهاء الامامة في أعقاب المنصوص عليه غيره فالامام بعد اسماعيل هو ابنه محمد (١) ويرى البعض الآخر أن اسماعيل لم يمت إلا أن أباه قد أظهر موته خشية من خلفاء بني العباس ، فقد حضر اشهد عليه عامل الخليفة بالمدينة - والذي كان قد اعتنق الامة السامية (٢) . وقد انبأ آراء بهذا الخصوص . ويخلص الدكتور مصطفى غالب في كتابه تاريخ الدعوة السامية ، يرى لعله أقرب إلى الحقيقة ويتشبه مع ما يقبله العقل والأحداث التاريخية . فيرى أنه لما شعر الامام جعفر الصادق بالخطر الذي تهدد حياة ابنه اسماعيل بعد أن نص عليه وأصبح ولياً للعهد ، أمره أن يستتر ، وكان ذلك سنة ٥١٤هـ / ٧١٠م خشية نعمة العباسيين . وتدبر الأمر بان كتب محضراً بوفاته شهد عليه عامل الخليفة للباسي أبو جعفر المنصور - الذي كان بدوره اسماعيلياً ، وعلى الفور توجه اسماعيل إلى سلمية (٣) ومنها إلى دمشق ، وظل ينقل سرا بين أتباعه حتى توفي سنة

-
- (١) الشهرستاني : الممل والنحل ج ١ ص ٣٧٩ ، عمد مجاهد مصباح ، محاضرات في تاريخ الفرق الاسلامية ص ٥٢ .
- (٢) يعتقد هذا الرأي على دعامتين ، الأولى أن عمدة الاخ الاصغر لاسماعيل ابن جعفر الصادق كان صغيراً في ذلك الوقت وقد مضى الى السير الذي كان مسجياً عليه ورع الغطاء فأبصره وقد فتح عينيه فعاد عمده فزها الى أبيه وقال : هاشم أخى ... هاشم أخى ، قال والده أن أولاد الرسل هكذا يكون حالهم في الآخرة ، أما الدعامة الثانية فانه نسي الى علم الخليفة العباسي ابن جعفر المنصور بظهور اسماعيل في البصرة فوكل طالب جعفر الصادق ليستغنى الخبر فاحصر الامام حينذاك سجستان وازيدات واطلم الخليفة على شهادة حامله والتي تؤكد وفاة اسماعيل . انظر الشهرستاني : الممل والنحل ج ١ ص ٣٣١ ، مصطفى غالب : تاريخ الدعوة السامية ص ٨٥ .
- (٣) سلمية بلد بها بساطين كثيرين ، بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله

٨١٤٨ / ٧٢٥ م . و خلاصة القول أن الائمة ظلت باقية في عقبه بعد أن اض على امامته سواء كانت وفاته في حياة أبيه أم بعده .

هذا عرض سريع مركز لنشأة اذهب الشيعة وأهم فرقة ، وبخاصة طائفة الاسماعيلية التي لعبت دورا خطيرا أثناء الصراع الصليبي الالامى وحول ظهور هذه الطائفة في بلاد الشام يتحدث مؤرخ لابن من مؤرخي القرن الثاني عشر الميلادي والاحدس المجرى ، وهو ليم الصوري فيقول : أنه كان يقطن في صور وضواحيها جماعة يبلغ عددهم ٦٠٠٠٠ نسمة أو أكثر ، وكانوا يمتلكون عشر حصون في هذه المنطقة ، وبحكمهم سيد يطلق عليه اسم « شيخ » ولم يكن الوصول إلى هذا القصب عن طريق الارث وانما كان بالاختيار . وكان هؤلاء القوم يرتبطون بهذا الرجل برابط الخضوع والطاعة العمياء لكل أمر يصدر اليهم منه ، وكان زعيمهم يكرس كل جهده من أجل الوصول بجماعته إلى أرقى درجات الكمال ، وقد اطلق على هؤلاء الرجال اسم « الحشيشية » ويستطرد نفس المؤرخ قائلا أنه لا يدري المصدر الذي اشتق منه هذه التسمية (١) .

|| ابن عباس بن عبد المطلب ، والغال على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة وريحية ، وتبعد عن حاه ٣٤ كيلو مترا ، وتقع في سهل خصيب على ارتفاع ١٥٠٠ م قد من سطح البحر ، انظر الاسطخري : المسالك والممالك ص ٦١ ، أبو الفدا : تلويم البلدان ص ٦٥ .

Guillaume de Tyr, *Historia Renu in Partibus Transmarinis Gestarum*, Cf. R. H. C. - H. Occ., t I, pp. ٥9٥ - ٥9٦ .
Majmouburg, *Histoire des Croisades*, t. II, p. 29; L'Abbe de Vertot, *Histoire de L'Ordre des Chevaliers*, t. I, p. 188.

وسوف تعرض بالتفصيل شرح هذه الكلمة فيما بعد .

والمعروف على تاريخ هذه الطائفة وهدى المزعج الذي سببه للعالم المعروف
وقعداك والدور الذي قامت به أثناء الصراع الصليبي الإسلامي خلال القرن
الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) بحسن العرض لتاريخ ظهورها
وتأسيس أول دولة لها .

تمكنت الخلافة الفاطمية في الغرب أن تمد سلطانها إلى مصر سنة
٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م متخذة منها المركز الرئيسي للخلافة ، كما نتج عن امتداد هذه
الدعوة الشيعية أيضا إلى فارس والعراق في أواخر القرن الخامس الهجري
(الحدادي عشر الميلادي) ظهور فرقة شيعية جديدة تنتمي إلى الإمامة الاثنا عشرية
أخذت تشق طريقها نحو السلطان والمملك وقد اتجهت هذه الفرقة نحو الخلافة
الفاطمية تستمد منها الإلهام والمعضد الروحي (١) .

وعرفت هذه الفرقة الجديدة فيها بعد في مختلف الأمصار بأسماء مختلفة مثل
الباطنية والمزدكية والتعايمية ، كما عرفت في الشام أيام الصليبيين باسم الحشيشية
والباطنية وهو أشهر القابها وأخصها (٢) . ولقد كان لهذه الفرقة شأن كبير في

(١) محمد عبد الله عنان: تراجم اسلامية من ١٢٠٠ ، انظر كذلك المراجع

الاجنبية التالية :

Runciman, op. cit., t. II, P. 119, Berchem, épigraphie des Assassins de Syrie p. 453.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ابن الجوزي: تليس

البيس ص ١٠٣ - ١٠٦ ، الفلستندي: صبح الاغصان ج ١٣ ص ٢٤٥ ، الحامدي :
كشف اسرار الباطنية ص ٨ ، انظر أيضا : برنارد لويس : أصول الاسماءية ص ١٨ ،
الصيد المزاري : فرقة النزارية ص ٤ ، عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٧٦ .

ذلك الوقت برئاسة زعيمها الحسن بن الصباح (١) الذي اغتدى للدعوة الاسمايلية
 وتمتق في معرفة مبادئها والامام بدقاتها .

وقد عرف ابن الصباح في سنة ٥٤٩١ / ١٠٧١م أثناء جولته في اقليم
 الري على عبد الملك بن عطاش رئيس الدعوة الاسمايلية بأصبهان (٢) . وتلذذ

(١) النويري : نهاية الارب في فنون الأدب ج ٢٤ لوحة ٧ : ٥ ، القلشندي :
 صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٥ .

وهو حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسن بن الصباح الطبري ، ولد في مدينة
 الري سنة ٤٤٤ / ١٠٥٢م وتلقى العلم في مدينة نيسابور على يد الموفق النيسابوري
 أحد علماء السنة المشهورين في ذلك الوقت . ولم يكن تعليه للمذهب السني مقدودا لذاته
 وإنما كان لتتويبه حيث كان التشيع في هذا الوقت وصحة وسبة . وقد التحق في خدمة السلطان
 السلجوقي ملكشاه ، وحاول أن يفسد العلاقات بينه وبين وزيره نظام الملك لسكي يفوز
 برضاء السلطان ، ولكن لما شعر نظام الملك بذلك سعى من أجل طرده من القصر
 السلطاني . وأصبح منذ ذلك الوقت كمنهما يحلل للاخر كرها شديدا ، وقرر ابن
 الصباح الانتقام منه ، فكان أول عمل بسد تكوين دونه في الموت ارسال أحد فدائيه
 لاقتبال الوزير السلجوقي وكان ذلك في العاشر من رمضان ٤٨٥ / ١٥ / اكتوبر ١٠٩٢م
 وكان هذا الوزير هو أول ضحية له . وقد مات ابن الصباح في ربيع الثاني ٥١٨ / ٥
 ابريل ١١٢٤م انظر العهد الاصفهاني : نصره الفترة وعصره الفطرة لوحة ٦٢ ، ابن
 خلدون : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٠٣ ، طه شرف : دولة الترازية ص ٢٨ ، سعد زغلول
 مجلة نرات الانسانية - المجلد التاسع - العدد الثاني سنة ١٩٧١ ص ١٩٤ ، انظر أيضا :
Mi haud, History of the Crusades, t. III, pp. 118 - 119.

(٢) الري : مدينة من نواحي تروين وكان بناؤها من الجبس ولها سبعة أبواب
 مشهورة هي باب طارق يخرج منه الى الجبال وباب العراق وباب بسان وباب كوهكين وباب
 سين وباب الجبل وباب هشام ، وقد بناها رازين خراسان سنة ١٥٨ / ٧٧٥ في خلافة

على يديه ، وصار به عبد الملك وجعله نائبا له في شئون الدعوة بعد أن لفته أصول العقيدة الاسماعيلية . ثم اقترح عليه السفر إلى مصر ليحظي بحضرة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٤١٧ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤) فضلا عن التمسق في أصول المذهب الاسماعيلي بدار الحكمة (١) .

ويرى ابن خلدون أن توجه ابن الصباح إلى مصر كان فرارا من نقمة أبي مسلم حاكم الري الذي اتهمه بيش الدعوة الاحادية وتستره على جماعة من الدعاة المصريين (٢) . ولكن ابن الصباح كان قد ذكر في مذكراته أن عبد الملك ابن عطاش قد أوصاه بضرورة الذهاب إلى مصر للتعرف على المستنصر بتقديم الطاعة له (٣) .

على أية حال ، وصل ابن الصباح إلى مصر سنة ١٠٧١هـ / ١٠٧٠م متكررا في زي تاجر وقابل الخليفة المستنصر الذي أمره بالدعوة له ، لإبنته نزار من

الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور . وهي كثيرة الخبرات واهرة الغلات واهل سنيون جاهلية . انظر الاصطخري : المسالك والممالك ص ٦١ ، ابن خلدون : صورة الأرض ص ٣٧١ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(١) طه شرف : دولة النزارية ص ٣٨ ، محمد المزواوي : فرقة النزارية ص ٢٢ ، عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ١٠٤ ، عباس العقاد : فاطمة الزهراء ص ١١٠ . هذا وكانت دار الحكمة بمصر تعتبر مقرا ومركزا لتدابة الاسمايلية الفاطمية وهي عبارة عن جامعة أدبية فلسفية وكان من أغراضها بث الدعوة الفاطمية في أنحاء العالم الاسلامي ، وقد أنشأها الحاكم بأمره سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م . انظر : عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٨١ .

(٢) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٩١ .

Michaud, op. cit , t. III, p. 416

(٣)

بعده ، وذلك طبقا لروايات المصادر السنية (١) . أما المصادر النزارية فقد نفت لقاء ابن الصباح مع الخليفة المنتصر . إذ يذكر الدكتور السيد محمد الزاوي نقلا عن الجويني - المؤرخ الاسماعيلي - فيما أورده من سيره ابن الصباح من واقع مذكراته قوله « وبالرغم من أنني لم أحظ بحضوره المنتصر كان واقفا على حالي وامتدحتني مرات » (٢) .

ولعل الرأي الأول المؤيد للقاء ابن الصباح بالخليفة المنتصر هو الصحيح إذ ما المنع من إتمام هذا اللقاء ، خاصة وأن من أهداف زيارته إلى مصر الالتقاء بالخليفة . ثم أنه لا يوجد مصدر سني واحد كان أم شيعي يشك في سفره ووصوله إلى القاهرة . فضلا عن أنه كان من مصلحة الخليفة الالتقاء بابن الصباح والاجتماع به خاصة إذا عرفنا أن ابن ابن الصباح كان مؤسسا لفرقة شيعية جديدة - تتخذ منه ومن أولاده فيها بعد أئمة لها - فمن الطبيعي أن يتم مثل هذا الاجتماع . وما يدعم هذا الرأي أن طول إقامته بالقاهرة ، وهي ثمانية عشر شهرا لا بد وأن تتيح له فرصة اللقاء .

أما عن نفي المصادر النزارية القاطع لحدوث هذا اللقاء ، فربما يكون مقبولا لو أنه كان صادرا من جهة المصادر السنية التي من مصلحةها دائما

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٣٣٩ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٧٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٦٦ ، العيني : حقه الجاث ج ٢٠ لوحة ١٧٢ ، القلقشندي : صيغ الاعشى ج ١٣ ص ٢٣٧ ، ابن القرات : تاريخ الدول والملوك - تحقيق محمد الصالح ج ٤ ص ١٥١ .

(٢) السيد محمد الزاوي: فرقة النزارية ص ٣٤ . وانظر أيضا كتاب برنارد لويس: Lewis, Arabs in History, P 148.

التشوبش على كل ما يتعلق بتاريخ الشيعة ولكن مجرد اتفاق هذه المصادر على حدوث هذا الاجتماع يعتبر كافيًا لمنصديق عليه .

أقام ابن الصباح في مصر عاما ونصف ، ولكن أثناء وجوده بها دب الخلاف بينه وبين الوزير الأفضل بسبب انحيازه إلى جانب بهار ، واستطاع الأفضل الزج به في سجن دمياط ثم فكر في تقيته إلى المغرب حتى لا يسكن مصدر خطر عليه . فأرسله على إحدى المراكب المتجهة هناك ، ولكن قامت عاصفة كادت تطيح بها وانتهى الأمر بها إلى الرسو على الشواطئ السورية مما سهل له الهرب إلى فارس . ومر أثناء رحلته من سورية إلى فارس بحلب ثم بغداد ومنها إلى قوهستان فأجهان وكرامنية ناشرا دعواته ابتداءً من (١) وبعد وصوله إلى فارس دعا للمسننصر ولإبنه نزار من بعده فسميت هذه القرعة بالنزارية لهذا السبب .

ولقد استطاع ابن الصباح الاستيلاء على العديد من الحصون والقلاع ولعل أهمها هي قلعة الموت (١) التي اتخذها مركزا لنشر الدعوة . وثمة

Michaud, op. cit. Lec. cit.

(١)

انظر أيضا طه شرف : دولة النزارية ص ٥٥ ، هداية عنان : تراجم

اسلامية ص ٤٥ .

(٢) تقع في إحدى الوديان المتينة في الشمال الغربي من قزوين ، وقد تيسل في امر بنائها أن ملكا من ملوك الديلم ويسمى شمس الملوك كان كتب الصيد ، فأرسل عقابه وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فأعجب به وأمر ببناء القلعة في نفس المكان وسماها « الله صوت » ومعناها بالديلمى تطهير النفس . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٣٤٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٢١ ، القزويني : آثار البلاد ص ٢٠٠ ، الزوبري نهاية الأرب ج ٢١ لوحة ٥٢٧ ، الصفي : عقد الجمان ج ٢٠ لوحة ٥٢٦ ، دائرة المعارف الإسلامية : مادة الموت - المجلد الرابع (طبعة ١٩٧٢) ص ٢٩

روايات عديدة حول سقوط هذه القلعة في أيدي البطينية ولكنها لا تختلف فيما بينها . ولعل الرواية التي تجمع عليها المؤرخون هي أنه بعد عودة الحدين ابن الصباح إلى فارس بدأ في البحث عن إحدى الفدائع الحمينية لتكون مركزاً يثمنها الدعوة . فلما رأى قلعة الموت ومناعتها طمع فيها وبدأ يخطط من أجل الاستيلاء عليها - فأقام بالقرب منها وأخذ يدعو أهل النواحي سرا لقبول دعوته ، وأظهر الزهد فتبعه أكثرهم ومن بينهم صاحب القلعة - وهو علوي وكان دائماً يجاس بجواره ويتبرك به . فلما تمكن ابن الصباح من موافقه دخل يوماً القصر على العلوي وطلب منه الخروج وتركها ، فقبض العلوي وظنه يمزح ، فأمر ابن الصباح بمض أصعابه بإخراجه فأخرجوه ، وأعطاه مالا ، وملك القلعة في رجب سنة ٥٤٨٣هـ / أكتوبر ١٠٩٠م (١) . ومن هذا ابتدأت نواة الدولة الجديدة التي استمرت قرنين من الزمان .

ولقد كان ظهور هذه الدولة ضربة موجهة إلى سلاطين السلاجقة لأنها أصبحت مصدر خطر بالنسبة لهم . فعارلوا إخضاعها ، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل وكان ذلك أيام الساطان ملكشاه وابنه السلطان سنجر (٢) .

(١) الشهرستاني : المال والنحل : ج ١ ص ٢٤٠ ، ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٣٩ راجع أيضاً عباس المقاد : داطمة الزمراء ص ١١٣ ، عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٥٥ ، السيد الزاوي : فرة النزارية : ص ٩٠ ومن المراجع الأجنبية أنظر :

Ency. of World History, William Langer, p. 272, Archer, The Crusades, p. 245, Lewis, Arabs in History, p. 149.

(٢) النويري : نهاية الأرب ج ٢٤ لوحة ٥٤٧ ، العيني : مقد الجن م ٢٣ لوحة ٥٢٣ أنظر أيضاً :

Browne, Literary History of Persia, t. II, p. ٩٠0, Runciman, op. cit, t. II, p. 120.

بدأت قوة الباطنية السياسية التعلية بعد استيلائهم على قلعة الموت . وأول ما عرف من نشاطهم كان في أيام السلطان الساجوق ملكشاه في بغداد ، حيث اجتمع ثمانين عشرة منهم في ساوة (١) بعد صلاة العيد ، فلما فطن بهم قبض عليهم وحبسهم ثم أطلقهم . ثم دعوا بعد ذلك رؤسنا من أهل ساره كان مقيما بأصهران ، ولما لم يجيبهم إلى دعوتهم قتلوه حتى لا يكشف أمرهم وكان هذا هو أول قتل لهم (٢) .

ولم يلبث أن بدأ صراع مذهبي عنيف أدى إلى انشقاق الطائفة الاسماعيلية عقب وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي في ١٠ من ذي الحجة سنة ٤٨٢ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٠٩٤ م . ويعتبر هذا الصراع من أشد ممانيت به الخلافة الفاطمية طوال تاريخها ، وكانت له آثاره البعيدة المدى على الفترة موضوع البحث . فقد بادر وزير مصر الفاطمي الافضل عقب وفاة المستنصر بدخول القصر وأجلس أبا القاسم بن المستنصر على سرير الخلافة ولقبه بالمستعلي وكان عمره حينذاك سبعة عشر عاما ، ولكن لما علم نزار بذلك رفض مبايعته وقال « والله ما يبايعت من هو أصغر مني سنا وخط والسدي معي ولي صده » ، ودارت مناوشات بين الافضل ونزار انتهت في مدينة الاسكندرية بالقبض

(١) هي مدينة تقع بين الرى وهمدان وأهلها سنية شافعية ، وتقرّب منها مدينة اوه حيث بينهما فرسخات ، أهلها شيعة امامية ، وكانت في تدمر الزمان على ساحل بحيرة هاضت عند مولد النبي محمد . انظر مراد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - نشر T.G.J. Jayuboll ج ٢ ص ٦ ، الفروبي: اثار البلاد ص ٢٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٣٠ ، العين : عقد الجلف ج ٢٣ لوحة ٥٢٢ .

على نزار ورجلته ، وقيل أنه بنى حـ سوله حاططان إلى أن مات (١) . وتشير المصادر الاسماعيليه النزارية إلى أن نزار تمكن من الهرب سرا واتجه إلى فارس حيث استقر بها وأسس الدولة النزارية هناك (٢) .

كيفها كان الأمر . فقد رفض ابن الصباح الاعتراف بامامه المستعلي بل أخذ يدعو إلى نزار (٣) ومن هنا انشقت الطائفة الاسماعيليه إلى قسمين : الأول يضم الفريق المنادي باحقية نزار في الخلافة وقد سمي هؤلاء بالنزارية ، وهم أقل من الاسماعيليه عدا ، وقد نشروا في أنحاء الشام وفارس وفوهندان وأخذوا من قلعة الموت مركزا وعاصمة لهم (٤) ، أما القسم الثاني

(١) الاصفهاني: البستان الجامع لتواريخ أهل زمان لوحة ١٩٩ ، النويري : نهاية الارب ج ١٦ ، لوحة ١٠٤ ، ابن أبيك : در التيجان وخر تواريخ الأزمان ورقة ١٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية : ج ١٢ ص ١٤٨ . ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٦٦ ، القرظي : الخطط ج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ابن تقي بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥٠ ص ١٤٥ ، ابن أبي سرور : عيون الاخبار ونزهة الاجار لوحة ١٥١ ، جال الدين السبكي : مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢١ .

(٢) تم العثور على مخطوط اسماعلي في بيت أحد مشايخ الاسماعيليين في قلعة القدموس يسمى كتاب «الاخبار والآثار» للداعي المغربي : محمد ابي المسكرم ، وهو يحكى أن نزار هرب متخفيا في زي ثمره واتجه الى سجاسه حيث مكث هناك بضعة أشهر ثم اتجه الى الموت واستقر فيها وأخذ يعمل مع ابن الصباح على تأسيس الدولة النزارية هناك ويمكن أصابه المرض هناك سنة ١٩٠٠/١٧ م بعد أن نس بولاية ابنه . انظر انظر مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيليه ص ١٨٣ .

(٣) Encyc. Brit., t. II, p. 627.

(٤) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٨ ، القرظي : الخطط ج ٢ -



فيضم أغلب الاسماعيلية وأتباعه هم المؤيدون لإمامه المستعلى بعد أبيه وأطلق عليهم اسم المستعلى نسبة إلى المستعلى بالله أو البهرة نسبة إلى إتخاذهم العجارة مهنة رئيسية لهم .

ومها يكن ، فبعد أن نجح ابن الصباح في تأسيس دولة الباطنية في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس المجرى) واتخذ من قلعة الموت عاصمة لهذه الدولة أخذ يبت منها الدعاه ويعمل على نشر الدعوة الاسماعيلية وتعزيرها وقد قدر لتلك الدولة أن تهز عرش الملوك والسلاطين ، كما كانت مصدر قلق وخطر للقوتين المتحاربتين في منطقة الشرق الأدنى في القرن الثانى عشر الميلادى (السادس المجرى) وهما الصليبيين والمسلمين . وكان أول مافعله ابن الصباح عقب تأسيس دولته هو وضع نظم خاصة بها اتسمت ببراعة فائقة في الاعداد إذ نظم جماعته تنظيمًا كاملاً أساسه مبدأين هما الصرية التامة والطاعة العمياء (١) . وأن التعرف على هذه النظم وتلك العقائد سوف يلقى الكثير من الضوء على سياسة اسماعيلية الشام حينال نصليبيين والسنيين على السواء خلال الفترة موضوع البحث .

قسم الحسن جماعته الى مراتب ودرجات ، وجعل أصحاب هذه المراتب جميعا يتجهون إلى هدف واحد وهو تفديس إمامهم المستور أو نائبه . كما أنه قصر مهنة حمل السلاح على جماعة واحدة من اشهرت بالقوة الجماعية ،

— ص ٧٧٧ ، عادل العوا : منتخبات اسماعيلية ص ح ط واظر أيضا :
Setton, History of the Crusades, t I, pp 10: - 102.

(١) سعيد ماعور : المرصعة الصليبية . ج ١ ص ١٠٠١



وأعضاء هذه الجماعة هم القداوية الذين يضحون في سبيل إمامهم ، ويعتبرون
 الأداة الفعالة للدولة . وفيما يلي عرض مركز لمراتب الدعوة :

أولاً : مرتبة شيخ الجبل

إن جده الحسن بن الصباح هذا المنصب وظل يتمتع به هو وخلفاؤه من بعده ، ورغم أنه كان يتمتع بكل ما كان للملوك والسلطين ، فلم يلقب نفسه بلقب ملك أو سلطان ، بل كان يفضل لقب « مولانا » أو « سيدنا » ولكن كان أكثر القباة شيوعاً هو « شيخ الجبل » وبخاصة خارج نطاق جماعته ومن قبل الصليبيين لم يوجه الخصر من (١) . ولاتدل هذه التسمية على كبر سن صاحبها ، بل نظراً لأنه كان يتخذ من الجبال مستقراً له ولاتباعه وكان شيخ الجبل يجمع بين يديه إدارة شؤون الدعوة والدولة معاً ، ويعتد تعاليمه إلى أتباعه في فارس والشام وغيرها من البلاد (٢) . وقد وصل الاسماعيلية في طاعته زعمال أو امره على حد قول ابن جبير « بحيث يأمر شيخ الجبل أحدهم بالتردى من شاهق جبل فيتردى ويستعمل في مرضاته » (٣) .

(١) طه شرف : دلة النزاربة . ص ٧٦ ، سيد أمير علي : مختصر تاريخ الصرب

ص ٢١٧ ، ميخائيل شاروويم : التأليف في مذهب أهل التوحيد ص ١٠ أنظر أيضاً .

Michelet. History of Franco. t. 1, p. 84. E'ABBÉ du Verat.
 Histoire de L'ordre des chevaliers, t. I,p. 130.

(٢) طه شرف : دولة النزاربة ص ٧٧ .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٣٤ .

ثانيا : مرتبة كبار الدعوة :

كان العالم الاسماعيلى ينقسم حينذاك إلى ثلاثة أقسام هي الشام وقوهستان واقليم رودبار جنوبي بحر قزوين . وكان على رأس كل واحد من هـو أهل للثقة بمهمته نشر الدعوة الاسماعيلية في الجزء التابع له ويكون رئيسا للدعوة سياسيا ودينيا في اقليمه ويكون خاضعا خضوعا مباشرا للرئيس الأعلى في الموت ، ومن هؤلاء كان يختار شيخ الجبل (١) .

الثالث : مرتبة الدعوة .

وم جماعة من المعروفين بصدق عقيدتهم وطاعتهم وبشروط فيهم أن يكونوا قاهرين على نشر مبادئ الدعوة ويتبعون كبار الدعوة . وكانوا يتلقون تعاليمهم في الموت حيث المركز الرئيسى لتخريج هؤلاء الدعوة ، ومهمتهم دعوة الناس إلى مذهبهم وأرشادهم إلى طريقهم . وكانوا يستقرون مع كبار الدعوة في الأقاليم الثلاثة السابق ذكرها . وكان يقع الاختيار على المؤهوبين منهم لشغل مرتبة كبار الدعوة (٢) .

رابعا : الرفاق

تفقت تلك الطبقة في أصول المذهب الاسماعيلى ، ورغم ذلك لم يؤدّن لأقاربها

(١) . ميد هاتور : الحركة الصليبية : ج ١ ص ٥٥١ ، عبد الله هنات :

تاريخ الجليات النورية ص ٤٧ ، سيد أمير على : تاريخ مختصر العرب ص ٢٧٤ .

(٢) Rapin, History of England, p. ٤52

انظر أيضا ، حسن ابراهيم حسن . تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٦٩ ،

طه شرف : الدولة التزارية ص ٨١ .



بنشر الدعوة وكل مهمتهم هي التفتان في المحافظة على جماعتهم ومذهبهم .
ويمكنهم الوصول إلى مرتبة الدعاة بعد امتحانات وإختبارات طويلة الامد
وشاقة (١) .

خامسا مرتبة الفداوية :

رأى الحسن بن الصباح أنه لن يستطع تحقيق أطمئانه ألا بإنشاء مرتبة
يصبح أفرادها أداة صباه في يديه بوجهها حيثما شاء دون أن يسألوا أو
يحاسبوا ويكرسون أنفسهم من أجل تحقيق رغبته . وكانت هذه هي طبقة
الفداوية . وكان لا يشترط في الفداوي التعمق في أصول المذهب ، إنما
يشترط فيه التفتان في طاعة رئيسه حيث يضحى بنفسه في سبيل أرضائه .
ولقد وصف براون الفداوية بأنهم ملائكة النعمة وأداة الانتقام الفعالة في
أيدى رؤساء النزارية (٢) .

وجدير بالذكر أن المصادر الاسماء لية لم تقدم أية تفصيلات عن كيفية
اختيارهم وتدريبهم ، ؛ يمكن الاستعانة في ذلك ببعض الاشارات المبثرة
التي وجدت في الكتب الحديثة في هذا الشأن . إذ كان شيخ الجبل يحضر
الشباب صغيرى السن من صفوة أبناء الجبال المحيطة بمن تتراوح أعمارهم بين
الثانية عشرة والعشرين ومن تتوافر فيهم الشجاعة والقوة البدنية ، ويرسلهم
إلى منازل الدعاة والمقدمين فيربون على مبادئ المخاطرة والتضحية واحتقار

(١) - سيد عاشور : الحركة النصائية ج ١ ص ٥٠٣ انظر أيضا :

Browne , op cit., t. II, p. 206.

Browne, op. cit loc. cit.

(٢)



الحياة الإشرية فضلا عن اقناعهم بالطاعة العمياء لأوامر زعيمهم (١) وكانوا يقومون بتمرينات شاقة وعنيفة ويدربون على حياة الرهد والمخاطرة والرغبة في التضحية (٢) ولقد عمل شيخ الجبل على تعليمهم لغات مختلفة فضلا عن مختلف العلوم الفلسفية واستعمال كافة أنواع الأسلحة والتدريب على العروسية لخدمة الملوك عند اللزوم. (٣) وكانوا دائما ملتزمين بحجاب لا يمكن اختراقه ، وتلازمهم خناجرهم الحادة المسموحة التي كانوا ماهرين في استخدامها (٤) .

و إن الفداوية يطعمون زعيمهم إلى درجة كبيرة جدا وكانوا يسافرون إلى أماكن بعيدة من أجل تنفيذ أى عملية اغتيال يطلب إليهم تنفيذها (٥) وما

Michaud, op. cit. t. III, p. 4:1, Marco-Polo, Travels p (١)

٢٥. Gayard, Un Grand Maitre des Assassins, p. 314.

وانظر أيضا : طه شرف : دولة النزارية ص ٨٩ ، عباس العقاد : عاصمة الزهراء ص ١١٦ ، عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ١٢٣ .

راجع الاو-ة رقم (١) ص ٦٧ دعى لائمين من الفداوية أثناء تاتيها الاوامر من شيخ الجبل .

Setton, op. cit, t. I, p. 108, Encyclopaedia of Islam, Art Fedawis (٢)

t. II, p. 97, 197.

Felix Fabri, The Book of the wondering, Cf, Palestine (٣)

Pilgrims' Text Society, t. 11, P. 3٤0.

Ambroise, The Crusade of Richard, P. ٢38, Lindlow, The (٤)

Age of the Crusades, P. 229, Besant and Palmer, The History of Jerusalem, P. ٦٦, Thatcher and Schwill, Europe in the Middle age, p. 9٤.

Burchard, Description of the Holy Land, Cf. Palestine (٥)

Pilgrims Textsociety, t. II, p. 10٥, Roger of Wendover, Flowers

لوحة رقم (١)



لوحة لاثنتين من الداوية أثناء تلقيهما الأوامر من سيخ الجبل كما
تصليها المؤرخ بول لاسكروا انظر:

P, Iacoly Chevalerie et les Croisades, p 247.



لاشك فيه أن هذه الطاعة العمياء التي كان التدارية يقدمونها لزعيهم لا بد وأن يكون هناك حافز يشجعهم عليها ، ويجعلهم يمتثلون ويتناغمون على أرضاء زعيمهم . وفيما يتعلق بأصل هذا الحافز قيل أنه بعد أن حصل بن الصباح على ممتلكات قلعة الموت وضمن استقراره في المنطقة عمل على شق قناة وملئها بالمياه وزرع حولها حسدائق غناه بها أشهى الفواكه وأذكي الأزهار والورود . وحرص أن تكون بها كل صفات الجنة ، فأنشأ بها القصور المختلفة الاحجام في أجزاء متعددة وزينها بالذهب والاراني الذهبية والفضية والبلورية واجدع أنهارا من الخمر واللبن والعسل وأخرى من الماء النقي وأسكنها بنخلة من أجل العذارى واللطفاء اللأئي يجدن فن الفناء والرقص والغزف على الآلات الموسيقية كما أسكنها أيضا بعض الفلمن الطرطاء وغير ذلك من المفرجات التي جاءت في وصف الجنة . وأروهم إتباعه بأنه قادرا على إدخالهم الجنة إذا ما نذوا أو امره دون تردد أو مناقشة (١) .

وقد أيد الرحالة ماركو بولو البندقى (٦٥٢ - ١٢٧٥ / ١٢٥٤ - ١٣٢٤م) هذا الوصف حيث زار هذه المنطقة فيما بين عامي ١٢٧٠ / ١٢٧١ -

of History, t. II, P. 501, Trecece. The Crusades, P. 136, Runciman, op. cit. t. II, p. 120.

Michaud, op. cit. t. III, p. 422, Lamb, The Crusades, (١) p. 31, Conler The Latin Kingdom of Jerusalem, pp. 229 - 230.

لمزيد من التفصيلات انظر : ابن الجوزى : تلبس أبياس ص ١١١ ، السيد الغزواوى لبرقة التزارية ص ١٣ ، حر أبو النصر : امة الموت ص ١٢١ .

١١٧٦ - أيام حكم شيخ الجبل علاء الدين ورأى هذه الجنة بنفسه (١) :
وأضاف بأنه لم يكن يسمح بدخول هذه الحديقة إلا للفداوية وبأمر من
شيخ الجبل نفسه ، وكان على مدخل الحديقة قلعة عظيمة صعبة المثال يعجز
اقتحامها وليس لها مدخل آخر (٢) .

وقدم المؤرخ الفرنسي ميشو وصفا يظهر فيه عنصر اللبانة عن جنة الحشيشية
فيذكر أنه يوجد عند مدخل هذه الجنة ثمانية أبواب تؤدي إلى عدد من
الموائل وفي كل حائط سبعون ألف روضة ذات رائحة زعفرانية ، وفي كل
روضة يوجد سبعون ألف قصر ، وسبعون ألف رواق مصنوع من الياقوت
الأصفر ، وفي كل رواق سبعون ألف صالون من الذهب ، وفي كل صالون
سبعون ألف قبة من الكهرمان وسبعون ألف متضدة مصنوعة من اللبنة وعلى
كل متضدة يوجد سبعون ألف طبق شهى . فضلا عن وجود سبعين ألف
ينبوع من اللبن والصل الأبيض ، بالإضافة إلى خيم أرجوانية اللون باخلها
نساء جميلات (٣) .

• مما لا شك فيه أن هذا الوصف أقرب إلى الخيال والأساطير منه إلى
الحقيقة التاريخية ، فضلا عن أن الامكانيات البشرية حينذاك تقف عاجزة أمام

(١) Marco-Polo, Travels, p. 7, Beant and Palmer, op. cit., p. 301.

انظر أيضا ، ميخائيل شارويم : التاليد في مذهب أهل التوحيد ص ١١ .

(٢) Marco-Polo, Travels, p. 78.

وانظر أيضا فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) ج ١ ص ١١٠ .

(٣) Michaud, op. cit. t. III, p. 49.

تثقيداً مثل هذا الأيداع . ويبدو أنه يصف مجازى وكناية للتعبير عن جمال الدقة وحسن الأنظام الذي اشتمرت به هذه الطائفة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان شيخ الجبل يدعو عشرة أو أحد عشر من الفداوية لما نذرة الطعام وبعد أن يتسامر معهم بعض الوقت يعطيهم مشروباً مخدراً ما لعله من نبات الحشيش مما جعل اسم الحشيشية يلصق بتلك الطائفة الاسماعيلية في التاريخ (١) . فإذا ما فقدوا وعيهم يقوم بنقلهم إلى تلك الحدائق الفناء . وإذا طاد لفداوى منهم إلى رشده وجد نفسه في أجل الجذات ووجد كل اللذات التي يتمتع بها بحيث يكون على يقين بوجوده في الجنة . وبعد انقضاء أربعة أيام أو خمسة على هذا الحال يعادون مرة أخرى بنفس الطريقة أى طريقة التصدير إلى ذات المكان الذي كانوا فيه في مجلس شيخ الجبل . وبعد العودة إلىهم وعيهم يمدون شيخ الجبل بجانهم فيسألهم أين كانوا فيجيئون أمام الحاضرين من رجال البلاط بأنهم كانوا في الجنة ، ويبدأون في وصف ما شاهدته تفصيلاً . وعندئذ يخاطبهم زعيمهم قائلاً : « إذا كرستم أنفسكم لاطاعة أوامرى سوف تجدون السعادة في انتظاركم وسوف يحملكم ملائكتى إلى الجنة للتمتع بها (٢) لكل هذا كان هؤلاء الفداوية يرحبون بالموت ، بل

(١) كثر النقاش حول هذه التسمية ومدى ارتباطها بطائفة الاسماعيلية وستعرض لذلك في شيء من التفصيل في الصفحات التالية .

Mishand, op cit., t. III, p. 322; Marco-Polo, op. cit., (٢)
pp. 75-76, Campbell, The Crusades, p. 244, Lamb, op. cit.,
p. 229, Besant and Palnea, op. cit., p. 302, Conder, op. cit., p.
342 Guyard, op. cit., p. 342.

انظر أيضاً : جليل حن: تاريخ العرب - ترجمة مبروك تايح ، المجلد الثاني ص ٧٥ -

لعل هذا يفسر سبب اقدمهم المسور على اغتيال الشخصيات الصليبية والإسلامية
 أثناء الصراع الصليبي الاسلامي في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)
 بل وحتى انتهاء سلطوتهم ودولتهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر
 (النصف الثاني من القرن السابع الهجري) .

وفي الواقع رغم تأكيد الرحالة ماركو بولو كشاهديان لوجود جنة الحشيشة
 إلا أنه لا يوجد أى دليل يؤكد صحة ذلك . ويحل الكاتب كرنر ذلك
 بقوله أنه يحتمل أن يكون هذا الوصف عبارة عن حلم يترأى لهم نتيجة
 لتعاطيهم الحشيش (١) وهنا نتساءل عما إذا كان هذا الفرض أو الاحتمال
 ينسحب على فداوية شيخ الجبل ، وما هو التبرير الذى يمكن الرد به على رواية
 ماركو بولو كشاهد عيان لهذه الجنة ؟ ربما يكون الرحالة البندقي قد سمع هذا
 الكلام أثناء أسفاره وسجله في رحلته المدونة حتى لقد يبدو لمن يقرأ كتاب
 رحلاته أنه قد رأى جنة الحشيشية رأى العين . واهله كانت توجد بالفعل
 بساكنين زاهرة يأنه تجرى فيها المياه ويداخنها كل ما تشتهي النفس وقدّم لها
 عنصر المباحة بحيث أصبحت أقرب إلى الأساطير والخيال منها إلى الحقيقة .
 وهذه كلها مجرد احتمالات لا يوجد تحت أيدينا ما ينفيها أو يؤكدتها بصفة
 نهائية حاسمة (٢) .

أما الكاتب عباس محمود العقاد فهو يرى استبعاد وجود أصل لهذه الجنة

= ، طه شرف : دولة النزارية ص ٩٣ - ٩٤ ، هناك : تاريخ الجمعيات السرية ص ٥٣
 حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٢٧٤ .

Conder, op. cit., p. 230.

(١)

Ency. Brit. t. II, P. 621

(٢)



المزعومة لأنها لم ترد في كلام أي مؤرخ إسلامي قديم ، كما أن المؤرخين العرب المحدثين لم يشرروا في كتبهم إلى أي مصدر من المصادر الإسلامية التي تؤكد وجودها . ولو كانت هناك أي إشارة إليها في أي مصدر من مصادر الشرق الإسلامي لكان الكتاب العرب المحدثون هم أولى بأبداعها من المكاتب الغربيين ويرجع الكتب أن هذه اللجنة من نسج خيال الروايات المليبية، لأن الصليبيين في ذلك الوقت كانوا في حاجة إلى التقليل من شجاعة المسلمين . فأنهزوا فرصة تكوين هذه الدولة الاسماعيلية الجديدة بنظمها الغربية وأشاروا بأن أهلها يسميتون في الجهاد لأنهم يوعدون بالجنة التي أنشأها لها زعيمهم (١) .

وإذا رجعنا إلى الرأي العائل بأن اقبال الفداوية على تدخين الحشيش يجعلهم في وضع يقاب دليهم فيه الخيال على الحقيقة فيتصورون أشياء ومناظر ليس لها وجود ، نجد أن فكرة اللجنة ليست مقبولة ، لأنه ليس من المعروف على مدخن الحشيش أن يحفظوا بوعيم ويفقده في أن واحد وأن يلبس عليهم كاهم أمر الهيان والسمع هذا الالتباس الذي يصور لهم جميعا وصفا واحدا للجنة ونعيمها فضلا عن أنه قد ثبت سلبيا أن مدمن الحشيش لا يستطيع القيام بأعمال بطولية بل يستولي عليه الخوف والحوف ، وهذا ليس بصفات البداوية .

وحيث أنه لا يوجد دليل واحد يثبت وجودها ، فضلا عن انه لا توجد أية اشارة عنها ولو بين ثنايا السطور في المصادر الإسلامية ، فالتناهي إلى الأخذ بتعاليق الأستاذ المقاد ، وذلك من حيث عدم وجود اللجنة وجودا ماديا ملموسا بالوصف الذي وصفت به . إلا أننا نرى أيضا احتمال وجود هذه اللجنة

(١) عباس المقاد : فاطمة الزهراء ص ١١٥ - ١١٦ .

في خيال بن الصباح الذر، يكون قد تمكن من التأثير على أتباعه ذلك التأثير الذي يحدته ما نسميه في العصر الحديث «التزيم المغناطيسي» كأسلوب إيساعده على تحقيق مأربة خاصة وأنه كان منفردا في الرياضيات وعلم الفلك والفلسفة فضلا عن براعه في اتقان ا-يل . فاذا ما وقع الفداوي تحت تأثير بن الصباح يقوم بشحن مخه بكل وصف لاجنة الموجودة في خياله ، فاذا استقبط وماد إلى وعيه يظل هذا الوصف عالقا في ذهنه و يكون له بمثابة اليقين بنقله إلى غيره من الفداوية وعلى هذا ان اقتناع الفداوي بوجود الجنة بالاضافة إلى ايمانه بضرورة طاعة الزعيم تنفيذا للعقيدة الاسماعيليه مما الحافزان له لتقديم الطاعة العمياء لشيخ الجبل وإذا افترضنا أن ابن الصباح وحده الذي كان له القدرة على استخدام أسلوب التأثير القوي أو ما يمكن تسميته تجاوزا التزيم المغناطيسي دون باقي شيخ الجبل فعنى هذا أنه لم يكن لجنة الحشيشة وجود عند الفداوية بعد موت بن الصباح. ولكن رغم كل هذا لم يفقد شيوخ الجبل الآخرين طاعة فداويهم لهم حيث من دأبهم عقيدتهم الطاعة العمياء . وإما بالنسبة لاصحاب الجنة بالطائفة الاسماعيليه على مر السنين بعد موت بن الصباح فقد كان ذلك استنادا إلى وجودها - حسب وصف الفداوية لها - في عهد .

وكان للفداوية أسلوب في الاغتيالات ، فعندما يصدر اليهم الأمر باغتيال أحد الأفراد ، يذهب إذ ذاك اربعة منهم كجواسيس على الضحية وبطريقتهم الخاصة يندمجون مع رجاله واقاربه حتى إذا ما واتهم القرصة يتقصون عليه دون التفكير فيما يسلحق بهم من إضارتهن قبل إتباع الهن عليه (١) . وكانوا



دأما ملثمين يقتلون عريمهم على درأى ومسمع من الناس سواء كان في المسجد الجامع يوم الجمعة إذا كان ضحيهم أحد الامراء المسلمين ، أو في الكنائس يوم الأحد إذا كان ضحيهم أحد الامراء المسيحيين امام آلاف المصلين أو في السوق العامة في وضوح النهار (١) . فثلا كان اغتيال الخليفة الفاطمي الأمر (٨٥٢٤ / ١١١٣ م) امام عامة الناس حيث وثب عليه الفسذاوية وقتلوه أثناء مروره في مركب عظيم تحميه الجيوش (٢) . وكانوا يندسون وسط الزحام ويشون على عريمهم في الفرصة والوقت المناسبين . فاذا فشل أحد الفداوية في قتل الضحية يأتي الآخر ، فاذا فشل ايضا يكون الثالث مسعدا لكي تكون طعنته هي الفاتلة وكانوا يقدمون على ذلك رغم علمهم بأن احتمال نجاتهم من القبض عليهم احتمال ضئيل جدا (٣) .

وكان الفداوية بتدريون على دراسة هــول الذمعية وعاداتها وتقاليدها وبرتايجها اليومية دراسة دقيقة تتكهنهم من انجاز مهمتهم على خير مايرام . كما كانوا بتدريون على فن التنكر والتخفي، فكانوا دائما يبتكرون في زى الصوقية اعطانا في التخفي ، إن من الطبيعي إلا يتوقع أحد شرا من رجال الصوقية (٤)

(١) السيد المزاري : فرقة النزارية من ١٠٣ .

(٢) جادل الموا : منتخبات اساعيلية من ١٠٣ .

(٣) Browne, op. cit., t, II, p. 209 Lamb, op. cit., P. 30.

(٤) Brocardus, Direct Orium Ad Passagium Faciendum, Cf.

R. H. C. - Doc Arm., t, II, p. 496, Cf. Lamb, op cit, Loc. cit.

وكذلك السيد المزاري : فرقة النزارية من ١١٤ . والصوقية م جامعة من الزهاد والمتقنين ظهورا ابان القرنين الأول والثلاثي الهجريين ، وقد صرف هؤلاء تارة باسم الزهاد وتارة أخرى باسم الفساك ، ثم عرفوا منذ أواخر القرن الثاني الهجري باسم =



بل لادن تنكر الفداوية في زى النساء عندما اغتالوا جوهرو وهو رجال السلطان
سنجر السلجوقي سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٠م (١). كما تنكروا أيضا في زى
الخدم - حاملي المياه - الجمالين وغيرهم . وفي أحوال أخرى كان أحدهم
يتربص للضحية وقد استبطن خنجره المسموم متظاهرا أمام الناس بمظهر
الفقير المدم المتصوف أو الشيخ المتبد ثم يطعته عند سماع الفرص طعنة
قاتلة في قلبه (٢).

ومن أساليبهم في القتل أيضا تمثيل أحدهم دور الرجل الكفيف الذي
يجلس على باب الدروب ، فإذا أمر أحد السابلة سألته للكفيف أن يصنع به
معروفا ويأخذ بيده ليوصله إلى باب الدرب فإذا فصل الرجل ينقص عليه
الفداوى ويأخذه إلى دار خصصت لاجتماعات الفداوية فيجردونه من ملابسه
وما يحمل من متاع ثم يقتلونه ويلقون بجثته في بئر أعد لذلك . ولكن الناس
فطنوا إلى حيلتهم هذه فيما بعد وأخذوا حذرهم منهم (٣).

وإذا كنا قد تحدثنا عن خمسة مراتب من مراتب الدنوة هي مرتبة شيخ
الجبيل ومرتبة كبار الدعاه ومرتبة الدعاه ومرتبة الرفاق ومرتبة الفداوية ، فلا

= الصوفية . وتقبل أنهم سموا بذلك لأنهم كانوا يلبسون الصوف ، وتقبل لأنهم كانوا يصفوا
توسمهم . ولقد بدأ الصوف عندها وجدد المسلمون أنفسهم أمام حضارات مختلفة بعد
فتوح الاسلامية فأمن كثير منهم في الأخذ بأسباب الدنيا ، وفي مقابل هذا كانت فريق
من المسلمين على الزهد والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها . انظر على سبيل المثال :
نشأة الفكر الفاسق ص ٣٠ .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٥٤ .

(٢) عمر ابو النصر : قلعة الموت ص ١٣٣ .

(٣) ميخائيل شاروويم : اتنايدي في مذهب أهل التوحيد ص ١٣ .



تزال هناك مرتبتان آخرتان لما دورهما المنوط بهما هما مرتبة اللاصقين ومرتبة المستجيبين . واللاصقون هم الذين يأخذون العهد على الناس دون أن يكون لهم حق نشر الدعوة : كما انهم المسودع الذي يرشح منه الفداوية . ولذا فهم يقومون بتمرينات شاقة تؤهلهم للدخول في مرتبة الفداوية (١) .

والمستجيبون هم العامة أو المؤمنون المبتدئون وعملهم الرئيس زعزعة عقائد الناس عن مخالفتهم في المذهب (٢) .

ولقد أرسى ابن الصباح بهذا النظام دعائم دولته ، وظل هذا النظام طوال حكم النزارية وهو الأساس الذي سار عليه خلفاؤه من بعده حتى نهاية الدولة على ايدي المغول سنة ١٢٥٩/٦٥٠ م . وفضلا عن هذا النظام فقد اتخذ ابن الصباح من علم الفلك وسيلة لتنظيم أمور الدعاية بالدولة بحيث اصبحت الدعاية عاملا أساسيا في نجاح طائفة الاسماعيلية . إذ جعلوا العالم مثل السنة الزمنية . فكما أن السنة مقسمة إلى اثني عشر شهرا فقد قسموا العالم إلى اثني عشر قسما وسموا كل قسم « جزيرة » كما جعلوا على كل جزيرة داعية وهـ والمسئول الأول عن الدعاية فيها وخلعوا عليه لقب داعي دعامة الجزيرة أو حجة الجزيرة (٣) . وكما أن الشهر ثلاثون يوما فأوجب أن يكون لحجة الجزيرة ثلاثون مساعدا لمساعدته في نشر الدعوة واطلق على كل منهم اسم « تقوي »

(١) طه شرف : دولة النزارية ص ٨١ انظر أيضا :

Browne, op. cit., t. II, p. 206.

(٢) طه شرف المرجع السابق ص ٨٢ .

(٣) مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ١٩ ، محمد كامن حسين : طائفة الاسماعيلية

ص ١٣٣ ، محمد عبد التاح عليان : تراجم العراة ص ١٥٩ - ١٦٠ .



وجعلوا تحت اشراف كل تقير أربعة وعشرون داعياً بحسب عدد ساعات اليوم منهم اثني عشر ظاهرين نو-اراً واثني عشر منهم مخفيين ايلاً . وبعملية حساية تقريرية بعد أن الدعاء الذين بهم الاسماعيلية في العالم كان حوالى ٨٦٤٠ داعياً في وقت واحد ، وذلك خلاف عدد آخر من الدعاء الموجودين في مركز الدعوة مع الامام (١) .

ونمة طرق ووسائل عدة لاجتذاب الناس إلى اعتناق المذهب الاسماعيلي . إذ كان يقع على عاتق دعاء النهار في الجزيرة مبة احراج العلماء والفقهاء امام الناس وكانهم تلاميذ يربدون العلم فيألون العالم اسئلة دينية يعجز عن الرد عليها ، ويبدأون في السخرية منه . وعند ذلك يصرع الناس اليم لمعرفة الاجابة ، وكانوا يمدون إلى تركهم مدة ثم يعودوا اليهم مرة أخرى ويتظاهرون امامهم بأنه يوجد أحد كبار العلماء الافذاذ يستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة ، ولم يكن هذا العالم سوى أحد كبار دعاء الاسماعيلية . فيلاطف السائل ويث التمانينة إلى قلبه دون أن يبرز اليه صفة مذهبه أو شيئاً من عقائده . ثم يبدأ بعد ذلك في زعزعة عقيدته عن طريق تشكيكه في احكام الدين تمهيدا لتغيرها واستبدالها بالعقيدة الاسماعيلية كما أنه ي طرح امامه كثيرا من الاسئلة حتى يوهم المدعو بأن هناك أسرار يجب معرفتها (٢) ثم يتركه دون أن يدفه بالاجابة عنها ، فاذا الح المدعو صارحه الداعي بضرورة أخذ

(١) محمد كامل حسين : المرجع السابق ص ١٣٤ ، عمده عبد الفتاح عليان : المرجع

السابق ص ١٦٠ .

(٢) الخدي : كشف أسرار البائنية ص ١٢-١٣ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ

الاسلام ج ٤ ص ٢٧٣ .



العهد عليه ويحيله إلى داعي الخيل الذي يعول ا رة وبأخذ عليه العهد (١). ويمتاز المدعو في هذه المرحلة بضعف الارادة ، وهو ما يساعد الداعي على أن يخطو به إلى مرحلة الكذب والتمويه ، فنراه يدعى ادعاءات كاذبة تزيد من تعلق المدعو بالمذهب ، ويحاول الداعي أيضا اقناع المستجيب بضرورة معرفة المعنى دون ظاهره لأنه الحقيقة (٢). ويبقى على الداعي بعد ذلك تثبيت المعلومات والحقائق التي ادلى بها للمدعو وتقريرها في ذهنه ، فإذا ما انتهى من ذلك يبدأ المستجيب في التولف عن القيام بكافة الترتيبات الإسلامية ، ويسمى بذلك خلعا أو سلخا ، وعلى ذلك فالتخلع معناه اقصاء المدعوين عن حظيرة المذاهب السنية وإن لم يكن عن حظيرة الإسلام نفسه . وعند هذه المرحلة يصل المدعو لمقابلة داعي الدعوة الذي له الحق وحده في تهليم الناس التأويلات الباطنية للقرآن والاحاديث (٣)

وإذا كنا قد تحدثنا فيما سبق عن نظم الدعوة الاسماعيلية التي كان لها اثرها الكبير في الدور الذي قامت به هذه الطائفة اثناء الصراع الصليبي الإسلامي

(١) عماد كرد علي : خطط الشام ج ٦ ص ٤٢٦٣ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٧١ ، طه شرف : دولة النزارية ص ١١٢ - ١١٣ . ويتضمن العهد معنى واحد يبدو حول ضرورة كتمان كل ما يبلى خايه من أسرار الدعوة وعقائدها فضلا عن الطاعة التامة للامام ، والا يخن الله ولا وليه ، ولا يوالى أحدا من اعدائه وأوليئه على هذا العهد حتى لا يكون بريئا منه الله ورسوله وملائكته واوليائه . انظر الفائقندي : صبح الأهلى ج ١٣ ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

(٢) عبد الفتاح عليان : ترامطة العراق ص ١٧٣ .

(٣) مصطفى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٢٠ - ٢١ ، طه شرف : المرجع



في فترة موضوع البحث ، فلا أقل من أن نعرض إلى عقائد تلك الطائفة ولو في اسطر قليلة لانها هي الأخرى كان لها تأثير كبير في علاقتهما مع الصليبيين .

اعتمدت الدعوة الاسماعيلية في اعماقها على عقيدة القرآن الكريم بل وعلى كل عقيدة كانت تكشف حينذاك (١) وقد اختلفت العقيدة الاسماعيلية في كل قطر عن الآخر ، ولعل ذلك يرجع إلى الدعاة في البلدان المختلفة . فرغم أنهم كانوا يستمدون التعاليم من مصدر واحد ، إلا أنهم كانوا يختلفون فيما بينهم بحسب شخصية كل منهم ومدار فهمه للعقيدة ، فضلا عن اختلاف المجتمعات الاسماعيلية نفسها ولكن رغم هذا ، فإنه توجد اسس لاختلاف بشأنها فيما بينهم جميعا (٢) . فالامامة أولى هذه الأسس والمحور الذي تدور عليه العقائد الاسماعيلية ، ويشترط انتقالها من الأب إلى الأبن . وإذا حدثت ويات الأمام عن ولي عهد صغير لا يستطيع تحمل أعباء الامامة بهم اختيار أحد الأشخاص المقربين له ويعهد إليه بتلك المهمة حتى يكبر ولي العهد . وهذا الشخص يطلق عليه الامام الموعود تمييزا له عن الامام الحقيقي ، مع مراعاة عدم حقه في توريث الامامة لاحد (٣) وهذا ، وتشرك جميع أفراد الطائفة الاسماعيلية في الايمان بمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وتسلسل بالنص في اعقابه .

وكانت دعائم الدين عندهم الطهارة والزكاة والصلاة والحج والصوم

(١) Methew d'Edesse. Cf R, H. C. - Duc Arna, t, I, p. 19. (١)

(٢) محمد كامل - عين : طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨ - ١٥٠ .

(٣) محمد كامل - عين : المرجع السابق ص ١٤٠ .



والجهاد والولاية . ولقد ذهبوا إلى أن لكل شيء ظاهر محسوس وأوئلا باطنيا لا يعرفه إلا الأنمة الذين بلغونه بدورهم إلى كبار الدعاء ولكن بالقدر البسيط . كما أنهم أوجبوا الاعتقاد بالظاهر أيضا . كذلك كانوا يعتقدون بأن الإنسان بعد موته تنقل روحه إلى أعلى ، فإذا كان مؤمنا بالامام اندمجت روحه مع الملائكة ودخل الجنة وإذا كان غير ذلك دخل النار (١) . وكان من أكبر الكبائر عندهم أن يرمى أحدهم أهل بيت النبي (صلم) لاسيا الأئمة بكبيرة أو ينسبها أحد إليهم أو يوالي لهم عدوا أو يعادى وليا (٢) .

على اية حال ، ظلت الطائفة الأسماعيلية تحتفظ ببطونها وعقائدها مدة تقرب من قرنين من الزمان كانت خلالها مصدرا خطيرا للانحلال وسببا في إثارة الفرة والحصام والنزاع ببلاد الشام في عصر الحروب الصليبية بصفة عامة ، وفي للقرن الثاني عشر الميلادي على وجه الخصوص .

وإذا كنا قد تحدثنا عن المذهب الشيعي وفرقه ، وهو الذي أنبثت منه طائفة الاسماعيلية بالشام التي لعبت دورا خطيرا في الصراع الصليبي الاسلامي خلال القرنين السادس والسابع من الهجرة (القرنان الثاني عشر والثالث عشر الميلاديان) ، فإن الأمر يستلزم تتوقفه . فبلا أناس طائفة الشام بالذات قبل تحليل موقفه . من القوي المتصارعة على مسرح الاحداث في الشرق الأدنى الاسلامي . فنعرض بايجز إلى تعدد اسمائها وأهم فلاها في بلاد الشام وإلى زعيمها « شيخ الجبل » الذي وردت الإشارة إليه في المصادر المعاصرة للفترة موضوع البحث من عرية وغير عرية .

(١) محمد كامل حميد : المرجع السابق ص ١٧٢ .

(٢) الفلقسني : صبح الاضي ج ١٤ ص ٢١٢ .



عندما يعطّل الباحث لدراسة تاريخ طائفة الاسماعيلية وعلاقتها باليهوديين في القرن ثنائي عشر الميلادي (السادس الهجري) يصطدم بأسماء عديدة أطلقها عليها الكتاب والمؤرخين القدامى والمحدثون من أهل الشرق والغرب على السواء فنما الباطنية ، والحشيشية ، والملاحدة ، والسبعية ، والتعليمية ، إلى غير ذلك من أسماء ومسميات عديدة أخرى . وكانت التسمية الأولى أكثرها شيوعاً واستعمالاً (١) .

ونظراً لأن الاسماعيلية - كما أسلفنا - كانوا يعتقدون أن لكل شيء ظاهر محسوس تأويل باطني لا يعرفه إلا الأمام وكبار الدعاة ، وأن الشخص الذي يدركه الباطن ويوجهه لا يستحق العقاب ، فقد أدى بهم هذا إلى تأويل أحكام للشريعة الإسلامية . فجعلوا لكل نوع من أنواع العقاب باطنا ، ومن أجل هذا عرفت هذه الطائفة باسم الباطنية (٢) . وسمى أتباعها أيضاً بالملاحدة لأن مذهبهم كله الحاد (٣) . أما سبب تسميتهم بالتعليمية لأن مبدأ مذهبهم لإبطال الرأي وفساد تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم ،

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٤ ، ابن الجوزي : تليس إبليس ص ١٠٤ - ١٠٥ ، الهيني : عقد الجمان ج ١٠ ، لوحة ٥٣٣ ، ابن السعنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب ٢٦٥ ، برنارد لويس أصول الاسماعيلية ترجمة خليل جلو ص ٧٦ ، انظر أيضاً : Michaud, op. cit., t. II, p. 419.

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ابن الجوزي : تليس إبليس ص ١٠٤ ، القافقندي صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٥ ، الهيني : عقد الجمان ج ١٠ ، لوحة ٥٣٢ ، سعيد طانور : الحركة الصابئية ج ١ ص ١٠٠ .

(٣) الحادي : كشف أسرار الباطنية ص ٥٨ القافقندي : صبح الأعشى ج ١٣



وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم (١) . وفضلا عن ذلك فقد أطلق عليهم اسم السبعية ، ولقد لقبوا كذلك نسبين أحدهما هو اعتقادهم أن دور الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الأדרار ، والثاني لقولهم أن تدبير العالم السفلي منوط بانكواكب السبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والزهرة والشمس وعطارد ثم القمر (٢) . وأما عن تسميتهم بالإسماعيلية فذلك نسبة إلى إسماعيل ابن جعفر الصادق وهذه التسمية هي الآن الأكثر شيوعا في المراجع الأجنبية والعربية .

وفي الواقع لم يكن هناك أى خلاف في الرأي حول سبب تسميتهم بالأسماء سالفة الذكر ، وإنما كان الخلاف حول مدى التصاق اسم الحشيشية بهم . وقد تصادى في هذا الخلاف المؤرخون الشرقيون والغربيون على حد سواء ، ولم يصلوا إلى نتيجة قاطعة مقبولة بشأنه . فتمه فريق يقول أن هذه التسمية مشتقة من كلمة Hasaniyin نسبة إلى الحسن بن الصباح (٣) . بينما يرى البعض الآخر أنها مشتقة من لفظ al - Assassin « العاسين » أى بمعنى حراس الجبل حيث كان أتباعه خلال أوقات السلم حامين الممدن من اللصوص . ويذكر فريق ثالث من المؤرخين أنها مشتقة من كلمة شاهنشاه (٤) .

وهناك رأي لعله أقرب التفسيرات إلى المنطق وهو أن كلمة « حشاشين »

(١) ابن الجوزى : تاليس ابليس ص ١٠٥ .

(٢) ابن الجوزى : المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٣) طه شرف : دولة التزارية ص ١٠١ .

(٤) مصطفى غالب : تاريخ الدولة الإسماعيلية ص ١١٣ وانظر أيضا :

Jawad Al Muscati, Hassan Ibn Sabbah, pp. 130 - 10٠.



حرف من كلمة « حاسين » من فنن حس وحس في اللغة العربية معناها قطع أو استأصل الرأس ولا نستمدد أن تكون السين قد انقلبت إلى شين مثلما حدث في كثير من الكلمات فأصبحت حش كما يحدث في لفظة الحالية . وتكون هذه الكلمة قد حرفت إلى أساسين عند الصليبيين (١) . وقد وردت في المصادر اللاتينية، والمرنسية القديمة المتعانة بالحركة الصليبية تحت هذه التسمية .

أما الرأي الأخير الذي قيل في تفسير هذه الكلمة هي أنها ترجع إلى تعاطيهم الحشيش سواء كان ذلك من تلقاء أنفسهم ، أو تعاطيهم هذه المادة المخدرة بما فيهم القداوية من قبل زعيمهم ، حيث كان يأتي بأوراق شجر العنب أو الحشيش ويجهزها في أشكال مختلفة كأن تكون على شكل مربعات أو باستمليا أو حلوى أو شراب مسكر (٢) هذا بينما يرى البعض الآخر أن هذا الرأي لا أساس له من الصحة والواقع (٣) .

ورغم أن التسمية مازالت حتى الآن محل جدل ونقاش بين المؤرخين المهتمين بهذه الناحية ، إلى أننا لانميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن زعيمهم كان يعطى اتباعه هذه المادة المخدرة سواء لمرتبة القداوية أو لباقي أفراد مجتمعه ،

(١) جوزيف نيم : السدوان الصليبي، على الشام من ٢٥٣ ، طه شرف : دولة النزارية من ١٥٢ .

Eracles, l'Éstoire de Eracles Empereur, Cf. R. H. C. - H.(v)
Occ., t. II, p. 493, Cf. Michaud, op. cit., t. III, P. 420, Ency.
Brit., t. II, P. 621. Archer, The Crusades, P. 245, Browne, op.
cit. t. II, p. 206. Dassaud, La Syrie Antiquie et Médiévale
Illustrée, t. I, p. 110.
Ency. International, t. II, P. 20. (٣)



والسؤال الذي يفرض نفسه هنا على اللور هو لمصلحة من يفعل شيخ الجبل هذا ؟ هل للسيطرة عليهم حتى يطيعونه طاعة عمياء ؟ أغلب الظن أن الاجابة لا تكن في هذا الرد لسبب بسيط هو أن أساس العقيدة الاسماعيلية تقديم الطاعة العمياء إلى زعيمها . فهو ليس بحاجة إذا إلى افتعال وسيلة يحصل بها على هذه الطاعة طالما أنه سيحصل عليها بموجب العقيدة نفسها .

أما إذا كانت هذه التسمية قد اطلقت عليهم لادبائهم هذه المادة من تلقاء أنفسهم فهذا أيضا غير مقبول ، لأننا نعلم أن المجتمع الاسماعيلي كان منظما على اكل وجه ، فليس من المقول أن يكون أفراد هذا المجتمع - وهم احد عوامل نجاحه - يدمنون الحشيش . كما انه من المعروف ان ابن الصباح قد حرم شرب الخمر بين افراد مجتمعه حتى لا ينتشر الفساد بينهم ، ووصل به الامر إلى جلد أبنه حتى مات أمام أهين الناظرين لعلمه بأنه قد شرب الخمر في إحدى المرات (١) . فما بالنا لو علم باقبال اتباعه على تعاطي الحشيش ، خاصة وأن عيونهم كثيرة ومنشرة في انحاء مختلفة تأتيه دائما بالاخبار في حينها .

وحتى لو افترضنا أن ابن الصباح كان يخلص فداويه دون غيرهم باعطائهم هذه المسادة المخدرة في أى صورة كانت ، وذلك لتخديرهم وحتى يصور لهم متاع الجنة ، فيبدو انه كان يقدم على هذا في سرية تامة لا يعرفها غيره وبعض كبار دعواته الموثوق بهم حتى لا ينتشر أمر استعمالها بين باقي أفراد مجتمعه الأمر الذي قد يعرّك اسوا الابرار من حيث فساد المجتمع الاسماعيلي الذي اشتهر بقوة وتكامل نظمه .

وطالما ان الامر كان سرا ولا يستخدم الا لفرقة الدواوية دون غيرها

(١) مصطفى هاب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٦٢ .



ودون ان يدروا هم أنفسهم بالحقيقة ، فكيف نمتى إلى علم المؤرخين حقيقة الامر فسروا اليهم هذه التسمية ؟ وامام كل هذه الفروض والاحتمالات ليس هالك سوى طريقين لا ثالث لهما يمكن للمؤرخين ان يعرفوا عنهما هـ اذا السر ، الاول ان يكون احد كبار الدعاة المعروف لديهم ما يحدث بالكامل في شأن هذه الجنة قد اباح بالحقيقة ، وهذا ما نستبعده لانهم يعتمدون اساسا في مذهبهم على السرية العامة المطلقة . وهذا يعتبر من اكبر اسرار الدعوة ان تبعت حقيقةه ، وحتى لو حدث هذا فليس هناك دليل قاطع عليه . أما الطريق الثاني فهو وجود مخطوطة اسماعيلية او نقش على احدى الفلاخ يفيد به . وهذا الم يتم العثور عليه حتى الآن ، واحتمال استبعاده قائم لنفس السبب .

ونخرج من هذا العرض بانه نظراً لما انتهينا اليه من استبعاد تماطى هذه الطائفة بصفة عامة والقدادية على وجه الخصوص مادة الحشوش ونظراً لانه لا بد من وجود اصل لهذه التسمية يعزز ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، فان هذه التسمية ربما تكون قد اتت من تماطى احد زعماء الطائفة مادة الخديس ولو جهرا أمام اتباعه وذلك بوصفه الامام الذى خص دون غيره بعدم تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية عليه بوصفه معصوماً عن كل خطأ ، وأن كل ما يتلقاه أو يفعله إنما هو من عند الله . ونظراً لأن التماطى للحشيش يعرف باسم حشاش ، فان الحشيشية تعنى اتباع الحشاش

وجدير بالذكر في هذا المقام ان البعض يرى أن تسمية الحشيشية تطلق على الفرع الاسماعيلي بالشام دون سواه (١) .

(١) السيد المزلوى : فرقة النزارية ص ١٦٠ .



ولكن مما لا شك ان ابتداء الدولة كان في فارس ومنها ظهرت طائفة
الاسماعيلية الموجودة بالشام وكان ابن تميم هو أول من ابتدع استخدام
الحشيش وإذا أردنا تخصيص تسمية الحشيشية لزمان أول قصرها على
الطائفة الموجودة في فارس دون الشام لأنها الدولة الام التي ظهرت فيها كل
التنظييات الأخرى والتي منها عرف الحشيشة أن صح العبير . وتدعي لهذا القول
يرى الدكتور طه شرف أن نزاريه الشام وفارس سواء في كل شيء وأنه
لا معنى لهذه التفرقة (١) .

ولقد أطلق الصليبيون في كتبهم وتآليفهم اسم *Hasassins* (٢) على هذه
الطائفة عندما دخلوا متعلقة الشام واحتكوا بالمجتمع الاسماعيلي الموجود هناك
حينذاك وذلك لكثرة اغتيالهم للامراء والملوك العرب والصليبيين على حد
سواء . ولهذا السبب وردت هذه الكلمة في المراجع الانجليزية والفرنسية
المدنية تحت اسم *Assassins* ولعل الصليبيين عندما أطلقوا هذه الكلمة كانوا
يقصدون بها فرقة القداوية بالذات كونها المختصة بتنفيذ عمليات الاغتيال
وارهاب الناس . وعلى هذا كما يقصدون بها معنى القتل وهي مشتقة من
الفعل الفرنسي *rassassiner* والفعل الانجليزي *to assassinate* بمعنى يقتل

(١) طه شرف : دولة النزارية ص ١٠٣ .

Guillaume de Tyr, Ch. R. H. C. - H. Occ, t. I, P. 701. (٢)

هذا وان كان هنزل قد عرفهم باسم *Hasassia* انظر :

Eracles, op. cit., t. II, p. 193.

أما روتلان فيسبهم *Hasassia* انظر :

Rothelin, t. II, p. 684

والمسبة لخوا نيل فقد اعاق عليهم اسم *Assass* انظر :

Joiaville (ed. Wailly), p. 208.



أو يفتل . ولكن بمرور الزمن اقترنت الطائفة الاسمايلية بهذا الاسم ، ونحو
 في معناه حتى أصبح يطلق على الطائفة كلها .

وبناء على ذلك فإن الحشيشية « ولفظه « Assassins » كلمتان مترادفتان
 في مفهومها العام ، وذلك بسبب اقتران اسم الطائفة بكلمة « assassins » . أما في
 في مفهومها الخاص فكل منهما معنى مغاير ، فالأولى تطلق على الطائفة كلها
 حسب الرأي الذي سبق أن أنهينا إليه . أما الثانية فتطلق على مرتبة القيادة
 فقط لأن معناها ينطبق على وظيفة أعضاء هذه الفرقة وهو الاغتيال ، فضلا
 عن أننا لا نستطيع أن نطلق على كل أسمايلي فدائي وإنما كل فدائي هو
 اسمايلي بطبيعة الحال . هذا ، وبشير الدكتور سعيد ماشور إلى أن بعض
 علماء اللغويات يؤكدون ان الفعل الانجليزي to assassinate بمعنى يقتل
 والاسم assassins بمعنى قتل مشفقان من كلمة الحشيشية ، وهي تلك الفئة من
 الله داوية والتي اشتهرت بالاغتيال في عصر الحروب الصليبية كما ورد في
 قاموس أكسفورد أن اصل هذا اللفظ الاوربي هو كلمتان «حشاش وحشيشية»
 للعربيعان . وبدل هؤلاء العلماء على رأيهم أن ذلك اللفظ لم يظهر بمعناه الخ إلى
 في اللغات لاوردوية الا في عصر الحروب الصليبية . (١) أما ستيفن رانيمان
 فيرى أنه نظراً لان ابن الصباغ قد أخذ من الاغتيال سلاحا سياسيا لتحقيق
 أهدافه فإنه أطلق على أتباعه اسم assassins وهي مشتقة من الاسم
 assassination ومعناه الاغتيال (٢) .

وهكذا تعددت القاب الطائفة الاسمايلية حسب الاقاليم التي وجدت فيها

(١) سعيد ماشور : الحركة الصليبية ج ١ هامش ص ٥٥٢ .

Runciman, op. cit., t. II, p. 20.

(٢)

مثلاً تمددت أسوارها و--بانيها في بلاد الشام حيث مسرح الصراع بين الصليبيين والمسلمين.

ولقد وجد اسماعيلية الشام ضرورة الاستقرار في اما كن منيعة قوية التحصين صعبة التنازل حتى يتمكنوا من مواصلة نشاطهم وسياساتهم ضد المسلمين والصليبيين على السواء . وكانت سياستهم في الحصول على قلاع جديدة أما بالشراء أو باحتلالها (١) .

وكانوا يرسلون تباعهم إلى الحصون النية المطلوب الاستيلاء عليها متحريين في زى الصونية الفقراء لدراسة الحصن من حيث موقعه ومدخله ومخارجه وعدد حاميته وقوة سلاحه حتى يطمئنون في نجاح خطتهم في الاستيلاء عليه (٢) .

كما اتخذ الاسماعيليون من قمم الجبال اما كن لانشاء قلاعهم . وكان شيخ الجبل يختار أشد القلاع حصانة وقوة ويتخذها مقرا له أو لنائبه ، وتمتاز هذه القلعة الأم بوجود الدعاة والقدوية فيها . أما القلاع الرئيسية في جزر الدعوة ففيها يستقر كبار الدعاة ، وأما باقي الأعضاء فيستخذون من القلاع الأخرى العادية ملجأ لهم . (٣) ولقد ظلت قلاع الدعوة في فارس مقلدا للمذهب الاسماعيلي حتى دمرها المغول سنة ١٢٥٤/٥١٢٥٦ م . أما قلاع الدعوة بالشام فقد اسعمر وجودها بعد ذلك قضي عليها ببيرس نهائيا سنة

(١) Lamb, op. cit., p. 31, L'Abbe de Vertot, Histoire de L'Ordre des Chevaliers, t. I, pp. 138 - 189.

(٢) عمر أبو النصر : قلعة الموت ص ٢١ .

Belloc, The Crusades, p. 77.

(٣)

٦٧١ / ٥ ١٢٧٣ م (١) .

وكان ابن الصباح أول من خطط للاستيلاء على القلاع واتخاذها مقرا للإسماعيلية ، إذ استولى على قلعة شاه دز بأصبهان ثم قلعة الموت سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م فضلا عن العديد من القلاع الأخرى الموجودة في فارس . وبذلك اتجهت أنظاره إلى سورية حيث وجدها منطقة خصبة لنشر الدعوة . فبدأ في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) في ارسال دعاته إليها ، فعملوا كل جهدهم من أجل الاستيلاء على عديد من القلاع في هذه المنطقة لتكون مركزا لهم لتجمع دعاتهم وليبتون منها مبادئ الدعوة (٢) . واطلوا فيها كل وسائل الراحة والرعاية ، وقد اكسبها وجودها على قمم الجبال قوة ومناعة . ومن أم هذه القلاع مصيف والكهف والغوابي والقدموس والرصافة والعليقة والينقة والمرقب (٣) .

أما مصيف فهي حصن حصين يقع على الساحل الشرقي قرب طرابلس (٤) . وتقع أيضا في لطف جبل السكام (٥) الشرقي وعلى بعد ثلاثة أميال جنوب

(١) السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٢٧٨ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٤ .

(٣) A.O. L., t. II, P. 852.

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٥) يبعد عن بطبك في جهة الجنوب على مرحلة نوية ، وهو فاصل بين نفور الجزيرة ونفور الشام وكان يدخل في بلد الروم ويقال أنه ينتهي فيها ال نحو ٢٠٠ فرسخ ويسمى السكام الى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى بهراء وتنوخ الى حصن ثم يسمى جيسل لبنان ويستد على الشام حيث ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل بالمعظم من جهة أخرى أنظر أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٩ ، الاصلحى : المسالك والممالك ص ٥٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٦٨ .

بارين وعلى بعد رحلة يوم غربى حمص ، كما تبع عن حماه في جهة الغرب على مسيرة يوم ، وعلى هذا فهي تقع على بعد ثلاثة وثلاثين ميلا غربها ، وعلى بعد تسعة أميال من جنوب شرق القدموس . وهي بلدة جميلة يمر بها نهر صغير وتحيط بها البساتين (١) . والقلعة منيعة ومبنية من الصخر الصلب ومقامة على صخور عامودية ، ومقانيها صفراء اللون ، ويبلغ ارتفاع حوائطها ستين قدما . ومن الملاحظ أن الأحجار الكبيرة الداخلة في بناء القلعة مرتبة ترتيبا دقيقا بدون استعمال مادة الأسمنت (٢) .

وقد اختلف الكتاب في صحة اسمها فالبعض يقول مصياف ، والبعض الآخر مصيات ومصياذ ومصيات ولكن أكثرها استعمالا هو مصياف (٣) . ولقد استولى الاسماعيليين على هذه القلعة سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ - ١١٥١ م ، وكان يحكمها حينذاك مملوك لبنى منقذ أصحاب قلعة شيزر . ولكنهم احتالوا عليه . بحيلة دبرت له وصعدوا اليه وقتلوه وملكوا القلعة وظلت تحت إيدهم حتى استولى عليها الظاهر بيبرس وضمها إلى ممتلكاته سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م (٤) .

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، في سترانج : فلسطين في العهد

الاسلامي ترجمة محمود الصايري ص ٧٥ : راجع أيضا :

Michaud, op. cit., t. III, p. 430, Dussaud, La Syrie Antique, Planche. 126.

Lamb, op. cit., p. 44, Guvrad Un Grand Maitre P. 351 (٢)

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٥٦ .

(٤) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٤ ، ابن الاثير : الكامل - ١١

ص ٢٦ ، ابن قاضي شبة : الدر الثمين في سيرة نور الدين لوحة ١٠٠ ، حكارل بروكاهن تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس ج ٢ ص ١١١ نظر أيضا :

Grousset, Histoire de Croisades, t. 1, p. 1 .

وكانت مصيفان هي المركز الرئيسي للخدمة الاسماعيليه في الشام وأم قلاهما حيث كان يستقر فيها شيخ الجبل ، كما كان يتلقى فيها الفداوية تدريباتهم وفيها توضع الخطط الحربية كذلك كانت مصيفان تتلقى موجات معاونة من الاسماعيليه المضطهدين الوافدين من الشرق والغرب هـ-ربما من السلاجقة والصليبيين هـ فضلا عن أن الفداوية كانوا يخرجون منها لتنفيذ عمليات الاغتيال (١).

والمعروف أن قلعة مصيفان تم تدميرها ومجدها من تين الأولى خلال حكم شيخ الجبل كال الدنيا والدين الحسن مسعود سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م والثانية خلال عهد ابي الفتوح بن محمد سنة ٦٠٧ هـ / ١٢٣٩ م ، وذلك طبقا للنقوش الموجودة على عتبة أسفل أحد الأبواب الداخلية للقلعة وينص على : « عمر هذا المكان المبارك في ايام المرلي الصاحب كال الدنيا والدين الحسن مسعود أدام الله ظلته » (٢) . كما انه يوجد نص آخر منقوش على كتلة حجرية يمين الباب الجنوبي للمدينة هو : « أمر بعبارة سور المدينة وعمل هذا الباب المبارك المرلي الصاحب تاج الدنيا والدين أبو الفتوح محمد أعز الله نصره » (٣) .

وبعد مصيفان تأتي قلعة القدموس واسمها بالرومية فالانون (٤) وهي تقع

(١) الانصاري الدمشقي : نخبة الدرر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٨ ، مصطلح

غاب : أهلام الاسماعيليه ص ٢٩٠ انظر كذلك :

Grousset, op. cit, t. II, p. 598. Berchem, Epigraphie des Assassins, pp. 455 - 456 - 456.

انظر الاوثة رقم (٣)

Berchem, op. cit., p. 431.

(٤)

Ibid p. 456

(٣)

(٤) ابن الشعبة : الدرر المنتخب ص ٢٦٥

على بعد تسعة أميال شمال غرب قلعة الخوازي وجنوب غربي شيراز على مقربة
 من نهر باناس (١) . وكانت هذه القلعة تابعة لمملكات يوهيموند الثاني
 صاحب انطاكية حيث استولى عليها سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ - ١١٣٠ م ونصب
 عليها سيف الملك بن عمرون ولكن في سنة ٥٤٧ هـ / ١١٣٢ - ١١٣٣ م
 اشترى الاسماعيليه هذا الحصن من صاحبه ، وصعدوا اليه وحراروا من جاورم
 من المسلمين والصليبيين معا (٢) . وقد قيل في شأن قلعة القدموس انه كان بها
 حمام يخرج منه حيات كثيرة في شمري تموز وآب لا يحصى عددها ورغم ذلك
 فانها لا تؤذى ولا يعرف مصدرها (٣) . ولقد اكتشفت طلامم موجودة على
 عتبة باب القلعة عبارة عن ثمان من النحاس الاحمر . وقد يكون هناك نوع
 من الارتباط بين هذه الطلامم وبين القصة سائلة الذكر (٤) ومع ذلك يجب
 أخذ هذه الرواية بشيء من التحفظ لعدم وجود أدلة كافية تعززها اللهم إلا
 إذا كان المقصود من وراء ذلك التخويف والارهاب تمهيدا مع سياسة الاسماعيليه
 وشيخها حيال الصليبيين والسنين على السواء .

(١) Guyard, op. cit., p. 351.

(١)

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٥ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر
 ج ٣ ص ٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٠٤ ، ابن الدديم : زبدة الحلب
 ج ١ لوجه ١٦٥ ، السيد عبد الرزاق سالم : طرابلس الشام ص ٣١٥ . انظر أيضا :
 Grenset, op. cit., t. II, p. 16, Ranciman, op. cit., t II, p.
 200, Setton, op. cit. t. I, p. 1:0 , Guyard, op. cit., p. 351.
 (٣) ابن السكيت : الدر المنثور ج ٦٦ ، الاتصاري دمشق : نخبة الدهر

ص ٢٠٨ :

(٤) دمشق : نخبة الدهر ص ٢٠٨ انظر أيضا

Guyard op. cit., p. 355.



وهذا أيضا قلعة المرقب وهي قلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس (١) . وقد بنيت على قمة جبل شاهق ارتفاعه الذي قدم فوق سطح البحر ، وشيدت من البازلت الاسود على شكل مثلث . وقيل أن الخليفة الرشيد قد بناها سنة ٥٢٢ / ٨٨٨ على أثر قديم ، ثم بناها النصارى ثم ملكها المسلمون . وتشرف أبراجها على انحدارات الجبل الوعرة ، وقد عين حراس مخصوصون لحماية الأبراج (٢) ويروى كل من رآها أنه لم ير قلعة قوية التحصين مثلها ويبرز في نهايتها برج قوى عظيم ، كما أنه يوجد أسفل البرج حوائط خارجية وزنانات منهضلة . وكان بناؤها من حجارة الأبنية الأثرية القديمة فضلا عن أن هندستها ممزوجة بالهندسة البيزنطية (٣) .

وكذلك روى أن المسلمين قد بنوها سنة ٤٥٤ / ١٠٦٢ م وأستولوا في تدير حيلة على الروم من أجل كسب الأموال منهم فبايعوهم الحصن بمال عظيم وبعثوا شيخا منهم وولديه رهينة إلى انطاكية على قبض المال وتسليم الحصن ، فلما قبضوا المال وقدم عليهم نحو ثلاثمائة من الروم لتسلم الحصن قتلوهم وأسروا آخرين كثيرين فطلبوا فديتهم بمال آخر ثم فدوا ذلك الشيخ وولديه بمال يسير وبهذا حصلوا على الحصن والمال (٤) ثم استولى عليها

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٠١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان

ص ٢٥٤ راجع اللوحة رقم (٣)

(٢) دمشق : نخبة الدرر ص ٢٠٨ . انظر أيضا :

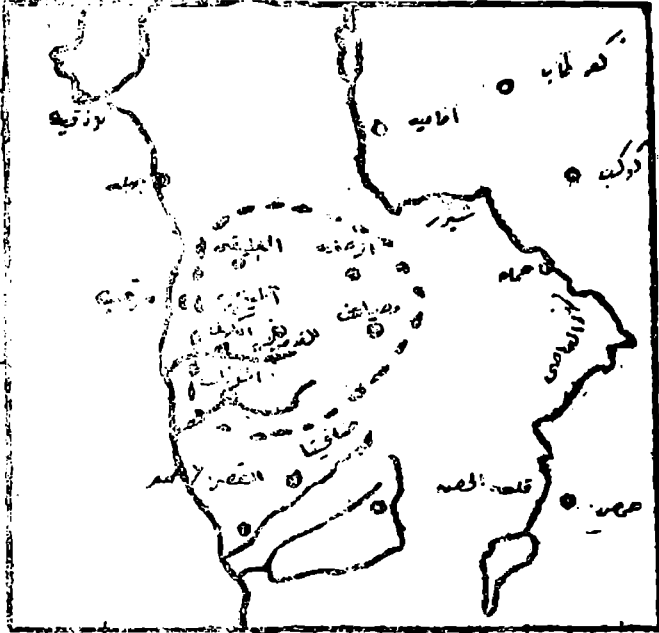
Lamb, op cit , p. -75.

(٣) لوبس شيخو : دولة في الدولة الطولية ص ٤١٠ ، لي سترايج : فلسطين في

العهد الاسلامي ص ١٧١ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٠٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول

والملوك ج ١ ص ٢٩ .



توزيع الإسماعيلية في بلادنا

بعد ذلك الاسماعيلية وتم تجديدها أيام شيخ الجبل راشد الدين ستان (١) .

وظلت هذه القلعة حامية أمام الهجمات التي تعرضت لها وبخاصة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي (٢) . ولكن رغم ذلك فقد استطاع الصليبيون الأسعلاء عليها ودخلت في نطاق أملاك ريموند أمير أنطاكية الذي منحها إلى فرسان الاسبتارية سنة ١١٥٧ / ١١٥٨ م . ولكن السلطان قلاوون استردها من أيدي الصليبيين بعد ذلك (٣) .

ورابع هذه القلاع هي قلعة الحوراني وهي تقع على بعد تسعة أميال جنوب غربي قلعة القدموس كما تقع شمال طرابلس على بعد خمسة عشر ميلا جنوبى انطرسوس بطريق البحر (٤) . وقد تم تجديدها وأوارها في عهد راشد الدين ستان وقيل أن في أسوارها مكان إذا لدغت أحد الأشخاص حية حمل ليشاهد ذلك المكان من الحور فييره في الحال ، وإن كان اللدوغ عاجز من الحركة أرسل رسولا بدلا منه (٥) .

ومن هذه القلاع أيضا قلعة ناكيف وتقع بالقرب من القدموس على نحو

Guyard, op. cit. p, 365.

(١)

(٢) لويس فيخو : جولة في الدول العلوية ص ٤٩٠ .

(٣) لى - ترانج : فلسطين في العهد الاسلامى ص ١٧١

(٤) الفتحة ص ١٤٦ ، لى ستانج : فاسدين في العهد

الاسلامى ص ٣٧٠ . انظر أيضا :

Ibid, p. 361

(٥) ابن السكينة : الدر المنتخب ص ٢٦١ انظر أيضا :

Ibid, p. 439.

ساعة وإلى الشمال من طور طوس في الطريق المؤدى من عكا إلى إنطاكية .
 وقد بنيت على قمة جبل عال جدا (١) . وكان حاكما سيف الملك أبو عمرو
 من قبل الصليبيين ولكنه باعها للاسماعيلية سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٧-١١٣٨ م (٢) .
 وقيل أن بالقلمة غار دفن به سنان ويزعمون أنه دخل فيه وسيظهر منه ليوم
 طائفة منهم (٣) .

وقد استولى الاسماعيلية على الرصافة ، وهي تقع غربي الرقة وعلى أقل
 من مسافة يوم من الفرات ، وهي قلعة بالقرب من مصيف وتعرف برصافة
 هشام نسبة إلى هشام بن عبد الملك الذي بناها (٤) .

وقد أكل الاسماعيلية هذه السلسلة من الحصون باستيلائهم على العليقة
 والميمنة . ويكونون همذا قد استطاعوا تكوين حزام حصين من اللامع
 لا يمكن اختراقه مما كان له أكبر الأثر في الدور الذي لعبته هذه الطائفة في
 الشام ضد الصليبيين والمسلمين

وإذا كنا قد تحدثنا عن الطائفة الاسماعيلية من ناحية نعلمها ومجتمعها

(١) الفلشندي : صبح الأعشى . ج ٤ ، ص ١٤٦ ، السيد عبد العزيز سالم :
 طرابلس الشام ص ٣١٦ وانظر أيضا :

Grousset, op. cit, t. II: p. 131.

راجع خريطة تلاج الدعوة ص ١٤

Ibid, t. II p 1٥

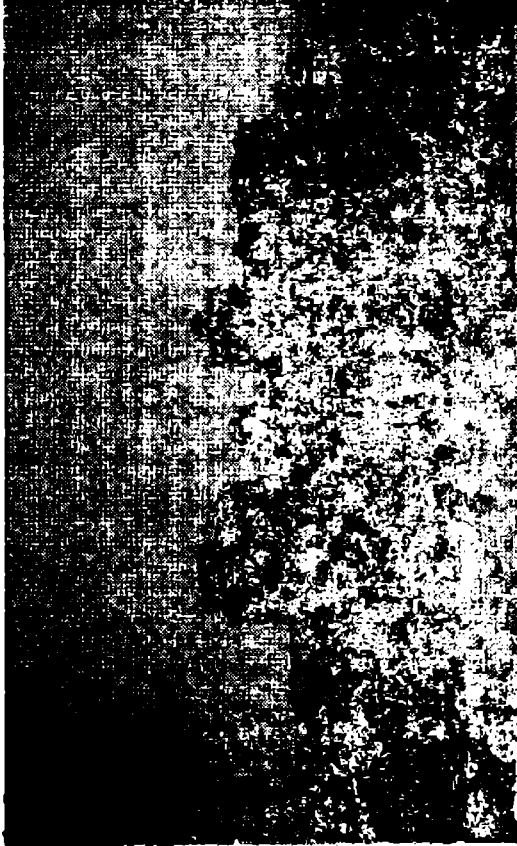
(٢)

(٣) الذمشق ؛ نخبه الدهر ص ٢٠٨

(٤) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧١ ، مرصد الاطلاع على اساء الأمسكة

والباق ص ٢٧٣ .

لوحة رقم - (٧)



منظر لقاعة الرقب مأخوذ من جهة الجنوب أنظر:

Lamb, the Crusades, p. 387.



وقلامها فلا أقل من أن نتحدث عن شخصية « شيخ الجبل » وهي الاداة
المركزة لهذا المجتمع الخطير الذي اهتزت له عروش ملوك أوروبا والشرق .

يكتنف شخصية شيخ الجبل الكثير من الغموض بالرغم من كل ماورد
عنه في المصادر والاصول من عربية وغير عربية إذ لا تمدنا بما يشق الفيل في
هذا الشأن .

أطلق المؤرخون الصليبيون ومن بينهم ريتلان وجوانفيل عليه :
Vieil de la Montaignrie وقد انتشر هذا اللقب في العالم الغربي وكتب عنه كثير
من مؤرخي وكتاب الفرنج وعرف فيما بعد باسم : «Vieux de la Montigne»
بالفرنسية و Old Man of the Mountain بالانجليزية ومعناها الحرفي عجوز
الجبل . وهذا التفسير خطأ بطبيعة الحال لأن المقصود أساساً من هذا اللقب هو
رئيس القوم وسيدهم وليس عجوزهم ومنسبهم اللهم إلا إذا فسرنا الترجمة
بمعنى الرجل الوقور أو الرجل الحكيم (١) . والتسمية الأجنبية لا تتحمل
هذا التفسير .

والرأي الأرجح في أصل هذه التسمية هو طبيعة حياة هذه الطائفة في

Methew d'Edesse, Cf. R.H.C., - Doc. Arm., t. I, p. 129; (١)
Guillaume de Tyr. Cf. R.H.C. - H.Occ., t. I, p. 996 ;
Michaud, op. cit t. I. p. 304; Rapin, History of England, p.255,
Burchard, Description of the Holy Land, Cf. Palestine
Pilgrims ; Text Society, p. 108 ; Browne , op. cit t. II,
p. 206.

انظر أيضا جوزيف نيم يوسف ، المدونات المايبي على الشام ص ٢٢٩ ،
عبد الله عنان : تراجم اسلامية ص ٥٨ .



الاستقرار في القلاع القوية فوق الجبال فأصبح من الطبيعي أن يتسمى زعيمهم باسم شيخ الجبل بصرف النظر عن كبر سنه ، بمعنى أنه زعيم تلك الجماعة التي نقيم في قلاع منيعة فوق قمم الجبال (١) .

ولقد كان كل شيوخ الجبل في سورية منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) يحملون لقب « الدين » وذلك أسوة بزملائهم المعاصرين والوجوديين بقلة الموت . ومنذ سنة ١٧١٩ / ١٧٠٨ م أضافوا إلى هذا اللقب كلمة « الدنيا » بمعنى أنه قبل هذا التاريخ لم تكن تعرف هذه التسمية في سورية أو فارس (٢) . ولعل يعضح ذلك في النص الموجود على عتبة أحد الأبواب الداخلية لقعة مصياف وهو « عمر هذا المكان المبارك أيام كمال الدنيا والدين الحسن مسعود آدام الله ظله » . والمعروف أن بداية حكم شيخ الجبل المذكور هو ١٢١٣ / ١٢٠٠ م .

ولكن ردا على هذا يلاحظ أن سنان قد أضاف كلمة « الدين » إلى اسمه والمعروف أن حكمه كان في الفترة الواقعة فيما بين عامي ٥٥٧ و ٥٥٨ هـ (١١٦١ و ١١٦٢ م) . وبناء على ذلك يمكن القول أنه أطلق اسم « الدين » على شيوخ الجبل منذ وجود سنان . ويوجد نص آخر على إحدى الكتل الحجرية على يمين الباب الجنوبي لمدينة مصياف يرجع إلى عهد شيخ الجبل أبي القموح بن محمد سنة ١٢٣٧ / ١٢٣٩ م وهو كالتالي « أمر بعارة سور مدينة مصياف وعمل هذا الباب المبارك المولى الصاحب تاج الدنيا والدين أبو القموح ابن محمد أمز الله نصره » وتلاحظ على النص المذكور فضلا عن كلمة « الدنيا

(١) جوزيف نسيم : المدوان الصليبي على الشام ص ٥٢٩ .

Berchem op. cit., p. 498

(٢)



والدين ، وجود لقبين جديدين لشيخو الجبل هما « المولي والصاحب » لم يستخدما من قبل وقد ظهر هذان اللقبان في صيغة الجمع في عهد شيخ الجبل نجم الدين (٦٥٩ - ٦٦٠ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٦١ م) آخر شيخ جبل في سورية وأنضح ذلك من أحد التصوص الموجودة على جامع القدموس وهو « بسم الله الرحمن الرحيم - أمر بعارة هذا الجامع المبارك الموالي الاصحاب نجم الدين آخر شيخ جبل جسرده يبرس سلطان مصر شيئا فشيئا كما أنه أستكمل بناء هذا الجامع أبته شمس الدين » (١) .

وكان شيخ الجبل، يتمتع برئاسة الدعوة من عامة نواحيها في كل من فارس والشام (٢). وقد اعتاد شيخو الجبل على ارتداء ثيابهم البيضاء ووعظ أنصارهم من فوق ربوة عالية (٣) وكانت سلطات شيخو الجبل بدون حدود، وكان ينظر إلى أتباعه باعتبارهم حامى قوانين الدعوة الإسلامية وأن كل من يعارضه أو يلفظ عليه بسوء يسهق الموت . ولعل في المثال الآتى خير ما يعبر عن ذلك (٤) . « فقد روى أن أحد المسلمين من ذوى النفوذ لعن في إحدى المرات شيخ الجبل الحسن بن الصباح ودعا عليه أمام عامة الناس لما كان من أتباع شيخ الجبل إلا أن تبعوه عقب مفادته المكان وقتلوه .

ولقد كانت شخصية شيخو الجبل قوية يخشاها الملوك وكافة الناس ، ولم يجد أحد من الملوك حيلة في حفظ نفسه منه . فكان البعض منهم يدفع له

حرفه

Ibid., pp. 495 - 498

لنا في كتابه

(٢) طه شرف : دولة الزاوية ص ٧٧ .

(٣) عبد الله هان : تراجم اسلامية ص ٥٢ ، ٥٣ : انظر الوجوه رقم (١)

(٤) Fernand op. cit., p. 30. Lamb. op. cit., t. 1, v. 3. Michael op. cit., t. 1, v. 3.

ضريبة مقابل عدم التعرض له . وكان لا يخشى الأهداء بل يث الرهب لمي قوبهم (١) . ونجد أوضح مثال لذلك في شخصية كل من ابن الصباح وراشد الدين سنان ، فبالنسبة للاول خشي منه السلطان ملكشاه وبعث اليه بخطاب تهديد ، فلما قرأه بمحضرة الرسول أمر أحد فدواينه بقتل نفسه ففعل ، ثم أمر آخرا بالقاه نفسه من أعلى قلعة فأقدم الفداوى على ذلك دون تردد . وحين وحين ذلك التفت ابن الصباح إلى الرسول وقال له «هذا هو الجواب» . ومن هذه الملاحظة امتنع السلطان عن مراسلته (٢) . أما بالنسبة لسنان فقد استطاع الوقوف ضد صلاح الدين الأيوبي الذي كان مسلوك أوروبا يعملون له حسابا كبيرا وستكشف الفصول التالية من ذلك عند التعرض لموقف كل من شيخ الجبل من ناحية الصليبيين والسنيين من ناحية أخرى . ويبدو أن إرهابهم للناس قد استمر أيضا خلال القرن الثالث عشر الميلادي . (القرن السابع الهجري) إذ يوضح لنا المؤرخ الفرنسي جوانفيل بأنه إذا ركب شيخ الجبل صار مناد أمانه وهو يحمل فأما ذات يد طويلة مغطاه كلها بالفضة وقد تدلى منها كثير من الخناجر وينادي المنادي أمانه قائلا « إفسحوا الطريق لمن في يده حياة الملوك وقوتهم » (٣) . وقد كان لشيخو الجبل قوة السيطرة

Michaud op. cit , t. I, p. 30.

(١)

انظر أيضا : العماد الاصفهاني : تاريخ دولة آل ساجوق ص ٦٤

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٠٢ انظر أيضا :

Michaud, op. cit., t. III, p. 425.

(٣) مذكرات جوانفيل : لويس التاسع وحملاته على مصر والشاه ترجمه الدكتور

حسن جيش ص ٢٠٧

والافتتاح بالنسبة لابائهم (١) .

وفيا يلي بيان باسماء شيوخ الجبل في سورة (١) . وتاريخ حكم كل منهم حسبما سمعت الاصول والمصادر التي تحت أيدينا خاصة وأنها لا سمفنا بمت كامل بهذه الاسماء وبيان واضح بتلك التواريخ :

تاريخ الحكم

الاسم

- ١- راشد الدين أبو الحسن سنان بن سايان ٥٥٧-٥٨٨هـ (١١٦١-١١٩٢)
 بن محمد
- ٢- كمال الدنيا أبو الحسن بن منعود ٥٩٢٠-٩ (١٢٢٣ - ٢)
- ٣- سراج الدين والدنيا المظفر بن الحسن ٩٢٥-٥٩٣٥هـ (١٢٢٧-١٢٣٧م)
- ٤- تاج الدنيا أبو الفتح بن محمد ٩٣٧-٥٩٤٧هـ (١٢٣٩-١٢٤٩م)
- ٥- رضا الدين أبو المعالي ١٥٦-٥٩٦٠هـ (١٢٥٨-١٢٦١م)

(١) بتضع ذلك عندما أمان شيخ الجبل الثالث بالوت حسن علاء الدين بن أبا يزريك في ١٧ رمضان ٥٥٩ هـ / ١٨ أغسطس ١١٦٤م الفاء القانون وكل تحاليم الاسلام . ثم أعلن بعد ذلك في سنة ٥٦٠٨ / ١٢١٩م شيخ الجبل السادس جلال الدين حسن الثالث الفاء ما كان قد اتجه ابن الصباح وخاناقه مت بعده وأمر باقامة الصلاة ونطبق الشريعة الاسلامية في جميع البلاد الخاضعة له ثم ما لبثت وأن عادت للامور لي ما كانت عليه بعد وفاته سنة ٥٦١٨ / ١٢٢١م ويبدل هذا على مدى سلبية المجتمع آنذاك . انظر ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١٤ ص ١٣٨، ذكر عبد التواب : دولة الخلفاء والعشيش ص ٧٤ وراجع كذلك :

Browne, op. cit., t. II, p. 413.

(٢) زامبارو : معجم الانساب ج٢ ص ٣٢٩ .

٦ - نجم الدين اسماعيل (١٢٦١ - ١)

٧ - خمس الدين اسماعيل

٨ - صادم الدين مبارك بن رضا (١٢٦٩ - ١)

٩ - نجم الدين اسماعيل

وصادم الدين مبارك هو آخر شيخ جبل وفقا لما جاء في كتاب زامبارو. فهنا نجد تعارضا بين ما جاء في زامبارو وبين ما ذكره الكاتب ما كس فانت برشم الذي أكد بأن آخر شيخ جبل في سورية هو نجم الدين اسماعيل معتمدا في ذلك على أحد النقوش الموجودة على جامع القدموس والذي يفيد بأن الذي عمر المسجد هو نجم الدين اسماعيل آخر شيخ جبل والذي جرده ييوس من سلطانه (١). ولعل الأرجح هو رأى برشم لان النقش الموجود هو دليل على ذلك. ثم ان نظرة فاحصة دقيقة إلى هذا التبت يكشف عن أمرين متضلين بموضوع البحث اتصالا وثيقا أولهما وجود فجوة زمنية بين شيخى الجبل راشد الدين سنان وكمال الدنيا ابن مسعود تيمم من أواخر القرن السادس الهجرى حتى بدايات القرن السابع (أواخر القرن الثاني عشر حتى بدايات القرن الثالث عشر الميلادى) ولم نضعنا المصادر والنقوش باسماء لشيوخ الجبل المتواجدين في هذه الفترة. أما الأمر الثاني فهو شيخ الجبل في سورية خلال الفترة نحن بصدها هو راشد الدين سنان الذي حكم حتى سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م وذلك الشيخ المجهول الاسم الذى أبى بده وحكم في نهاية القرن السادس الهجرى (القرن الثاني عشر الميلادى) ولم يحسن لنا التعرف عليه.

Berchem, op. cit., pp. 476 - 496.

(١)

وانظر أيضا ما سبق من هذا الكتاب .

ومكيفا كان الأمر، فقد رأينا في الصفحات السابقة كيف تكون الاسمايلية أول دولة لهم، وتعرفنا على التنظيمات والعقائد المحمكة ونظم الدعاية التي كانت تاملها وأساسيا في نجاح الطائفة بالشام. وإذا أمعنا النظر في تاريخ المصور الوسطى أو في أي طائفة من الطوائف المعروفة وقد ذلك لن نجد نظاما دقيقا في الدعاية مثل ذلك الذي ابتدعه الاسمايلية. وكان لاقتلاع والحصون القديمة والمستحكمة. التي امتلكها الاسمايلية، والتي ظلت قدس في أعين الصليبيين والمسلمين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديان)، أكبر الاثر في الدور الخطير الذي قامت به هذه للطائفة بالشام أثناء الصراع الصليبي الاسلامي في المنطقة. وامل فيها سنتناوله في الصفحات التالية من حيث تثبتت اقدامها بالشام، وبدء نشاطها ضد الصليبيين والسنين، ما يكشف عن هذه الفترة الغامضة في تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة وفي تاريخ العلاقات الصليبية الاسمايلية على وجه الخصوص.

الفصل الثاني

أوروبا والشرق الأدنى

في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري)

القوى الاسلامية في الشرق الأدنى : العباسيون في بغداد
الفاطميون في مصر - السلاجقة في اسيا الصغرى - الحرب
الصليبية الاولى وأثرها - أحوال السلاجقة في الشرق وحروب
القرن الثاني عشر الصليبية - أحوال الغرب الأوروبي -
الامبراطورية البيزنطية ظهور الحشيشية في الشام - اتصاهم
بالمك رضوان - استيلاءهم على أفامية ، تم تسليمهم هذا الحصن
لصليبيين - كراهية الملك رضوان للاسماوية - مذبحه حلب ،
والقضاء على الاسماوية فيها سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م - استيلاء
الاسماوية على شيزر وبانياس - مذبحه دمشق سنة ٥٢٣ هـ /
١١٢٩ م - اتصال الاسماوية بالصليبيين لتسليمهم بانياس -
اغتيال تاج الملوك بوري - راشد الدين سنان أول شيخ جبل
في الشام .





إذا كنا قد أمرنا في العهد الأول لنشأة الطائفة الاسماعيلية في بلاد الشام ونظمها وقلاها كمدخل طبيعي لموضوع البحث ، فانه يجدر بنا قبل الخوض في تفاصيل نشاطها في الشام وعلاقتها بالصليبيين في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) ، أن نستعرض أحوال الغرب والشرق وتلك . فتبدأ بعرض شامل لأحوال الشرق الأدنى وبخاصة القوى الاسلامية . ثم نقب ذلك باستعراض أوضاع اللاتين في تلك المنطقة من ناحية ، وبين الصليبيين والمسلمين من شيعه سنة من ناحية أخرى ، وبين الصليبيين واسماعيليه الشام بالذات من ناحية ثالثة . ونتناول بعد ذلك أحوال الغرب الأوروبي ودوله ومدى اسهامه في الحركة الصليبية وقتها ، ثم نخرج إلى الحديث عن الدولة الرومانية الشرقية ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي . ونختم الفصل بانتقال الاسماعيليه إلى الشام وسيطرتهم على قلاع الدولة وما ترتب على ذلك من آثار .

بدأ العالم الاسلامي في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس من الهجرة) يعاني من التفكك والانحلال بسبب سوء الحالة السياسية . فكانت الخلافه الفاطمية تسير من سيء إلى اسوأ بسبب ضعف خلفائها وتنازع الوزراء على الحكم وكثرة الحروب بين عناصر الجيش المختلفة ، كما أن العداء المذهبي بين المسلمين أدى إلى تفرق كلمتهم الأمر الذي ساعد التفرنج على تحقيق اطماعهم في سهوله ويسر في رقصة الشرق الأدنى . إذ كان الاختلاف بين الدولة العباسية التي تدين بالمذهب السني وتناخم حدودها أملاك السلاجقة ، وبين الدولة الفاطمية التي تدين بالمذهب الشيعي وتبسط سلطانها على مصر وجانب كبير من الشام والساحل الشرق للبحر المتوسط ، قد ترتب عليه أنه بلغ من

كراهية الفاطميين للسلجقة اعتقادهم أن قيام دولة صليبية في الشام سوف يعتبر حاجزا دون زحف السلجقة إلى مصر وضمها إلى مملكتهم (١).

كل هذا ساعد على نجاح الصليبيين إلى حد كبير في تثبيت أقدامهم في مراكز هامة من أراضي الشرق الأدنى وتأسيس الإمارات اللاتينية الأربع في اعالي اللوات وهي الرها وانطاكية في أعمال الشام وطرابلس الشام وبيت المقدس ، تلك الإمارات التي فرضت بواقع وجودها وضعا جديدا شائكا بالنسبة للكيان الاسلامي في المنطقة .

فبعد أن كانت الخلافة العباسية تنعم بالقوة وازدياد النفوذ وهو اصلة الجهاد وبخاصة ضد الروم في العصر العباسي الاول ، أصبحت تعاني كثيرا من الضعف والانحلال ، وأصبح الخلفاء العوي في أيدي الامراء منذ عهد الخليفة العباس المعتصم بالله (٨٣٣ - ٢٨٤٣ / ٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ، ولقد كانت كثيره الثورات والحركات المذهبية والدينية داخل الدولة سببا هاما في زيادة ضعفها ، مما أدى إلى ظهور وحدات سياسية مستقلة على حساب الخلافة (٢) . وكانت الدولة تسير نحو التدهور حتى أنه لم يكن للخليفة العباسي في أوائل القرن الثاني عشر (أوائل القرن السادس الهجري) أي ظل من السلطان والنفوذ . ولعل ضعف الخلافة في ذلك الوقت قد شجع الطامعين على الهجوم على بغداد نفسها . فقام ديس بن صدقه سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م بالهجوم على عاصمة بني العباس ، ولم يحجم عن نهب المدينة وسلبها ، بل نصب غيمة في مواجهه قصر الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٧ - ٥٢٩ هـ /

(١) السيد الباز العريني : مصر في عهد الأيوبيين ص ١٠٤ .

(٢) سعيد هاتور : الحركة الصليبية ص ١٠٦ .

١٥١٨ - ١١٣٥ م) مما اضطر الخليفة إلى الاستنجاد بالسلطان محمود الساجق لدره هذا الخطر (١). ومما زاد الطين بله انشقاق المسلمين على انفسهم في هذا الوقت بسبب المذهبية وتعارن أصحاب المذهب الواحد ضد اخوانهم المسلمين الذين طى مذهب آخر. فبعد اعتناق بنى بويه للمذهب الشيعي تأمروا مع الخليفة المستنصر بالله الفاطمي للقضاء على الخلافة العباسية وادخال بغداد تحت لواء الخلافة الفاطمية. واستجد الخليفة العباسي حينذاك وهو القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ ١٠٣١ - ١٠٧٥ م) بالسلاجقة لمساعدته وانقاذ المذهب السنّي من الانحلال. وبهذا استطاعوا القضاء على هذه المؤامرة (٢)، ولكن دلالتها ونعائجها لم تكن تشر بالخير والافرنج يطوقون الابواب ويؤسسون معازل لهم في المنطقة على حساب هذا الأقسام البادي من الباحثين السياسية والمذهبية. وكانت الخلافة العباسية وقد كانت منصرفه إلى محاولة التثشكيبك في نسب الفاطميين واعادة المذهب السنّي إلى مكانته الاولى.

وهكذا بلغ انحلال احدى القوى الاسلاميه الكبرى في الشرق الادنى في الوقت الذي كان الصليبيون فيه يمكنون لأنفسهم في بلاد الشام وشمال العراق. فلم تستطع الخلافة العباسية آنذاك ان تتعزّم القوى الاسلاميه لدره الخطر الصليبي عن البلاد الاسلاميه حيث انها كانت أضعف من أن تحمي نفسها من المسلمين (٣). ولاشك أن هذا الوضع قد ساعد الحشيشية في الشام على زيادة

-
- (١) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ١ ص ٥٤٨
 (٢) سعيد عاشور : المرجع السابق ج ٦ ص ٨٠ - ٨١
 (٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلاميه ج ١ ص ٢٢٣

نشاطهم على حساب ضعف المذهب السني .

واسعرت الخلافة العباسية تعاني من الضعف والانحلال مما أدى إلى انسلاخ مملكتها عنها وتكوين دول مستقلة حتى عصر المستعصم بالله (١٢٤٢ - ١٢٥٨م / ٦٤٠ - ٦٥٦ هـ) الذي لم يعر للظروف المحيطة به أي اهتمام مما أدى إلى نهايته ونهاية الخلافة العباسية على يد المغول الذي تمكنوا من محاصرة بغداد واشعال النيران فيها وقتل الخليفة العباسي نفسه سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م^(١).

أما بالنسبة للخلافة الفاطمية في مصر فلم تكن بأحسن حالا من الخلافة العباسية . فرغم انها حكمت مصر مدة تزيد عن قرنين من الزمان (٣٥٨ - ٥٩٧ هـ / ٩٩٩ - ١١٧١م) إلا أن عوامل الضعف والانحلال بدأت تنخر في كيانها منذ حكم الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٥٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م)^(٢) . إذ بلغت الخلافة درجة كبيرة من الضعف ، وماتت من نزعة انفصالية أدت إلى انسلاخ كثير من املاكها في بلاد الشام . وأصبحت البلاد بالكوارث الاقتصادية وسوء الحكم واضطراب الامور فأستغل الامراء المحليون هذه الظروف وبدأوا ينفصلون عن الدولة (٣) كما كان للانقسامات التي حدثت في الدولة اكبر الأثر في اضعافها ، فتمرضت لانقسامين مذهبيين في فترات متقاربة . وكانت الانقسام المذهبي الأول عقب وفاة الخليفة المستنصر بالله (٥٨٧ -

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج ٤ ص ١٥٦ -- ١٦٠ .

(٢) جمال الدين الشيال : المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٣ .

(٣) جمال الدين الشيال : المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٣ ، عماد الشيبخ : الجهاد

القدس ص ٤٢ .



١٠٩٤م) (١). أما الانقسام الثاني فقد حدث عقب وفاة الخليفة الفاطمي
 الأمر بأحكام الله ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ ، وفيه وقع تعارض مع أصول المذهب
 الاسماعيلى وولى الخلافة المحافظ ابن عم الأمر (٥٢٥ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ --
 ١٤٤٩ م) في حين أنه ولد للامر قبيل وفاته ابن اسم الطيب وأخذ له البيعة
 بولاية العهد . ولهذا انقسمت الاسماعيلية مرة ثانية إلى اسماعيلية حافظة
 واسماعيلية طيبة . وساهم هذا الصراع على زيادة الانقسامات المذهبية
 والسياسية داخل الدولة ، بل واتساع وانشقاق اتباع المذهب الفاطمي نفسه .
 وكان من أثر ذلك محاولة السلاجقة طرد الفاطميين نهائيا من بلاد الشام
 كلها . وكثيرا ما نكروا في غزو مصر والقضاء على المذهب الشيعي نفسه (٢).

وكانت الخلافة الفاطمية في هذا الوقت مشغولة في محاولة انتزاع زعامة
 العالم الاسلامى من الخلافة العباسية وتفويض دعائها واحلال المذهب الشيعي
 بدلا من السني . وقد تكاثفت هذه العوامل مع غيرها وهدت الطريق لانحلال
 الدولة والقضاء عليها سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م وانتقال الحكم فيها إلى صلاح
 الدين الايوبي . وبه ابتدأت فترة جديدة في حياة مصر بل وفي العالم الاسلامي
 كله (٣) .

ومما لا شك فيه أن وضع العالم الاسلامي بهذه الصورة قد فرض عليه
 عدم ادراك ما يحدث حوله سواء بالنسبة لظهور الحشيشية ومذهبهم المدم

(١) انظر ما سبق ص ٦٠

Cam. Mod. Hist, t. V, p. 60.

(٢)

(٣) - نتناول بالتفصيل في النص الثالث موضوع القضاء على الخلافة الفاطمية

على يد صلاح الدين الأيوبي .



أو لطيفة الحركة لصليبية وهدفها. ويبدو ذلك واضحا عندما فكر الفاطميون في مصرف مشروع التحالف مع الصليبيين ضد خصومهم من أهل السنة المتمثلين في الخلافة العباسية في بغداد والأتراك السلاجقة في الشام . بحيث تكون انطاكية للصليبيين وبيت المقدس للفاطمين (١). وبكشف هذا الوضع الآثار الخطيرة التي ترتبت على هذا الخلاف المذهبي بين المسلمين حتى بلغ بهم الأمر انهم أصبحوا يستنجدون بالأفرنج في الشام ضد بعضهم البعض ، الأمر الذي افاق عملية تكميل الشرق الأدنى الاسلامي فترة من الوقت وافاد الصليبيين الدخلاء ، وهباً الظروف لقيام علاقات بين الصليبيين وبين الاسماعيلية .

وقد ضمن كل من الصليبيين واسماعيلية الشام أمام هذه الاحداث قسماً من الاستقرار والتجّاح خلال القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) .

أما بالنسبة لاجوال السلاجقة في آسيا الصغرى (٢) فقد أصبحت دولتهم

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) السلاجقة هم قوم من الأتراك تنسبون الى زعيمهم ساجوق بن تغلق، نزحوا من منطقة تركستان الى ما وراء النهر حيث عاشوا لفترة وانتقلوا بالمسلمين وبدعوة زعيمهم وصلوا الى اقليم بخارى على مشارف مملكة السلطان :مود الغزنأوى، واضطروا أن يدينوا له بالولاء . ولكن أطاعهم جمات السلطان بخناهم فقبض على زعيمهم وقتله وشرد أتباعه . ولكنهم انهضوا الى خراسان واستقروا هناك . وبدأت دولتهم تتسع حتى سيطروا على معظم بلاد ايران وشمال العراق وأرمينية وآسيا الصغرى بعد أن أهلوا أنهم في طاعة الخليفة العباسي القائم بأمر الله - انظر البنداري: تواريخ السلجوق — تحقيق هوتما ص ٦ - ٧ ، راجع أيضاً :

في العقد الاخير من القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) في حالة فوضو واضطراب وانقسام سيانى واسرى وبدأت تنفقت ممتلكاتهم إلى وحدات سياسية صغيرة ، وخاصة في بلاد الشام بعد وفاة السلطان ملكشاه السلجوقى سنة ٥٤٨٥ / ١٠٩٢ بسبب ما حدث من تنازع بين ابناؤه على الملك . ولم تحصل سنة ٥٤٨٩ / ١٠٩٩ حتى كانت الدولة منقسمة إلى خمس ممالك متنافسة هي : سلطنة فارس (اصبهان) ، وعلى رأسها السلطان ريكاروق ، ومملكة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها ابو الحرث سنجر ، ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تنش ، ومملكة دمشق وعلى رأسها شمس الملوك دقاق بن تنش ، وأخيرا سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وعلى رأسها تاج ارسلان بن سليمان بن تنش (١). رلقد عملت الحروب الكثيرة بين الاخوة على تحطيم البيت السلجوقى ، كما اتاحت الفرصة للخليفة العيسى للعمل على تحرير نفسه من السيطرة السلجوقيه وقطع دعوة الترك من بغداد (٢).

وبالإضافة إلى ما تقدم ، أخذت السيادة السلجوقيه فى الشام تنحصر سريها . ذلك أن رضوان صاحب حلب (٤٨٩ - ٥٠٧ / ١٠٩٥ - ١١١٣م) ، ودقاق صاحب دمشق (٤٨٩ - ٥١٨ / ١٠٩٥ - ١١٠٤م) لم يمتعا بالمقدرة السياسية التى تمكنهما من مواجهة الأوضاع القلقة التى عاشت فيها بلاد الشام فى هذه الفترة . ولعل اكبر مظهر لانهلال سلطان السلاجقة فى بلاد الشام والعراق وغيرها من البلاد عندئذ هو ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة لا تجمعها رابطة إلا الاتصال بالبيت السلجوقى . ومن تلك البيوت ظهر اسم

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١١٤ . محمد الشيخ الجهاد

القدس ص ٣٦٠

(٢) النوبرى : نهاية لارب ج ٢٥ لوحة ٢٢



(الاتاهاكيات) واطلق على اصحابها اسم اتابكة (١) . وقد اقطع سلاطين السلاجقة خلال القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) اجزاء كثيرة من الدولة لافراد أسرهم وكبار قوادم ورجالهم . فانتخذ هؤلاء الجند واستفانوا بالقبائل في تكوين جيوشهم الخاصة . وبمرور الوقت اعطوا اقطاعاتهم صفة الدوام ، الأمر الذي أدى إلى نهاية دولة السلاجقة (٢) .

هذه صورة عامة لاحوال الشرق الأدنى الاسلامي في القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) في الوقت الذي ظهر فيه الحشيشية بالشام وأخذوا يعملون لمصلحتهم على حساب كل من الصليبيين والسنين على السواء . ولاشك أن الضعف الذي اغاب الشرق الأدنى الاسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي وأوائل القرن الثاني عشر كان له اكبر الاثر بالنسبة للغرب الأوربي . إذ شجعه على الامداد لحملة كبيرة موجهة ضد المشرق الاسلامي لاستقطاع الجزء الاكبر منه وتكوين مملكة صليبية تخدم مصالحه . فكانت هذه الحملة هي المعروفة باسم الحرب الصليبية الأولى (٣) .

والواقع ان الحروب الصليبية في مجوعها ما هي الا حلقة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب الذي تمتد جذوره إلى القدم . فكانت بمثابة بركان يهدأ حيناً ويشور حيناً آخر ، اشتد غليانه في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي

(١) هو لفظ تركي معناه «مرور الملك» فكان ال سلجوق اذا اتاز أحد لادتهم وأرادوا تترفيه أضفوا عليه هذا اللقب. انظر حسن ابراهيم -سن: تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٥٦١

(٢) ابن ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٥ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) انظر الخريطة (٤) ، (٣)

(أواخر القرن الخامس الهجري) ، وعندئذ وجد في الحرب الصليبية الاولى متفسلا . وكانت استغاثة الامبراطورية البيزنطية بالابويه للوقوف معها ضد امتداد نفوذ الاتراك السلاجقة في اراضيها تمثل للشرارة الاولى لاندلاع هذه الحرب (١) . وقد ايد البابا أوربان الثاني فكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين وأعلن عنها في مؤتمر كلير مرنت الكنس في نوفمبر سنة ١٠٩٥ م ذى الحجة ٤٨٨ هـ . كما لاقت الدعوة استجابة من أعضاء المؤتمر ومن الغرب الاوروبي . ولعل سبب هذا هو توارد الاخبار بسوء معاملة السلاجقة للحجاج المسيحيين للفربيين ، فضلا عن سقوط انطاكية في ايديهم وطرد البيزنطيين منها(٢) .

وقد خرجت الحملة الصليبية الاولى في حشود ضخمة منقسمة إلى فرقتين الاولى تشمل العامة والفقراء والثانية تتضمن العناصر الصليبية المنظمة برئاسة بعض قواد أوروبا . ثم وصلت إلى القسطنطينية وحدث احتكاك بين قوادها والامبراطور البيزنطي الكيس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨م / ٤٧٤ - ٥١٢هـ) ، وانتهى الامر بعبور الجيش الصليبي البسفور إلى آسيا الصغرى واستيلائه على نيقية وهزيمة الاتراك السلاجقة واسترداده كل الاراضي التي أخذت من

(١) Thompson : History of the middle Age, p. :98.

Moodhouse, Military Religions Orders of the middle Age, (٢) p. 22 ; Cam Mad Hist t. Y p. 270 ; Michalat, History of France, t. I, p. 392 ; Landon, The Middle Ages, III, p. 18٥ Jonklns, Mediaeval European History p. 27, Funik - Brontano, The Middle Ages, p. 101 , Thatcher and Senvlll, Europ_in the Middle Age, pp. 273 - 274,

الامبراطورية البيزنطية (١). وواصلت الحملة طريقها إلى الشام ، وكانت أمارة الرها ا اقصة شمال الجزيرة هي أول أماره يستولى عليها الصليبيون في اعالي الفرات وقد تملكها جودفري دوق القورين السفلى أحد رعماء الحملة (٢). وتتابعت ضربات الصليبيين بعد ذلك في مدن الشام ، فاستولى بوهيموند النورماندي على انطاكية . وبعد ذلك تم الاستيلاء على بيت المقدس في يوليو ١٠٩٩م / رمضان ٤٩٢ هـ ومهد بمحكمة إلى جود فري . ثم استولى ريموند الصنجبلي على طرابلس / ١١٠٩م / ٥٠٣ هـ ، وحيث كانت آخر مدينة كبرى تقع في أيدي الصليبيين - وهكذا تمكن الصليبيون من تكوين مملكة صليبية تمتد من الرها شمالا حتى خليج العقبة جنوبا عم لواء على تحصين قلاعهم وتعزيز نفوذهم .

وجدير بالذكر أن هذا النجاح الذي حققه الصليبيون لا يرجع إلى قوتهم أو كثرة عددهم ، ولا إلى المساعدات التي كانوا يعاقونها من الغرب فحسب ، بل يرجع أساساً إلى تفرق كلمة المسلمين لأن القوات الصليبية لما تقدمت نحو الشرق لم تصادف قوات إسلامية متحدة ، بل صادفت قوى متفرقة متنازعة بسبب سوء الحالة السياسية في العالم العربي فضلا عن الخلافات

Grousset, *Histoir de Croisades*, t. I, p. 290 , croix Vie (١)
Militaire et Religieuse au Moyen Age, p. 120, :60, Stophenson
Medieval History, p. 299 ; Thompson, *History of Middle Ages*,
d. ١05; *Casta Francorum et Allarum*, translated to English. by
Somerset, pp. ١٥ - 15; Duruy, *Histoir du Moyen Age*, p. ٢04.

ومع ذلك سمرتك : حقائق الاخبار من دول الجار ص ٧٠ - ٧٢ .

Runciman, op. cit., t. I, pp. :03 - ١04. (٢)

المذهبية الموجودة به (١)

ولعل من أهم الآثار التي ترثت على هذه الحرب أنها أتاحت الفرصة لطائفة الإسماعلية التي أخذت تفرض وجودها في المنطقة في أن تعيش في كنفها وترعرع بين أحضانها هي وسائر الحروب الصليبية الأخرى إذ وجدت في إنقسام المسلمين وفي المارك الصليبية مجالاً واسعاً للمشاط وتدير مؤامراتها والأداة من كافة الظروف المحيطة .

وقد أثار وضع المسلمين في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي (بداية القرن السادس الهجري) بينهم موجة عامة من الاستيلاء ، خاصة وإنه لم يكن هناك أمير مسلم يستطيع تشكيل وحدة إسلامية قوية ضد الفرنجية . ولكن الأصوات تعالت بالجهاد ، لان تأسيس الصليبيين للإمارات الأرم قد قطع أوصال العالم الإسلامي في الشرق الأدنى . وفي هذه الفترة الحرجة تولى مودود أمر قيادة المسلمين مع العمل على تحرير الأراضى المقدسة من الفرنج . ولكن حال موته دون تحقيق ذلك (٢) . فخلفه أقتنقر البرسقى الذى تمكن من توحيد حلب والموصل ومواصلة الجهاد ضد اللاتين في الشرق (٣) . وبعد مقفلة ظهر في الافق عماد الدين زنكى الذى تمكن من توحيد جبهة المسلمين والعقوف ضد اللاتين . وان كان محالقم مع البيزنطيين قد أفاق جهوده بعض الوقت ، إلا أن هذا التحالف سرعان ما تصدع وانكشف العداء بينها سنة ١١٤٣م

(١) ارنست بارسكر : الحروب الصليبية - ترجمة السيد الباز عزيلنى ص ١٩٦ ،

عمد الشيخ : الجهاد المقدس ص ٠٩

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٦٠ .

(٣) سعيد عاشور : الرجوع السابق ج ١ ص ٥٦١ .



٥٣٨/١٤١٤ أتاح لزنكي الفرصة لكي يستأنف جهاده ضد الصليبيين في الشام. وتمكن من إسترداد أمانة الرها سنة ١١٤٤م/٥٣٩هـ (١) فكانت أول أمانة يؤسسها اللاتين في الارض المقدسة ، وأول أمانة يستردها المسلمون منهم .

وكان لسقوط الرها في أيدي المسلمين رد فعل عنيف في الغرب الاوروي . إذ كان إيذاناً بصعد المملكة الصليبية حينذاك . ومن أجل هذا فكر الغرب الاوروي خروج حملة صليبية ثانية من أجل إسترداد هذه الامارة . وبالفعل خرجت هذه الحملة بقيادة كوتراد الثالث امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا سنة ١١٤٨م/٥٤٢هـ . ولكن المسلمين بزعامة نور الدين محمود - الذي تولى بغداد وفاة أبيه عماد الدين أمر المسلمين - تمكنوا من صد جيوش هذه الحملة بما أدى إلى فشلها وعجزها عن تحقيق أهدافها (٢) . وبالرغم من هذا فإن الصليبيين في الاراض المقدسة لم يوحدا واتفقوا ، وانشغل حكام الولايات الصليبية المختلفة في القتال الواحد ضد الآخر وكثيرا ما امتعناوا بحلفاء من المسلمين ضد بعضهم البعض . وفي مملكة بيت المقدس تصفا نجد أن أتباع الملك المباشرين قد أصبحوا أقل خضوعا له ، هذا علاوة على أن البطريق أخذ يعمل على زيادة نفوذه وسلطته على حساب السلطة الزمنية (٣) . وقد ظل الصليبيون حوالي أربعين عاما بصدد الحملة الصليبية الثانية في صراع

(١) عمر كمال توديق : مملكة بيت المقدس ص ١٤٦ انظر أيضا :

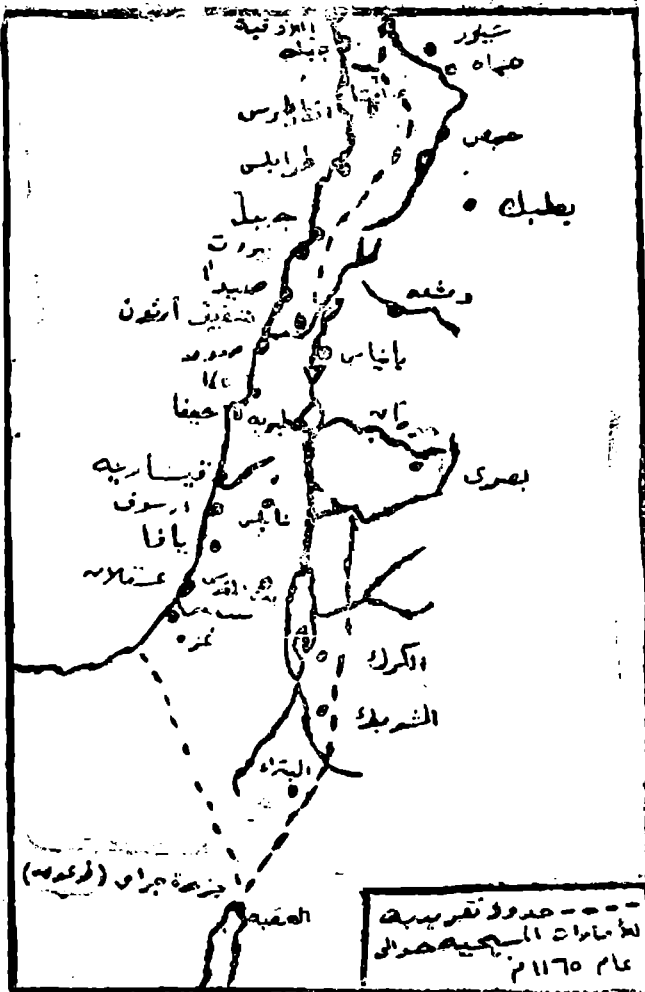
Saaton, op. cit. t. I, p. 489.

(٢) سعيد مازور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٢١ - ٦٢٦ ، عمر كان : مملكة

بيت المقدس ص ١٥٥ - ١٦٠ انظر كذلك :

Fuack-Brentano, La Croisades, pp. 99 - 100.

(٣) عمر كان : مملكة بيت المقدس ص ١٦٢ - ١٦٣ .



مستمر مع المسلمين إلى ان تمكن صلاح الدين الايوبي من توحيد الجبهة الاسلامية والقضاء على الصليبيين في موقعة حطين سنة ٥٨٣/١١٨٧م واستعاد بيت المقدس من ايديهم في اكتوبر من نفس العام . وتأثر القرب نتيجة لهذه الاحداث الملاحقه ، فتكونت حملة صليبية ثالثة بقيادة ريتشارد قلب الاسد ملك إنجلترا وفيليب اغسطس ملك فرنسا وفرديريك بارباروسا امبراطور المانيا . ولم تنجح الحملة في تحقيق هدفها ، مات امبراطور المانيا . في منتصف الطريق . كذلك لم يستمر الملك بلب كشيما عقب وصوله الاراضي المقدسة ، بل عاد الى بلاده . اما ريتشارد فقد اضطر إلى عقد صلح مع المسلمين وانسحب هو الآخر عائدا الى بلاده (١).

تلك هي الحملات الصليبية الكبرى التي تعرض لها الشرق الادنى خلال القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) والتي اخفقت في تحقيق اغراضها بسبب اليقظة الاسلامية التي ظهرت في بدايات ذلك القرن وبلغت ذروة نضجها عند نهايته . ويكفي ان المادكة اللاتينية في وضعها الجديد بعد موقعة حطين وانتصارات صلاح الدين لم تعد سوى مملكة هكوان احتفاظها بأسمها القديم وحرسها على ربط نفسها ببيت المقدس لا يضر من حقيقة امرها شيئاً . وبما لاشك فيه ان هذه الصفحة الجديدة للملكية الصليبية بالاشام وعدم ارتباطها بمدينة بيت المقدس بالذات جعلها تفقد هيبتها الاولى ، فضلا

(١) - سيد عاتور : الحركة الصليبية ج ٢ من ٨٣٧ - ٨٦٩ راجع أيضا :

Oman, History of English, pp. 114 - 115, Funck - Brotano,
 Las Croisades, pp. 100 - 102 , Travloyan, History of England,
 pp. 163 - 164.

من انظارها في عهدا الجديد الى صفة الدولة المنظمة . ولم تفتح هذه المملكة بأي قسط من الاستقلال الذاتي والحرية في العمل كما كان الحال من قبل . وقد ادى هذا إلى إسفلال الجمهوريات الإيطالية فرصة ضعف المملكة وشدة الحاجة إلى معونتها، وبدأت تفرض نوعا من الحماية عليها وتدخل في شؤونها . يضاف الى ذلك عوامل الفرقة والبغضاء بين عناصر الصليبيين في الشام ١٤ ادى الى ضعف مركزهم في القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) (١)

وإذا كان الغرب الاوربي قد أمد الصليبيين في الشرق بمساعدات مستمرة تمتل في الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة فليس معنى هذا أنه لم يكن يعاني من فوضى واضطراب. وإنما كانت أحواله تلمم بمظاهر المنازعات والحروب فضلا عن الانشقاقات الدينية المسيحية بين رأسي العالم المسيحي حينذاك وهما البابا والامبراطورية ، فضلا عن الخلافات بين الكنيستين الشرقية والغربية . إذ أصرت كل منها على أن تسود وجهة نظرها وأن يكون لها الاسبقية على الأخرى ، وأن يكون لها أيضا السيادة الروحية على العالم المسيحي بشقيه الشرقي والغربي . وقد كانت قصة العلاقات بين الكنيستين قصة غير مشرفة للعالم المسيحي وفضلاً لقول المؤرخ ستيفن رانسبان . ولهذا السبب عندما عرضت فكرة الحرب المقدسة على البابا الروماني أوربان الثاني ، وجد في تنفيذها فرصة كبيرة لإنهاء الخلاف بين الكنيستين فضلا عن السيطرة على الكنيسة الارنودوكسية (٢) . وبناء على ذلك ارتفعت اسم البابوية في القرن

١) سيد عاشور: الحرصة الصليبية ج٢ ص ١٠٢

٢) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ١٨ انظر أيضا :

Ranciman, op. cit t. I, pp. 110 - 124.



الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) باعتبارها السبب في للكاسب التي جعلها الصليبيون ، بحيث أصبح لها الهيمنة الكبرى على الصليبيين في الاراضي المقدسة (١).

ولكن في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن السادس الهجري) اشغلت البابوية كثيراً إذ ظهرت في جنوب فرنسا وشمال ايطاليا حركات خطيرة بالنسبة للكنيسة تتمثل في ظهور حركتين هرطقتين هما الوالدنمية والكانزبه أو الاليجنمية . وكانت هاتان الحركتان تدعوان إلى اصلاح الجهاز الكنسي البابوي في القرب من الميوس التي تطلعت فيه . ونظرا لمهاجرتها للكنيسة فقد اضطر البابا لوكيوس الثالث (١١٨١ - ١١٨٥ م / ٥٧٧ - ٥٨١هـ) إلى إصدار قرار الحرمان سنة (١١٨١ م - ١١٨٤ / ٥٧٧ - ٥٨٠هـ) ضد انصار المذهب الأول مما جعلهم يتحولون إلى فرق هرطقيه عديدة أثارت في وجه البابوية مشاكل لا حصر لها (٢) .

وإذا تركنا كل هذا جانباً نجد أن البابوية قد اشغلت أيضا بصراعها مع الامبراطورية ، هذا الصراع الذي استمر عدة سنوات وكانت له أسوأ

(١) Grousset, L'Empire du L'evant, p. 295.

(٢) سعيد ماعور : أوروبا المصور الوسطى -١- ص ٢٦٥ - ٢٦٦ وللمزيد

من التفصيلات انظر:

Hardwick A History of the Christian Church, pp. 31٤ - 31٥,
Thatcher and Schwill, Europe in the Middle Age, pp. 46٣ - 4٩0,
Funck - Brantano, The Middle. Ages, p. 269 , Peter, A. short
History of France p. 17 , Hallam. View of the state of Europe
during the Middle Ages, pp. 570 - 57٢.

الأثار وأوضحها على المسيحية والغرب الارزؤي بصفة عامة وعلى الكل من المانيا واطاليا على وجه الخصوص (١) ولكن بعد تولى هنرى الخامس عرش المانيا (١١٠٥ - ١١٠٥ م / ٤٩٩ - ٥٤٩ هـ) عزم على تصفية المنازات مع البابوية. فحدث اتفاق بين الامبراطور هنرى والبابا بسكال الثانى (١٠٩٩ - ١١١٨ م / ٤٩٤ - ٥١٧ هـ)، تنازلت الكنيسة بموجبه عن كل مالها من اراض وحقوق (قطاعية وقضائية حصلت عليها من قبل). ولكن ثار اساقفة المانيا واطاليا على البابا مما جعله يعدل عن هذه الاتفاقية. لما كان من هنرى إلا وأن قبض على البابا والكرادله واجبرهم على الرضوخ له فى مسألة التقليد السلمانى، وكان هذا نصرا للامبراطورية (٢). وقد استمر الصراع بعد ذلك بين الامبراطورية والبابوية وقتا غير قصير. وكان يشتد تارة ويهدؤ تارة بينها تارة أخرى ويقفا معا فى مواجهة عدو مشترك بينهما. فثلاثم الصلح بينها فى اغسطس ١١٧٧ م / ربيع الأول ٥٧٣ هـ فوافق الامبراطور فردريك

Maycock, The Papacy, p. 46.

(١)

ولقد ظهرت هذه المشكلة فى العقد الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) بين البابا جريجورى السابع والامبراطور هنرى الرابع بسبب اصرار كل منهما على أنه له الحق فى شغل مناصب الاسقفيات الشاغرة ولمزيد من "تفصيلات انظر:

Hardwick, op. cit pp. cit, 201 - 204.

Teut, The Empire and the Papacy, pp. 142 - 143 , (٢)

Bell, A Short History of the Papacy, p. 132, Barraclough, The Origins of Modern Germany, p. 130 , Cf also: Brook, Methuen's Medieval and Modern History t. II, p. 252, Thatcher, A Source Book for Mediaeval History, pp. 161 - 163.



بارباروسا على إمداد جميع الاراضي التي سلبت من البايوية ، وتمهد كل منها
بمساعدة الآخر ضد أي مدويده . هذا فضلا عن الهدنة التي عقدها
الامبراطور مع حلفاء البابا النورمان في صقلية لمدة عشرة عاما (١) . وقد
أدى هذا الصراع إلى تهيئة أقدام الأمراء الألمان وساطتهم وازدياد شدة
التيار الانفصالي الذي أدى إلى تفكك نفوذ المملوكية . ولكن لما تولى فريدريك
بارباروسا العرش (١١٥٢ - ١١٩٠ م / ٥١٧ - ٥٨٦ هـ) تمكن من توحيد
بميت أصبحت أعظم قوة في أوروبا وقتذاك (٢) .

أما بالنسبة للشطر الثاني من الامبراطورية والمتمثل في ايطاليا، فقد حاول
النورمان للتوسع في جنوبها والاستيلاء على صقلية مما جعل للبابا هونوريوس
الثاني (١١٢٤ - ١١٣٠ م / ٥١٨ - ٥١٥ هـ) يعمل على تأليف حلف من
أمراء ايطاليا للوقوف في وجه النورمان ولكن دون جدوى . إذ تم توحيد
جميع الاراضي التي فتحها النورمان وتوج عليها روجر الثاني في سنة
١١٣٠ م / ٥٢٥ هـ .

وهكذا قامت مملكة الصقليتين ، التي شملت جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية،
والتي غدت من أهم ممالك غرب أوروبا في العصور الوسطى وذلك لموقعها

Stubbs, Germany in the Early middle Ages, pp. 201-232 (١)
Maycock, op. cit., p. 51, Tout, op. cit. p. 263.

(٢) - ميد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧١ راجع أيضا:
Lewis, History of Germany, pp. 185 - 18٩ , Barraclough, op.
cit. 173.



الموسط بين الشرق والغرب (١) .

أما بالنسبة لشمال إيطاليا فقد كان خاضعا للمباردين . ولكن فردريك بارباروسا تمكن من السيطرة على (٢) ثم قامت بعد ذلك حروب ومشاحنات بين هذه المدن وبين فردريك الأول ، وانتهى الأمر بأن عقد معهم صلحا بموجب معاهدة كونستانس سنة ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ ، وأصبحت هذه المدن بمعاضها مستقلة ، ولم يكن للامبراطور أى نفوذ عليهم إلا من الناحية الاسمية مما أدى إلى تفكك الامبراطورية واتصال إيطاليا عن ألمانيا فيما بعد (٣) .

وإذا انتقلنا لمعرفة أحوال إنجلترا في هذا العرن نجد أنها قد تمتعت في الثلث الأول منه بالسلام والأمان ، وكان ذلك في عهد الملك هنرى الأول (١١٠٠ - ١١٣٥ م / ٤٩٤ - ٥٣٠ هـ) . والذي تمكن من القضاء على المشكلة القائمة بين الملكية والكنيسة آنذاك حول مدى تبعية الاساقفة للملكية (٤) .

(١) سيد هاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص ١٠٢ راجع كذلك :

Vasiliev; Histoire de L'Empire Byzantine, t. II, p. 52, Thatcher, op. cit. p. 1٤8, Brook, op. cit., II, p. 27٤.

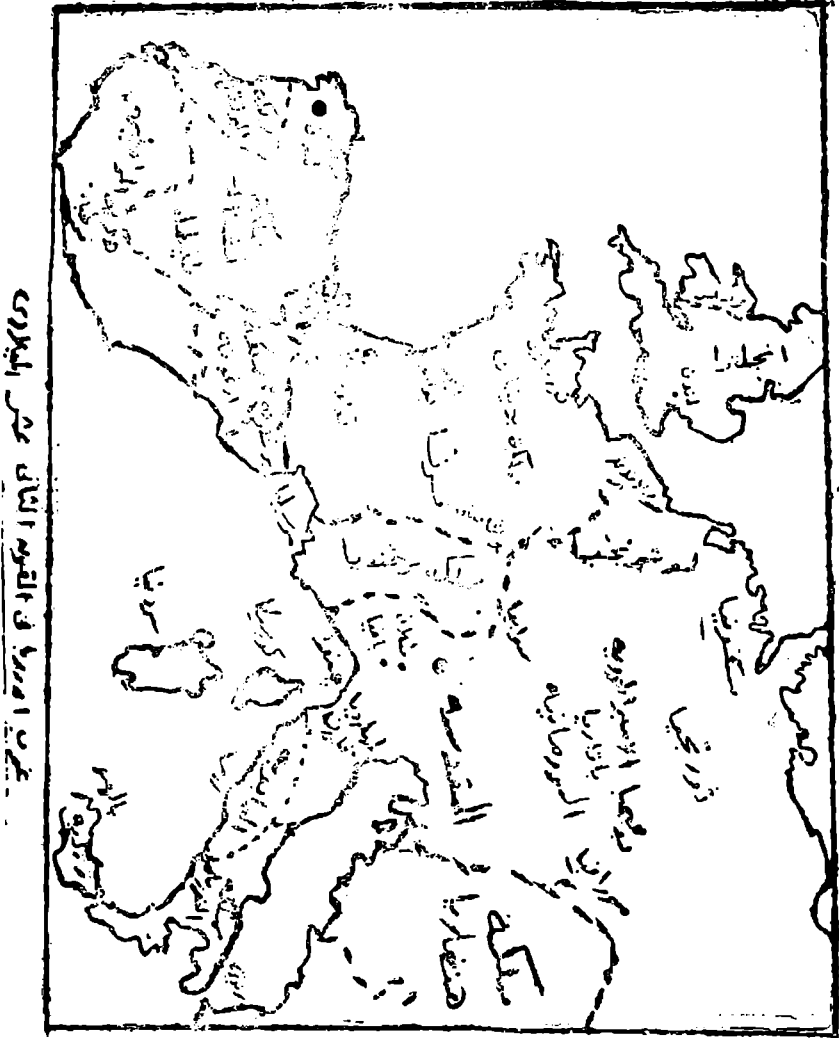
Brooke, Ibid

(٢)

Tout, op. cit., pp. ٤64 , Bryce, The Roman Empire, (٣) p. 15 Lewis, op. cit. p. 194 Thatcher, op. cit. p. 199, Hallam, op. cit. pp. 1٠٢ - 145.

(٤) سيد هاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ص ١٧٠ انظر أيضا:

Tout, France and England, p 5٠, Davis, History of England, t. II, pp. 1٠0 - 12٤.





ولكن بعد وفاته عانت إنجلترا كثيرا بسبب النزاع حول وراثة العرش، وانتهى الامر بحماية هنري الثاني عرش إنجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩ م / ٥٤٩ - ٥٨٥ هـ) . وما كان من رجال الدين إلا أن انتمزوا فرصة الفوضى الضاربة أطناها آنذاك وبدأوا يدعون نفوذهم وبضاعتهم لتلكتهم . وقد ساعد على ذلك ازدهار القانون الكنسي في القرن الثاني الميلادي (في القرن السادس الهجري) مما جعل رجال الدين يرفضون المحاكمة إلا أمام المحاكم الكنسية فقط (١) .

أما في فرنسا فقد زاد نفوذ الباروت والاقطاعيين في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (أواخر القرن الخامس الهجري) مما أدى إلى عجز الدولة عن مقاومتهم . ولكن الأحوال تغيرت واستقرت الاوضاع بعض الشيء بقولية الملك لويس السادس (١١٠٨ - ١١٣٧ م / ٥٠٧ - ٥٣٧ هـ) الذي كان مثالا طيبا للحاكم القوي (٢) . ولكن رغم ذلك فقد ظلت فرنسا في الثلث الأول من القرن الثاني عشر الميلادي (الثلث الأول من القرن السادس الهجري) حاجزة عن التصرف أمام ازدياد نفوذ الامراء الاقوياء والاقطاعيين الذين كانوا يتصرفون وفقا لرغباتهم دون أن يقيموا رزنا للملك أو يعترفوا بتبعية لهم إلا من الناحية الاسمية فحسب (٣) وذلك عكس ما كان أمام الملك فيليب أوغسطس (١١٨٠ - ١٢٣٠ م / ٥٧٦ - ٦٢٨ هـ) إذ ازدادت قوة الملكية في الداخل مع التوسع في الخارج بحيث أصبحت فرنسا خذرا يهدد خصومها في مختلف دول أوروبا . ولقد واجهت فرنسا عداءا شديدا من جانب إنجلترا

(١) Ste;henson, Medieval History, p. 428.

(٢) Cam Med. H ist., t. III, p. 394 Thatcher, Europe in the p. 484.

(٣) Tout, The Empire and the papacy p. 675.



بما أدى إلى تحالفها مع أعدائها - ففي سنة ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ تحالفت مع
 امبراطور المانيا فردريك باربروسا (١١٥٧ - ١١٩٠ م / ٥٤٧ - ٥٨٦ هـ)
 من أجل إضعاف قوة إنجلترا في القارة الأوروبية (١) . ولكن رغم الصداه
 التقليدى المبادل بين هذه الدول الثلاث ، إلا أنها قد اختلفت معا في الاشتراك
 في الحملة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠ م / ٥٨٦ هـ من أجل تثبيت أقدامهم في بلاد
 الشام واسترداد الاراضى المقدسة من أيدي أصحابها الشرعيين (٢) . ولكن
 انتهى الأمر بها بفشلها وعودة قوادها إلى بلادهم .

على أية حال ، ظل العداه بين الدولتين ، إذ ظلت فرنسا تعمل بجهد من
 أجل تهتيت أملاك الملكية الانجليزية وخاصة بعد موت الملك ريتشارد واعتلاء
 أخيه الملك حنا عرش إنجلترا . وقد ساعدها في ذلك افتقار هذا الملك إلى الكفاة
 والمقدرة الشخصية اللتين امتاز بها اخوه . ولذلك ورث حنا سياسة العداه
 لفرنسا عن أخيه (٣) . وقد خلف حنا ملوك كثيرين تفاوتت شخصياتهم من
 واحد للآخر ، ففيهم القوي الذي ارتفع بشأن إنجلترا ومنهم الضيف الذي
 انعكست الجزيرة بسببه (٤) .

(١) Adams, The History of England from the Norman

Conquest to the death of John, p. 347.

Davis, History of England. t. II. p. 552, Tompkins

and England, p. 71, Funch - Brantano, The Middle Ages,
 p. 353.

(٢) سيد عاشور : أوروبا المصور الوسطى ج ١ ص ٢٦٢ راجع أيضا

Oman, History of England, p. 1:3.

(٤) سيد عاشور : أوروبا المصور الوسطى ج ١ ص ١٧١ - ١٨١ راجع أيضا

المربطة رقم (٤)



• أما بالنسبة لاسبانيا فكانت مشاركة بحربها ضد المسلمين في الاندلس من أجل الاستيلاء عليها . فتملك الملك الفونش الأول (١١٠٤ - ١١٣٤ م / ٤٤٨ - ٥٢٩ هـ) ملك ارجونه من توجيه ضرباته المتتفة للمسلمين في الاندلس من أجل إضعاف شأنها ، ولم يكف عن هذا حتى وفاته (١) . كما انشفت برشلونه أيضا في غزو أراضى المسلمين في الاندلس . وكذلك تمكن البرتغال من الدوغل داخل الاراضى الاسلامية وراء نهر تاجه وطرده المسلمين من لشبونه (٢) . هذا بالإضافة إلى أن الحروب الصليبية لم يقتصر أمرها على المشرق والاراضى المقدسة فحسب بل شملت أيضا المغرب واسبانيا . وكانت المدن الاسلامية تساقط في أيدي الميحيين للقرين الواحدة تلى الآخرة بحيث لم يبق في أيدي المسلمين في اسبانيا عند منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) سوى مملكة غرناطة في المغرب الجنوبي وشبه الجزيرة (٣) .

وإذا كنا قد تحدثنا عن أحوال الغرب، فلا أقل من أن نشير إلى ظروف الامبراطورية الاخرى في المشرق والممثلة في الدولة البيزنطية . ففضلا من انشغالها وانشغال كنيسها بالصراع مع الكنيسة الغربية ، كان العداء بينها وبين الصليبين في الشام شديدا . يظهر حيننا ويختفى حيننا آخر . وكان هذا

Tout op. cit., p. 470.

(١)

Chapman, History of Spain, p. 76 , Tout, op. cit., p. 470.

(٢)

Chapman op. cit., pp. 81 - 82, Tout, op. cit., pp 472 - 473.

(٣)



يرجع إلى رفض افرنج الشام التقيد بالعهد الذي قطعوه على انفسهم للامبراطور البيزنطي الكسيس كومنين بتسليمه كافة الاراضي والمدن التي كانت في وقت من الاوقات من ممتلكات الامبراطورية البيزنطية قبل أن يسعوله عليها الاتراك المسلمون (١) .

وبالإضافة إلى هذا ، كان الأمبراطور البيزنطي في القسطنطينية يوحنا الثاني خلال السنوات العشر الأخيرة من حكمه (١١١٨ - ١١٤٣ م / ٥١٧ - ٥١٧) مشغولا بالقضاء على محاولات روجران الثاني ملك صقلية وابنه ولم في غزو الاراضي الامبراطورية ، مما جعله يلتجئ إلى ألمانيا ويحالف معها لصد روجر ولكن لم يثمر هذا التحالف نتائجه إلا في عهد خلقه الامبراطور مانويل الاول ، (١١٨٠ م / ٤٣٨ - ٥٧٧) . ورغم هذا فقد تمكن الامبراطور يوحنا الثاني من وقف هجماتها على يزنطه (٢) . وانشطت الامبراطورية أيضا في حروبها الطويلة التي خاضتها ضد البندقية حتى وصلت في وقت من الاوقات إلى حد المجز عن مقاومتها ، فأستعانت بجنوة ويزد الامر الذي أساء بصورة واضحة إلى العلاقات بين الامبراطورية والبندقية (٣) .

وملك هي أحوال الغرب الاوروبي في قرن الثاني عشر الميلادي . إذ كانت مرتعا للنزاعات والشاحنات والفتن والحروب الاهلية التي أنهكتها واحتشدت قواها . وقد انعكس هذا كله على طبيعة العلاقات التي قامت بين الصليبيين الغربيين

(١) سيد ماعور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٧٦ - ٥٧٧ . وكذلك الخريطة

رغم (٤)

Vasiliev, op. cit., t. II, pp. 5 - 53,

(٢)

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 3.5

(٣)



وبين أسماعيلية الشام وقعدالك بحيث لم يكن اللاتين في الشرق ينتظرون أبة مساء—ماتت جديدة من الغرب الاوروبي الامر الذي كرتب عليه عدم وجود الامكانيات الكافية التي تجعلهم في موقف يمكنهم من مقاومة الضربات الموجهة اليهم من قبل طائفة اسماعيلية الشام .

وهذا هو وضع الشرق الاذني والغرب الاوربي في الوقت الذي ظهرت فيه الطائفة الاسماعيلية في كل من فارس وبلاد الشام . وإذا كانت المصادر قد أفاضت في الحديث عن تاريخ تلك الطائفة بفارس ، إلا أنه ما زال يكتنف تاريخها بالشام كثير من الغموض . إذ لا توجد كتب مستقلة مفصلة تشرح تاريخهم في كل مرحلة من مراحل حياتهم . ولعل هذا راجعاً إلى ان كل ما أشعرت عليه المصادر العربية أو الاجنبية لا يزيد عن نصف مبعثرة وتدوين عام موزع على وقائع السنين ، لا يشق القليل ، ورغم هذا فقد أمكن الوصول إلى بعض الحقائق التاريخية عن هذه الطائفة عندما قررت مد نشاطها إلى الشام .

لقد كانت أم فترة في حياة اسماعيلية الشام التي ظهر فيها نشاطها وهي في أوج قوتها ، تلك التي امتدت منذ سنة ٤٩٤ هـ إلى سنة ٥٨٨ هـ (١١٠٠ — ١١٦٢ م) أي منذ انفا درس الدعوة من الموت ومن ضمنهم راشد الدين سنان حتى وقالة سنة ٥٨٨ هـ / ١١٦٢ م . ويمكن تقسيم الحوادث الرئيسية لهذه الفترة على الوجه التالي : (١) .

أولاً : تأسيس بئنة اسماعيلية في حلب تجمع بتأييد وعطف الملك رضوان ملك حلب .

(١) Lewis, The Sources for the History of the Syrian Assassins, p. 4٢4



ثانيا : محاولات الاسماعيليه كسب معاقل في قلب سوربة مثل شيزر وافامية .

ثالثا : نقل نشاطهم بعد موت مالك حلب من قلب حلب الى دمشق ومحاولةهم تأسيس معاقل جديدة لهم في باناس ثم فقدم لها .

لقد ادرك ابن الصباح صلاحية بلاد الشام لترويج المذهب النزارى حيث وجد فيها مرعى خصبا يمكن ان تزعرع فيه الدعوة النزارية . فأرسل دعواته اليها وقد نجحوا في تكوين جمعيات نزارية في الاقليم الواقع بين طرابلس واللاذقية اى بين البحر وادي نهر الارونت (١) ولقد لعبوا دوراً كبيراً وخطيراً في تاريخ الحروب الصليبية ، حيث استطاعوا الاستيلاء على العديد من الحصون المنيعة التي يصعب الاستيلاء عليها والموجودة في الجبال الكائنة في هذه المنطقة معذبين من مصياف مقرأ لهم (٢) . وأصبحت هذه الطائفة في الشام قوة لا يستهان بها تمارس نشاطها حتى قضى عليها نهائياً على يد الظاهر بيبرس

(١) هو ما يسمى الآن بنهر العاصى ، وهو يصب من وراء بلبك ويتجه شمالا حتى يقارب غربي حمص فيصب هناك في بحيرة متوسطة الاتساع ، ثم يخرج منها وعمر هربي حمص الى حماه ثم الى شيزر ومنها الى افاميه فيصب في بحيرة بها ٠ ويخرج بعد ذلك يشق في جبال تعرف بجبال الغرب ديركوش ، ومنها الى بلد يعرف بالانليم ، ثم ينزل الصفا الى انطاكية ثم الى السويديه ، ويصب في بحر الشام حيث ينمطف هناك انظر العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ ص ٨١ : وكذلك الخريطة رقم (١)

Berchem, op. cit., p. 453 King, The Knights Hospitalliers, (٢)
p. 160.

نحلة ٩٧٧/٥ ١٢٧٣/١ م (١) . وكان أول من وثق عليه اختيار ابن الصباح لكتابة الدعوة الزارية في الشام هو داع علي جانب كبير من العلم حرف باسم الطبيب أو الحكيم المنجم حيث كان وصوله الى منطقة الشام في اواخر القرن الخامس الهجري (اخريات القرن الحادي عشر الميلادي) وكانت وجهه مدينة حلب . واستطاع هذا الداعي أن يسعمل اليه الملك رضوان بن تلش بن الب ارسلان ملك حلب (٤٨٨ — ٥٠٧ / ١٠٩٥ — ١١١٣ م) . فلي منه خير معاملة وتعاون معه ومنحة الامان ، واظهر مذهبهم ثم بنى لهم دار دعوة في حلب رغم ان الملوك والامراء قد كاتبوه في أمرهم وطلبوا منه التراجع في سياسته تجاههم . الا أنه ضرب بكلامهم عرض الحائط ولم يعر مكابساتهم اى اهتمام واستمر في تأديهم (٢) . ولعل ذلك يرجع الى ان الملك رضوان كان مقابل مامنحه للدعوة الاساعيلية من خدمات يستخدم خناجر الفداوية في القضاء على اتباعه (٣) . وادت سياسته هذه إلى حدوث فتور وفتور بينه وبين جيرانه

Berchem, op cit., p. 453, King The Knights Hospitaliers, (١)
p. 160.

A. O. L., t. II, p. 405, Besant, op. cit., p. 362. (٢)

وستناول بيضاء من التاميل موضوع القضاء عليهم في الشام في خاتمة البحث .

(٣) ابن الصديم : زبدة الحب ج ١ لوحة ١٤٥ . النيني : عقد الجان ج ٢٥ لوحة

٩٧٧ اظر أيضا : محمد راجب الطباخ : أهلام النبلاء في تاريخ حب الشباب ج ١ ص ٣٨٨
راجع كذلك :

Michaud , op. cit., t. III, pp. 323 - 324 , Grousset, Histoire de
Croisades, t. I, p. 367, D'Aréop, Nouvelles Recherches sur les
Ismaéliens de Syrie, p. 377-

(٤) طه شرف : دولة الزارية ص ١٨٠

المسلمين (١) ، الامر الذي أناد منه اللاتين الفزاة اكبر فائدة . وقد نعى الى علم الزارية ان حسين بن ملاعب جناح الدولة امير حمص وزوج ام الملك رضوان قد تامر ضدهم ووسوس في أذن رضوان من أجل القضاء عليهم . ومن أجل ذلك عمل الحكيم المنجم على اساءة العلاقات بين جناح الدولة والملك رضوان ، واوهم الملك بأنه — اى جناح الدولة — يدبر مؤامرة لاغتيااله والاستيلاء على حلب . ولذا تامر على التخاص منه ، وانظر الفرصة الوازية لذلك . فلما حاصر الصليبيون قلعة الاككراد قرر جناح الدولة الامراع انجدهما ولكن قبل المسير اليها اتجه إلى مدينة حمص ليصلي الجمعة وكان ذلك في رجب ٤٩٦ هـ / مايو ١١٠٣ م . ولكن الحكيم المنجم كان قد سبر ثلاثة من القداوية متكررين في زى الصوفية لاغتيااله ، فلبسوا وصل بموضع صلاة أقتربوا منه وتظاهروا بالدعاء له ثم وثبوا عليه وطعنوه بخناجرهم فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أتباعه ، وكان هذا أول ضحية لهم في الشام (٢) . ولقد شاعت الصدف أن يكون ضمن المصلين عشرة من الصوفية فظنوا انهم أتباع الحشيشية وقضوا عليهم تماما (٣) . ولقد أدى مقتله إلى اضطراب أهل حمص الذين أرسلوا إلى ظهر الدين طغتكين وفاق صاحب دمشق يلتمسون إرسال نائب

Stevenson, *The Crusaders in the East*, p. 75. (١)

(٢) ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣ ، ابن السديم زبدة الطب ج ١ لوجة ١٢٥ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٢١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٨ ، محمد واهب الطباخ : أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٩٠ راجع أيضا :

R. O. L., t. XI (1908), p. 150. Setton op. cit., t. I, p. III, Lewis, op. cit., pp. 485 - 486, Runciman, op. cit., t. II, p. 59 Treese *The Crusades*, p. 136.

Defrémery. op. cit., p. 379. (٣)

ليصل القلعة خوفاً من أسبلاء الصليبيين عليها . فتوجهوا بنفسها وولسنا القلعة . فلما علم الفرنجة بذلك عدلوا عن محاصرتها (١) . وبعد مرور حوالي أربعة عشرة يوماً على مقتل صاحب حصص ، مات الحكيم فجأة وقيل انه قتل . وقد نجح في قيادة الاسمايلية في سورية حيث كان أول من بشر بالعقيدة الاسمايلية فيها . وتسلم الدعوة في الشام بعد الحكيم المنجم ابو طاهر الصائغ (٢) . فكان أول مارجة اهتمامه اليه هو تنشئة الشباب الاسمايلي تنشئة قوية . فعم التدرب على أعمال التمويه والتخون على الدفاع والهجوم ، كما سار على نهج سلفه في التقرب من الملك رضوان . وكان يساعده في إدارة شئون الاسمايلية فاضى للقضاة أبو الفتح السرميني . ولسا طلب أبو طاهر من الملك رضوان حصنا قويا من حلب اعطاه سرمىن وأستقر أبو الفتح به (٣) .

واسطاع الاسمايلية بفضل جهود ابني طاهر الصائغ الاستيلاء على حصص واظمة سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ - ١١٠٦ م (٤) . وسبب ذلك أن معولي أمر هذا الحصن من قبل الملك رضوان قد أرسل إلى صاحب مصر الخليفة الفاطمي الأمر باحكام الله ، وكان يميل إلى مذهبهم ، بطلب إرسال من يسلم الحصن

(١) ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ص ٣ ، السيد المرادي ، فرقة النزاريه ص ٨٥ .

(٢) Setton, op. cit., t. I, p.121. Guyard, op. cit., p. 348.

(٣) مصطلح غالب: اعلام الاحمادية ص ٤٠٠ ، عمر أبو النصر: تلعة الموت ص ١٥٧

(٤) اظامية هي مدينة حصينة من سواحل الشام وكوره من كور حصص ، وهي مدينة مدنية يرجع بناؤها الى العام السادس من موت الاسكندر (٣١٣ ق. م) . انظر ياقتوت: معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٣ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٣٦٢ .

ابن ملاعب القاضي ابا الفتح السريني زهره ، الا أن القاضي ائتم له حل
 اخلاصة له فقبل ابن ملاعب هذه الثقة منه (١) . ثم عاد القاضي واتصل بابي
 طاهر وعرض عليه أن يرسل ثلاثمائة رجل من أهل سمرين معهم خيلا من
 خيول القرنجيه وسلاحا من أسلحتها ورؤوس من رؤوسهم ، ويسأون الى ابن
 ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون معاملة الملك رضوان واصحابه لهم ،
 وانهم طرّوه فليقيم جماعة من القرنجية فظنّروا بهم ، ويحملون جميع ما معهم
 اليه فإذا اذن لهم بالمقام تقدوا الحيلة . ففعل ابن الصائغ ذلك ، وصل القوم إلى
 اقامية وقدموا إلى ابن ملاعب ما معهم من الخيل وغيره فقبل ذلك منهم وأمرهم
 بالبقاء عنده وأنزلهم في رضى اقامية . فلما كان في إحدى الليالي نام الحراس
 بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من أهل سمرين ودلوا العبال واصعدوا
 أولئك اللقادمين جميعاً وقصدوا أولاد ابن ملاعب واصحابه فقتلوه . واتى
 القاضي وجباة معه الى ابن ملاعب وهو نائم فأحسن بهم الا أن طعناتهم كانت
 أسرع منه فمات . ولكن أحد ابناءه استطاع الفرار والتجأ عند الحسن بن
 منقذ صاحب شيراز محفظة لعهده كان بينهما . ولما سمع ابو طاهر بما حدث
 سار الى اقامية وليس عنده ادنى شك في ان الحصن له ، ولكن فوجيء بأبي
 الفتح يقول له « ان وافقتني واقلمت معي لبارح والسمّة ونحن بحكمك
 والا فأرجع من حيث جئت » ، فعملك ابن الصائغ اليأس (٢) .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٧١ ، انظر أيضا :

Defrémery, op. cit., pp. 380 - 383.

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ ، سبط ابن الجوزي :

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦ ، ابن العديم : زبدة الخلب ج ١ لوحة ١٢٧ ، ابو الفدا :

المختصر ج ٢ ص ٢٣١ ، العيني : مقد الجواز ج ٢ لوحة ٥٩١ - ٥٩٢ .

ابن ملاعب القاضي ابا الفتح السريني زهره ، الا أن القاضي ائتم له حل
اخلاصة له فقبل ابن ملاعب هذه الثقة منه (١) . ثم عاد القاضي واتصل بابي
طاهر و عرض عليه أن يرسل ثلاثمائة رجل من أهل سمرين معهم خيلا من
خيول القرنجيه وسلاحا من أسلحتها ورؤوس من رؤوسهم ، ويسأون الى ابن
ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون معاملة الملك رضوان واصحابه لهم ،
وانهم طرّوه فلقبهم جماعة من القرنجية فظنّروا بهم ، ويحملون جميع ما معهم
اليه فإذا اذن لهم بالمقام نفذوا الحيلة . ففعل ابن الصائغ ذلك ، وصل القوم إلى
أفامية وقدموا إلى ابن ملاعب ما معهم من الخيل وغيره فقبل ذلك منهم وأمرهم
بالبقاء عنده وأنزلهم في رضى افامية . فلما كان في إحدى الليالي نام الحراس
بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من أهل سمرين ودلوا العبال واصعدوا
أولئك اللقادمين جميعاً وقصدوا أولاد ابن ملاعب واصحابه فقتلهم . واتى
القاضي وجباةته معه الى ابن ملاعب وهو نائم فأحسن بهم الا أن طعناتهم كانت
أسرع منه فمات . ولكن أحد ابنائه استطاع الفرار والتجأ عند الحسن بن
منقذ صاحب شيراز محفظة لعهده كان بينهما . ولما سمع ابو طاهر بما حدث
سار الى افامية وليس عنده ادنى شك في ان الحصن له ، ولكن فوجيء بأبي
الفتح يقول له « ان وافقتني واقلمت معي لبارح والسمّة ونحن بحكمك
والا فأرجع من حيث جئت » ، فعملك ابن الصائغ اليأس (٢) .

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ١٧١ ، انظر أيضا :

Defrémery, op. cit., pp. 380 - 382.

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ ، سبط ابن الجوزي :

مرآة الزمان ج ٨ ص ١٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ لائحة ١٢٧ ، ابو الفدا :

المختصر ج ٢ ص ٢٣١ ، العيني : مقد الجواز ج ٢ لائحة ٥٩١ - ٥٩٢ .



أعلمنا تبين مما سبق ميل أبي الفتح السرميني إلى الزمامة. ولا يستبعد أن يكون الحسن ابن الصباح قد عينه رئيساً للدعوة في تلك النواحي ، وأن ما حدث ما هو الا خدمة كان يهدف من وراءها شل حركة الملك رضوان عن التدخل في شؤون إقامية . إذ لا يبعد أن يقف النزارى المخلص هذا الموقف الجاف ، خاصة وأنهم جميعاً قد اتوا الى الشام من أجل هدف واحد هو نشر الدعوة به والتعاون لتحقيق ذلك^(١).

على أية حال لما سقطت إقامية في أيدي الاسماعيلية خشيت بعض العناصر للاهلية الموجودة بها من سقوط المدينة ق قبضة الحليين في ظل هذه المفوض الضاربة اطنابها بعد مقتل خلف بن ملاءب والشقاني الدائر بين الحشيشية . ولذلك فقد ارسل جماعة من الحشيشية يسعدسون حضور تنكريد صاحب انطاكية الاسعلاء على المدينة^(٢) . وتوجه تنكريد بالفعل إلى إقامية وأخذ معه سبعمئة فارس والفا من المشاء ، ووصل المدينة ولكن الداعي بالفتح السرميني رده عنها ودفع له مبلغاً كبيراً من المال غير أن مصيحب بن ملاءب الذي استطاع الفرار بعد حادثة إقامية ، التجأ إلى تنكريد وأخذ يرضه على ضرورة العودة إليها مرة ثانية وأطمعه فيها قائلاً له بأن قوتها تتضاءل ولن يكفى تمسوينها أكثر من شهر واحد . كما شرح له ضعف مركزهم . ولذا عاد إليها تنكريد مرة أخرى ، وحاصرها وتسلمها بالأمان في الثالث عشر من محرم سنة ٥٠٠هـ / ١٥ سبتمبر ١١٠٦م ، وقبض على أبي الفتح السرميني وحمل معه ابا طاهر الصائغ وأصحابه أسرى . إلا انه منحهم الحياة مقابل مبلغاً من المال أقعدوا

(١) طه شرف : دولة النزوية ص ١٨٤ .

(٢) انظر المنقح الأول باخر الكتاب راجع كذلك :

Grousset, op. cit., t. ٤, p. 424.



انفسهم به وعاد ابو طاهر الى حلب^(١) . ولقد كان هذا الاتصال الصليبي الاسماعيلى بمثابة الحلقة الأولى فى سلسلة الاتصالات التى تمت بينهما خلال القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) . ومنه يفسح ارتباط مصالح الفرنجة والاسماعيلية فى الشام والأمر الذى أدى إلى تعاونهما - مما امام عدو مشترك لكليهما .

وكيفما كان الأمر ، فقد ظل الملك رضوان على حبه ونفقه بالنزارة رغم انفرادهم بالسيطرة على اقامية . والدليل على ذلك أنه فى سنة ١٢١١/٥٠٥ م عندما اتجه السلطان محمد السلجوقى لمحاربة الصليبيين فى بلاد ما بين النهرين وحاصر مدينة الرها إمتنع رضوان عن إمداده بالمون اللازمة وإغلق فى وجه قواد السلطان أبواب حلب . لما كان منهم إلا ان ضربوا الحصار حولها مدة طويلة . واضطر رضوان إلى الاحتماء بقلعتها واعتصم بالنزارية فى حفظ النظام وصد هجمات قواد السلطان^(٢) . ولكن يبدو ان رضوان أحس فى آخر أيامه بالخطأ الكبير الذى ارتكبه عندما تعاون مع الحشوية واحتضن دعوتهم وحمام ، مما أثار السنين عليه . وقد بدأ هذا الشعور عندما تأمروا عليه وهملوا من أجل احتلال قلعة حلب ذاتها . وكان للملك رضوان كاتب من الديلم^(٣)

(١) ابن اللاتى: ذيل تاريخ دمشق ص ١٥٠

(٢) طه شرف : دولة النزارة ص ١٨٤ .

(٣) م جامعة من أهل الكفر يقال أنهم من بنى ضبة ، وهى طائفة تسكن فى بلاد يحدها من الجنوب نزوين وشيخا من اذربيجان وجانبا من الرى ، ويفصل بينها من جهة الشرق بقية الرى وطبرستان ، ويتصل بها من الشمال ببحر الخزر ، ومن الجهة الغربية حانب من اذربيجان انظر : الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٢٥٣ ، القزويني : اثار البلاد وأخبار العباد ص ٢١١ .



يسكن القلعة وقد عرض عليه أبي طاهر ونائبه أن يبني لهما ولرجالهما الجو
 من أجل الاستيلاء على القلعة . فكان يصعد اليه كل يوم رجلا أو رجلان أو
 أكثر فيرسلهم الى داره القريبة من القلعة ويطلب اليهم المكوث في الغار الموجود
 بها ، ويقدم لهم الطعام والشراب . وظل على هذا الحيات إلى أن بلغ عددهم
 ثلاثة وستون رجلا . وفي أحد الأيام وصل إلي جاب أحد الباطنية من أهل
 سمرقند وبات ليلة عند أبي سعد الاسبلار . ولما كان صديقا له فقد نصحه بعدم
 التواجد في القلعة بل النزول الى المدينة وأفشى له بالحطة السرية الموضوعية
 من أجل الاستيلاء على حاب واستحلفه بالكتمان . فصار ابو سعد في الحمال
 الى الملك رضوان وأطلعه على حقيقة الأمر . فطلب منه رضوان الرأي والمشورة
 ووافق بشرط ان يقدمه على جميع من القلعة ويكون له الكلمة الأولى والمطاعة .
 فأمر الملك بذلك ، ثم توجه مع أبي سعد بالقوات اللازمة ، وهاجوا دار الكاتب
 رقبضوا عليه وقطعوا رأسه وأمروا رجال الاسماعيلية بالخروج من الغار والا
 تم هلاكهم عن آخرهم . وقد أعطاهم الملك رضوان أمانا بشرط ان يخرجوا
 من البلد ، وقد يم لهم هذا . ولما سمع باقي الباطنية الوجوديين في المدينة بذلك
 اخذوا يفرون خوفا من انتقام الملك رضوان^(١) . فكانت تلك المؤامرة من
 العوامل التي أدت الى نفور الملك رضوان من الناطقية ، وكان يتربص
 الفرصة من أجل التخلص منهم . وسرمان ماحات هذه الفرصة وكان ذلك
 في سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م حينما اتهم رضوان بالتواطؤ مع التزارية على إغتيال
 احد تجار فارس بالأثر بابه عند مروره بتجارته من حلب ، هل ان يقصمنا الثنائيم
 معا ، ولكن شاءت الظروف ان استطاع التاجر التقلب على مهاجبه ، ولما عرف

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ٧٦ .



واقع الحال ثارت حلب عليهم فيما يشبه مذبحة عامة ، واضطر رضوان الي اظهار رضائه من المذبحة . ولكن بعض العناصر الاسمايلية استطاعت الافلات منها (١)

ولما توفي الملك وضوان في جمادى الآخر سنة ٥٠٧هـ/دبسمبر ١١١٣م فقد الباطنية بالشام نصيرا لهم كان يشملهم بسفة عامة بطلعه فضلا عن حمايتهم وتأيدهم وخلفه في حكم حلب ابنة الب ارسلان وكان يناه من العمر ستة عشر عاما وكان امر الباطنية قد استفحل في هذا الوقت وكثر اتباعهم ممن اعتنقوا المذهب الاسمايلي ، وصار كل من اراد ان يحمي نفسه يلتجئ اليهم . وقد سار الب ارسلان على نهج سياسة أبيه فيما يتحاق بالاسمايلية . وكتب اليه السلطان الساجوقى جينزداك وهو محمد بن ماكشاه بقول له « كان والدك يخالفي في امر الباطنية وانت وانت بلدى فأحب أن تقتلهم » . وفي الحال شرع ابن بديع رئيس حلب مع الب ارسلان في امرهم ، وقرر الايقاع بهم والنكابة بهم . وابتدات خطتهم بالقبض على ابي طاهر بن الصنائع رئيس الباطنية في الشام وعلى كبار رجاله . وتم قتلهم ، كما قتلوا كل من يدين بالولاء لهذا المذهب . وقبضوا على زهاء مائتي نفس منهم والقي بهم في السجون . واخذت اموالهم ، كما رمى البعض الآخرون اهل القلعة . واستطاع عدد منهم الافلات وتفرقوا في البلاد والتجأ الي القرنجية (٢) .

(١) السيد الزاوي : فرقة التزارية ص ٨٥ .

(٢) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص

٢١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ لوحة ١٣٢ ، ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨

ص ٤٦ - ٤٧ ، العيني : مقد الجان ج ٢٥ لوحة ٦٧٧ - ٦٧٨ انظر كذلك :

Grousset, op. cit., t. I; p. 479, Defrémery, op. cit., p. 393.

وكان رد الفعل لهذه الذبحة التي قنمت على كثير من الباطنية ان اسحققوا لابن بديع وقررروا الانتقام منه . فواتهم الفرصة سنة ١١١٦/٥٥١ م حيث انقض عليه اثنان منهم وضرباه عدة طعنات ، فاحقهما ولداه وارحميا عليهما فقتلها . وفي هذه المحاولة قتل ابن بديع واجد ولدبة بينما جرح الآخر . ولكن وثبت عليه فداوى آخر وقلة فحاول ان يالحق به البعض ، ولكنه رمى بنفسه في الماء وغرق^(١) .

وتعتبر مذهبه حطب من أهم الأحداث في تاريخ هذه الطائفة في الشام . ولولا الحيوية الكاملة في جسم هذه الجماعة لما بنت بعناجديدا بسياسة جديدة مبنية على معالجة الأوضاع الخاطئة التي وقعوا فيها ، ومن أهمها هدم محاولة الاستيلاء على المدن بل الاكتفاء بالاستيلاء على بعض الاماكن ذات الموقع الاستراتيجي الهام^(٢) .

وافلت من مذبحة حلب داعيان كبيران احدهما يسمى جسام الدين حيث فر الى مدينة الرقة واستقر بها حتى مات ، والثاني اسمه ابراهيم بن اسماعيل العجمي ، وهو الذي كان له شأن كبير في عهد رضوان . الا اننا لا نعلم شيئاً عن حياته ، ويسعد من لقيه انه من اصل فارسي . وكان همزة الوصل بين الملك رضوان ومقدم الاسماعيلية ، كما كان من للقادة الذي يثق فيهم رضوان ، حتى انه جعله نائبا عنه في المحافظة على القلعة التي كان يلجأ اليها هو ورجال دولته في المناسبات^(٣) . وقد التجأ ابراهيم العجمي بحد

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ لوحة ١٣٧ .

(٢) طه شرف : دولة النزارية ص ١١٧ - ١١٨ .

(٣) مصطفي غالب : أهلام الاسماعيلية ص ٨٥ .



الايقاع بالاسماعيلية في مذبحه حلب الى شيرز (١). فكان فيها بنو منقذ ،
وتقرب اليهم حتى وقفوا فيه . وفي نفس الوقت اخذ يحصل بجماعة الاسماعيلية
الموجودين في افامية وسمرين ومرة النعمان ومرة مصرين (٢). وأخذ
الجميع يخططون من اجل الاستعلاء على شيرز لانهم أرادوا ان يخذ قلعها فمرا
لهم يحنون به بعد الكارثة التي حلت بهم . وقد جذبتهم القلعة لموقعها ، حيث
كانت تستقر فوق جبل منيح بعدد الوصول اليه ويقع بالقرب من نهر
الاورت وهو نهر العاصي فضلا عن أنه لا يمكن الوصول اليها الا عن طريق
واحد وهذا ما يزيد من معانتها (٣). واختار الهاطية يوم عيد الفصح من سنة

(١) شيرز مدينة ذات قلعة حصينة ، يمر نهر العاصي في شمالها ، ثم ينحدر هندا .
وهي ذات اشجار وبساتين . وبينها وبين حماة تسعة أميال ، وبينها وبين حمص ثلاثة
وثلاثون ميلا ، ومن شيرز الى أنطاكية ستة وثلاثون ميلا . ولها سور من لبن وثلاثة
أبواب . انظر : أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٣٦٢ .

(٢) مرة النعمان مدينة قديمة واسكنها مهدمه اليوم ، وتقع في منطقة حمص بين حاب
وحماة ، وغرفت بالنعمان نسبة الى النعمان بن بشير صحابي النبي الذي توفي ودفن فيها .
وبقيت بها قلعة حصينة على يد المظفر محمود بن ناصر محمد بن تقي الدين بن عمر شاهنشاه
وكانت قبل ذلك تسمى بذات القصور . ونزل أن النعمان اسم جبل يطاق هايتها فسميت به
أما مرة مصرين فهي بنواحي حلب ، ومحفوفة بالأشجار والبساتين وكان لها سور قديم
مبنى بالحجر . وكلمة مرة في اللغة العربية تعني كوكب في السماء أو تتال بدون اذن قائمة
أو تلون الوجه من الغضب . وقد استولى عليها الغازي بن أرطغرل من الفرنجة سنة
٥١٣ هـ / ١١١٩ م . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٧٤ ، سراسد الاطلاع
نشر T. G. Tuynboll ج ٢ ص ١٢٠ ، دمشق الانصاري ، نسخة الدهر ص ٢٠٠
ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٤ ، مهذب رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٥٥ .

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٠ ، السيد المزاري : هجرة النزارية
ص ٨٦ ، مصطفي غالب : اهلام الاسماعيلية ص ٨٥ .



٧٠٥/١٣٠١ موعدا لتنفيذ خطة الاستيلاء على القلعة ، حيث سيخرج سكانها المسيحيون منها للاحتفال بظواهر هذا العيد ، فضلا عن غياب البعض من اهالي القلعة في رحلات الصيد . وبالفعل عندما خرج الاهالي في اليوم المذكور وأصبح لا يحمي القلعة سوى عدد قليل من المسلمين ، تسلق مائة رجل من رجال الاسماعلية وانقضوا عليها على غفلة ممن فيها وأخرجوا منها وأغلقوا أبوابها وماكو القلعة وارجعها ، ولكن الداعي ابراهيم العجمي لم يسفر طريلا في القلعة ، لأن أصحابها هاجروا ليلا واستطاعوا تسلق الجدران عن طريق الجبال التي ادلاها لهم نساء المدينة اللاتي بقين بها . استطاعوا قسج أبواب القلعة والهجوم عليهم وقتلوا كل من كان في البلد من الاسماعلية (١).

وارسل الحسن بن الصباح إلى الاسماعلية بالشام خطابا يعزهم فيه ويشجعهم حتى يكونوا مثلا اعلى يسير عليه اخوانهم النزارية الآخرون . وعز بنو منفذ مع الاسماعلية على رقعة من هذا الخشب فيها درحكم الله ياخواننا ان يصاد من الطير الا من يحسن التسيب لا غير (٢).

ونظرا لأن الاسماعلية قد تعرضوا للاضطهاد والمذابح أيام البارسلان، فقد سرروا لوفاته سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م وتولية نجم الدين أيلغازي حاكما على حلب . إذ عملوا على التقرب اليه وجذبه إلى عجلتهم . فكان يتودد اليهم على نهج سياسة الملك رضوان . ولهذا عاد تفرغهم قويا في مدينة حلب ، واعتقدوا

(١) ابن الفلاني : ذل تاريخ دمشق من ١١٠ ، الميق : عقد الجمان ج ٢٠
لوحه ٦٧٢ راجع كذلك :
Grousset, op cit , t. I, p. ٥٠0, Defrémery, op cit., pp. ٩٣ - ٩٤.
(٢) ابن الفرات : ذرخ الدول والملوك ج ١ من ٧١ .



أن أبلغازى سيساعدهم على الاستيلاء على إحدى القلاع التي كثيراً ما كانوا يرغبون في إحتلالها وهي قلعة الشريف المجاورة لحلب ، تلك القاعة التي سبق لهم أن طلبوها من السلطان الب ارسلان ، ولكن لما أجابهم إلى ذلك نارت نائرة قاضي المدينة أبو الحسن بن الغشاب وعمل على إخراجهم بعد أن قتل منهم ثلاثمائة نفس وأسروا مائتين وفاق رؤوس القتلى على أبواب المدينة (١) .

على أبة حال، لما تولى نجم الدين أبلغازى امر حلب مادالاسماعيلية مرة اخرى في التخطيط للاستيلاء على قلعة الشريف . فأرسل داعى الدماء ابو محمد الذى كان قد أوفد الى الشام سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م من قبل شيخ الجبل الحسن بن الصباح رئيساً للدعوة الاسماعيلية فى الشام . وتم أن من الحرب من المذبحة التي نصبت للاسماعيلية فى كل من حلب وشيزرو وأرسل احد رسله بجملاهم دايا كثيرة سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م الى أبلغازى يطلب منه فى خطاب موجه إليه ان يسلمه قلعة الشريف ليصغدها مسكناً ومأوى لاتباعه . ونظراً لأن أبلغازيا كان يود أن يحتفظ بصداقته للاسماعيلية وفى نفس الوقت لا يحبذ فكرة امتلاكهم اماكن ينشرون منها دعوتهم حتى لا تكون بمثابة تهديد للدولة ، فقد أجاب بلباقة على رسول الاسماعيلية مظاهراً بأنه قد أمر بتخريب هذه القلعة بل وصوله بقليل وفى نفس الوقت ارسل اشارة الى حماة القلعة عن طريق الحمام الزاجل يأمرهم بهدم السور الذى يفصل بين حلب والقلعة ، كما سلم الرسول النزارى خطاً اباً موجهاً الى قائد القلعة يأمره بأن يسلم القلعة الى الرسول النزارى . وقد أراد أبلغازى من وراء هذه المناورة ان يوم مقدم الاسماعيلية بأنه يستجيب دائماً الى مطالبه بدليل انه سلم الرسول الاسماعيلي خطاً اباً يتضمن امر تسليم القلعة

(١) ابن الصحنة : الدر المنثور ص ٢٥ ، طه نرف : دولة النزارية ص ٢٠٠ .



اليه . وفي نفس الوقت فإن ايلغازي كان متأكدا بأن الحلال الذي أصبح عليه شكل القلعة بعد تهديم سورها لن يجوز رضاه الاسماعيليه الامر الذي يجطهم يرفضون تسلمها . وبذلك يكون قد وفق بين ارضاء الاسماعيليه والمحافظة على صداقتهم ، وبين رغبته في عدم وجود الاسماعيليه في هذه القلعة . وحدث فعلا ما توقعه ايلغازي ، اذ لما وصل الرسول الاسماعيلى الى القلعة وجدها مهذمة وعلى غير ما يرغب الاسماعيليه ، وكانت صدمة كبيرة لهم حيث كانت تهدوم الآمال في الاستقرار بها لتكون مركزاً لهم في بلاد الشام يبتون منها دعاتهم وينشرون دعوتهم . ولكن يبدو انه قد حدث ما لم يكن في حساب ايلغازي فنراهم قد عادوا وطلبوا مرة أخرى أخذ القلعة واصـلاحها واقامة سورها . ولكن ايلغازي اجاب بـانه ليس له حيلة امام أهل المدينة السنيين ولا يمكنه معاداتهم ، وأخذ عليهم عهداً بعدم الاتصال به في السر (١) .

ونعمه رأى آخر في هذا الشأن ، وهو انه عندما طلب ابو عبد امتلاك قلعة الشريف ، انتقل الخبر بين مائة الناس في حلب وأخذوا ينصحون بعضهم البعض بضرورة عدم تنفيذ هذا ، لانه لو اخذت القلعة فسوف تمتد أطباع الاسماعيليه ويصبحون سادة حلب . ولذا أسرعوا بهدم سورها وعملوا خندقاً يفصل بين كل من قلعة حلب وقلعة الشريف (٢) .

وكيفما كان الامر ، فقد خلف الداعي بهرام بنى موسى الاسترأباذى (٣) .

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك - ٢ من ٣٩ - ٤٠ ، انظر أيضا :

Deté, op. cit., p. 99-401.

Del ércy, p. cit., p. 401.

(٢)

(٣) ولد في صمرقند سنة ٤٠٩ هـ / ١٠٦٦ م ، وكان أبوه من تجار الاسهامانية وند



ابراهيم العجمي الذي قتل في مذبحه شيزر . ولما وصل الشام نزل على حلب حيث قام ببعض التفتيشات في صفوف الاسماعيلية . وأخذ ينتقل من مدينة الى اخرى ، ومن قلعة الى اخرى في استتار تام دون ان يعرفه احد . وظل هكذا حتى كثر اتباعه وصادق نجم الدين ايلغازي . ثم اتجه الى دمشق على رأس فريق من الاسماعيلية حيث كان صاحبها حينذاك ظهير الدين طفتكين وكان قد اتفق ايلغازي مع صاحب دمشق على اكرامه لاقضاء شره وشر جماعته مع السماح له بالاستقرار في دمشق (٢) . واستنحل امر بهرام في دمشق ، وتبعه من جملة الناس وسفهاء الموام والفلاحين ممن لا عقل لهم ولا دين وذلك من أجل الاحتماء به . وماونه الوزير ابو علي سعد ظاهر بن المزدغاني . ولولا ان أهل دمشق يظلم عليهم مذهب السنة وانهم يشدون عليه في كل ما يريد لاستطاع امتلاك البلد . ولكن لما رأى بهرام مدى سوء المعاملة والمداوة التي يكنها له أهل دمشق خاف على اتباعه وطالب من ظهير الدين طفتكين حصنا بأرضه ويحتج به فأشار عليه وزيره بأن يسلمهم فغربانياس . وبالفعل تسلم بهرام هذا الثغر في ذي القعدة سنة ٥٠ هـ / ديسمبر ١١٢٦ م . وترك بدمشق نائباً له يدعو الناس الى مذهبه ، وكان هذا هو اول امتلاك شرعي للاسماعيلية في سورية . واجتمع

=أرسله الى مدرسة نيسابور لتلقي العلم بها ، وبعد أن أنتهى من دراسته التحرق في ذلك الدعاة الاسماعيلية ثم توجه الى مصر سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م لاثول بين يدي أخايفة الفاطمي المنتصر باقر . ولكن بعد موته عاد الى الموت وقرر الوتوف بجانب ابن الصباح بعد تأسيس الدولة الترابية بفارس . ثم أرسله ابن الصباح الى الشام لثاناً لابراهيم العجمي . انظر : مصطفى غالب : أهلام الاسماعيلية من ١٧١ .
(١) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق من ٢١٥ ، السيد المزاري : فرقة الترابية من ٨٦ .



ببانياس جماعة من الرطاع والسفهاء والفلاحين والعموم الذين استألمهم بمخدة واضائله ، فعظمت المصيبة بهم الامر الذي أثار علماء السنن وفقهاها والمتدينين ولكنهم أبوان يشكروا امرهم لاحد خشية على انفسهم ، لان الاسماعيليين كانوا يفتنون كل من يعاندهم ويقف مرقف العداة (١) . وقد ترك امتلاكهم لهذا الثغراً كبيراً أى ازدياد نفوذهم وقوتهم بشكل ملحوظ في المنطقة (٢) . ولما اشتد امرهم بدأوا يتطلعون إلى الاستيلاء على الحصون والبلاد المجاورة لهم في جبال صهيون حتى صسازت لديهم وسموها دار الدعوة التي يجتمعون فيها (٣) . وفضلان هذا ما كان يبرام قد بث دعائه في سائر الجهات ، حيث اعموا الرب والهاب واطانهم على ذلك الوزير المزدقاني (٤) .

وفي سنة ١٠٥١ هـ / ١٠٢٧ م تعرض الاسماعيلية الى مذبة أخرى من قبل السلطان سنجر بن ملكشاه (١٠١١ - ١٠٥٢ هـ / ١١١٨ - ١٠٥٧ م) راح ضحيتها اثنا عشر الفا من الباطنية . وذلك بسبب ضيق صدره من الاعمال التي كانوا يفتنونها في المنطقة . ولقد كان وزيره معين الدين هو المحرض الاول لهذه المذبحة ، إذ كان يرى ضرورة استئصص لهم قبل اتساع نفوذهم ونشاطهم اكثر مما وصلوا اليه . ونظير ذلك تعرض هذا الوزير لختابا القداوية واصبح بخياله اللابد حيث تنكر احدهم في زي سايس يخدم في اصطبله واخذ يترقبه

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ : ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٦٩ ابن خلدون العبر ج ٤ ص ٩٦ - ٩٧ ، المعين : عقد الخان ج ٣ لوحة ٨٥٨

De frémery, op. cit., p. 405.

(٢)

(٣) المعين : عقد الخان ج ٢ لوحة ٨٥٨ ، ابن قاضي شبهه : الدر الدين في سيرة نور الدين لوحة ٧١ انظر أيضا : Grousset, op. cit., t. I, p. 6١٠

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ .

جيداً حتى وافته المنية لفرصه لاغتيااله اثنا. تفقد الوزير احوال خيله ، فوثب عليه وقتله وقتل بده . وقد حدث هذا في سنة (٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، أى في ذات السنة التي تعرض فيها الاسماعيلية للمذبحة المذكورة (١) .

وحدث في سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م أن استدعى بهرام برق بن جندل أحد مقدمي وادي العيم وقتله بغير سبب معروف بل اغتاراً منه . فتألم أهل الوادي لتلك الكارثة التي حلت بهم وصمم أخوه ضعاعك بن جندل الاسراع بأخذ الثأر من رجال الاسماعيلية وقرر قصد بانياس . ولما علم بهرام بهذا أعد رجاله لمقابلتهم وترك رجلاً يسمى اسماعيل العجمي نائباً عنه في بانياس . ولكن ما كان من الضعاعك وجماعته إلا أن باغتهوه صباحاً وقتلوا الاسماعيلية شر قتال . وقد مات بهرام في هذه المعركة ، وقطعوا رأسه ويديه وطافوا بها في البلاد ، ثم بشوا بها الى خليفة مصر الفاطمي الأمر بالله (٤٩٥ — ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٢٩ م) لأنهم كانوا ينتمون اليه ، وعاد باقي الاسماعيلية المهزومين في أقبـح صيرورة إلى بانياس حيث كان بها اسماعيل العجمي الذي عمل على جمع شملهم من جديد وبث دعاته في البلاد (٢) . ووجد اسماعيل العجمي خيراً المعاملة والتعاون من قبل الوزير المزدغانى تماماً مثل ما كان الحال أيام بهرام . وكان الوزير

(١) ابن خزرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢٢ ، ابن قاضي عهبة : الدر الثمين لحة ٧٧ .

(٢) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢١ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٩ ، النويرى : نهاية الأرب ج ٢٥ لوصة ١٥ ، ابن قاضي عهبة : الدر الثمين لحة ٧٩ - ٨٠ ، راجع كذلك :

Setton, op. cit., t. I, p. 115, DeFrémery, op. cit., p. 4:2.



يهدف من مساعدهته أن يقف معه ضد أعدائه إذا استلزم الأمر إلى ذلك (١) .
وفي هذا الوقت كان المتولي أمر دمشق هو الملك تاج الملوك بومري بن
ظهير الدين طفتكين بعد وفاة أبيه طفتكين في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٢٨ م . وقد
عظم أمر الباطنية بقيادة زعيمهم أبي الوفا الكردى الذى تولى خلفا البهرام في
هذا الوقت فى الشام . وكثرت شكوى الناس لدرجة أنه أصب ح المستولى على
دمشق بعد أن إستبد بصاحبها . ولذلك عزم تاج الملوك بورى على القضاء
عليهم فى أول فرصة مواتية . وقد جاءت الفرصة بالفعل عندما تمى إلى علمه
أن وزيره الزدغانى قد راسل الصليبيين على أن يملكهم مدينته دمشق مقابل
أن يعطوه مدينة صور هو والحشيشية ، وتواعدوا على اليوم والساعة المينة
التي سيتم فيها تنفيذ الخطة ، وكان ذلك اليوم هو يوم الجمعة حيث اشغال
الناس فى الصلاة ، وقد اتفق الوزير الزدغانى مع الاسماعيلية على أن يحيطوا
بابواب الجامع فى ذلك اليوم بحيث لا يمكنوا أحداً من الخروج منه حتى
يأتى الصليبيون ويملكوا البلد . وقد استدعى تاج الملوك بورى تم أمر بقتله
وتعليق رأسه على باب القلعة ونادي فى الناس بأباحتهم قتل الباطنية . وكانت
مذبحة قاسية راح ضحيتها ستة آلاف وذلك فى شهر رمضان سنة ٥٧٣ هـ /
سبتمبر ١١٩٩ م (٢) .

(١) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ . ابن قاضى شيبه : الدر الثمين

لوحه ٨٠ .

(٢) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ ، المهدي الحنبلي : عذرات الذهب

فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٦٦ ، الذهبي : العبر فى أخبار من هجر ج ٤ ص ٥٣ ، التويرى :

نهاية الأرب ج ٢٥ لوحه ١٥٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٠ راجع كذلك :-

ولما سمع اسماعيل العجمي وأعوانه بنا وقع لاهدائهم في دمشق خافوا على أنفسهم ، وقاموا بالكتابة إلى الفرنج يعرضون عليهم تسليمهم بانياس مقابل منحهم جزيرة يتجمعون فيها . وكان ملكهم حينذاك هو بلدوين الثاني (١) ، فرجب بهذا العرض وسلم الصليبيون بانياس .

أما بالنسبة لجماعة الاسماعيليه فقد توجهوا إلى الأراض الصليبيه للاحتياهم بها ، ولكنهم لم يجدوا غير سوء المعامله والاحتقار ، وفي أوائل سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م توفي اسماعيل العجمي أثر اصابته بالدرسنطاريا ، ولم يستمر نعر بانياس مع الصليبيين مدة طويله حيث تمكن شمس الدين تاج الملوك يورى من استعادته سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م (٢) . وبهذا يكون قد اكتملت الحلقة الثانيه من حلقات الاتصال الصليبي الاسماعيلي في الشام .

وفي الواقع ليس من المستبعد أن تكون كثرة المذابح التي تعرض لها الاسماعيليه في الشام من قبل السنين قد فتحت أبواب التقارب بينهم وبين الصليبيين الذين وجدوا فيها فرصه ذهبية لتحقيق أطماعهم في الشرق الأدنى على حساب الخلفاء السياسى والصراع المذهبي بين المسلمين تماما مثلما حدث أثناء الحمله الصليبيه الأولى .

=Michaud, op. cit., t. I, pp. 3-5 - ١٠٦, Grousset, op. cit., I, op. 660 - 661.

(١) تولى حكم مملكة بيت المقدس في الفترة من سنة ١١١٨ - ١١٣١ م / ٥١٢ - ٥٢٦ هـ وكان تولى الشخصية نشطاً جريئاً وعبارة بتجاوا . انظر: عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس ص ٩٥ .

(٢) ابن الاثير : السكامن في التاريخ ج ١٠ ص ٢٨٠ ، انظر أيضا :

Grousset, op. cit., t. I, p. 661, Treese , The Crusades, p. 12 .

وعلى أية حال ، أصف الصابريون لما حدث ، كما ضايقهم عدم تمكنهم أخذ
 دمشق محتلين هذه الخلافات بين المسلمين ، ولذا شرعوا في الاستيلاء عليها
 عنوة . فجمعوا حشودهم من الزها وانطاكية والقدس وطرابلس . فلما علم
 تاج الملوك بورى بحركاتهم تآهب لقاومتهم وأستطاع الحاق الهزيمة بهم مما
 أدى إلى هرب جيوشهم أمام ضربات المسلمين ، وكان ذلك سنة ١١٢٩م /
 ٥٢٣ هـ (١) .

أما الباطنية في فارس فلم يرضوا بهزيمة أخوانهم في الشام أئر المذبحة التي
 تعرضوا لها من قبل تاج الملوك بورى . ولذا صمموا على الانتقام منه وأخذوا
 يتربصون له منتهزين الفرصة المناخبة ليقتضوا عليه . وندبوا رجلين من
 المدارية لتنفيذ هذه المهمة . وقد وصلا دمشق في زى الاتراك ، ونزلا على
 معارف لها من الاتراك سألوم الوساطة في استخدامها . فتدرجا حتى توصلا
 إلى أن يكونا ضمن المعهود اليهم حفظ ركاب الملك تاج الملوك أبورى الذي
 أنس بها ظنا منه أنها من غلمانة . وأقاما شهرين يصيدان الفرصة ايشا عليه .
 وانتزوا فرصة خروجه من الحمام في جمادى الآخرة سنة ٥٢٦هـ / مايو ١٣٢٦م .
 ووصلوه إلى باب القلعة بدمشق ، ووثبا عليه بعد تفرق من كان في ركابة .
 وضربه أحدهما بالسيف فأصدا رأسه فجرح في رقبته ووقع على ركبته فضربه
 الآخر بمنجيره في خاصرته فتذت من الجلد واللحم ورمى بنفسه إلى الارض .
 وتجمع أتباعه عليهما وقطعوهما بالسيوف وعملوا على علاج تاج الملوك فيرى
 من الجرح الذي في عنقه ، أنا الجرح الذي في خاصرته فلم يبرىء منه وكان

(١) النورى : نهاية الارب ج ٢٥ لوحة ١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية

سبأ في وفاته . وتولى أمر دمشق من بعده أبنة شمس الملوك اسماعيل (١) .
 وكينها كان الأمر فقد أراد الاسماعيلية أن يهوضوا فقدم لحصن بنياس
 فاشترؤا حصن القدموس من صاحبه سيف الملك بن عمرو سنة ٥٢٧ هـ /
 ١١٣٣ م . كما استولى على حصن مصياف في سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠-١١٤١ م (٢) .
 وكان الاسماعيلية في بلاد الشام ، رغم طاعتهم لرؤسائهم المبعوثين من
 الموت ، فكانوا يخضعون في نفس الوقت لشيخ الجبل الموجود بقلعة الموت في
 فارس (٣) . وجددير بالذكر هنا أنه رغم القوة والنفوذ الذين اتم بها نشاط
 الاسماعيلية في الشام وقعداك ، إلا أنه من المشكوك فيه أن كان لهذه الجماعة
 بالشام جيش منظم يستطيع الدفاع عن مجتمعه . ولعل في المذاهب المتتالية التي
 تعرضت لها الاسماعيلية سواء في حلب أو في دمشق أو شيزر على يد الانحماك
 ابن جنبدل خير ما يبرر هذا القول ، حيث كان يقضى عليهم قضاء مبرما في كل
 مذبة دون أي رد فعل ايجابي من ناحيتهم . فليس من المعقول أن يقضى على
 جيش بأكله وفي سنوات متقاربة الاهم إلا إذا كان هذا الجيش لا يصدو أن
 يكون أكثر من جماعات فدائية محذودة العدد . فضلا عن أننا لم نسمع عن
 هجوم شامل قام به الاسماعيلية ضد أي قوة من القوات المعادية ، كما أننا لم
 نسمع عن نشاط دفاعي من قبل هذه الجماعة لصد قوى المتأثرين لهم على مرار

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٢٥ ، ابن الجوزي : مرآة الزمان
 ج ٨ ص ١٣٦ ، ابن تفرى بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٤٩ ، العهد الحنبلي :
 شذرات الذهب ج ٤ ص ٧٨ ، ابن قاضي شيه : الدر الثمين لوحة ٨٣ .
 (٢) انظر ما سبق ص ٩٩ ، ٩٩ وكذلك خريطة تلاح القعدة

Guyard, op. cit. p. ٥52

(٣)

ما كان يحدث في الموت عند هجمات السلاجقة عليهم . بل كانت هناك حركات فردية لاتأخذ صفة الجيش النظامي . أما بشأن نفوذهم وقوتهم فليس مرجحة وجود جيش قوى قائم وإنما مرجحه الرهبة التي فرضتها هذه الطائفة على عامة الشعب بسبب كثرة استخدامها للخناجر السامة فضلاً عن سيطرتها على الحكام الموجودين وصدقتها لعدد منهم ، وتزايد عدد معتقي الدعوة . وبناء على ذلك يمكن القول بأنه لو كان هناك جيش منظم لاسماعيلية الشام لتوطدت علاقتهم بالصليبيين بشكل ملحوظ ، ولاستغل الصليبيون الفرصة في التحالف معهم من أجل الوقوف معا ضد عدوهما المشترك المتمثل في القوى السنية .

ومما يمكن ، فقد نجحت الدعوة الاسماعيلية في الشام في أواخر القرن الخامس وخلال النصف الأول من القرن السادس من الهجرة (أواخر القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي) . وساعد على ذلك أن الشام كان مرتماخصيا للصراع بين الصليبيين والفاطميين والسلاجقة حيثذاك ، مما هيا لها مناخا ملائما لتحقيق مشاريعها وتنفيذ أغراضها .

وإذا كان النصف الاول من القرن السادس الهجري (النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي) قد مر دون أن يتخلله أى نشاط ملحوظ للاسماعيلية بالشام ضد القوات الصليبية والسنية في المنطقة ، إلا أن النصف الثاني من هذا القرن شهد سياسة جديدة للاسماعيلية اتسمت بالقوة والعنف والازدهار في نفس الوقت ، حيث تزعمهم رجل يشهد له التاريخ بالجرأة والذكاء وقوة الشخصية التي تكفي لإدخال الرعب في قلوب الاعداء والاصدقاء على السواء ، ونعني به راشد الدين سنان . ونظرا لأنه أول شيخ الجبل العاليين له ، وموقفه من لأهمية الدور الذي قام به دون غيره من شيوخ الجبل العاليين له ، وموقفه من كل من الصليبيين والسنيين . نستعرض له في تىء من التفصيل والتفصيل .

هو أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد ، ولد في قرية صغيرة من قسرى
 البصرة تعرف باسم قرن السدن سنة ٥١٨ هـ / ٢٤ / ١١ م (١) . وكانت أسرته
 على مذهب الشيعة الاثني عشرية . ولما شب تحول إلى مذهب الاسماعيليه ،
 وذهب إلى قلعة الموت لتلقى علوم الدعوة بها . وكان صاحب الموت حينذاك
 هو محمد بن كيا بزرگ آميد حيث استقبله وجعله مع ولديه في طلب العلم .
 وتوطدت بذلك صلة سنان بولي العهد الحسن بن محمد . ولما أكمل دراسته
 أوفد إلى العراق سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، فاستقر بالبصرة حتى سنة ٥٥٨ هـ /
 ١١٦٢ م ، حيث اختاره الحسن بن محمد نائباً عن الامام في سوزة ليتولى أمور
 الدعوة بها نظراً لما له فيه من ذكاء وشجاعة وذلك بعد أن أصبحت
 الاسماعيليه على وشك الانقراض في تلك البلاد نظراً للاخلافات الداخلية التي
 نشأت بين بعض الدعاة ، فضلاً عن المذابح والاضطادات التي كانوا يتعرضون
 لها بين وقت لآخر من قبل الامراء السنيين الموجودين هناك (٢) .

أنجحه سنان نحو الشام سنة ٥٠٨ هـ / ١١٦٢ م ، وكان متكرراً في زى
 الصوفية حتى لا يعرفه أحد . وكان حذراً من المرور في المدن الكبرى أو في

(١) مقر السدن هي من قرى النعمرة بين واسط والبصرة . والنعمرة كورة كبيرة من
 أعمال واسط بينها وبين البصرة ، ولما بين المنحدر إلى البصرة ، وأهلها من الصبيرة .
 انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٥ ، ٦٩٧ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان ج ٨ ص ٤٦٩ ، المي: فقدالجان ج ١ لوحة
 ١٥٩ ، محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيليه ص ٩٠ ، مصطفي غالب تاريخ الدعوة
 الاسماعيليه ص ٢٠٧ انظر أيضاً

Grousset , op. cit . , t. II, p. ٤٥, Ency. of Islam., Art , Rashid
 Sinan Defréremery, op. cit., p. ٥ .



الطرق العائرة خشية أن يراه أحد. ووصل إلى حلب ، ولكن مالبث أن برحها وأنعمى به المطاف إلى قرية صغيرة تمر . باسم بسطربون وهي مجاورة لقلعة الكهف وعكف بهذه القرية يداصل قراءة كتب العقائد المختلفة ، فضلا عن دراسة احوال الطائفة وأعدادها السنين. وكان المتولى أمر حلب في ذلك الوقت هو الملك نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي ، الذي واصل سياسة أبية في تنكيل الشرق الأدنى الاسلامى لمراجمة كل من الخطر الصليبي واساهيلية الشام . وكذا ان عكف دراسة أمر الصليبيين في المنطقة (١) . ولا بد أنه كان يجول بخاطره الافاة من هذه الفئوى المتصارعة على مسرح الاحداث وهذا ما ستكشف عنه النصول التالية .

وذاع صيت سنان فى الأماكن الجيرة باسم الطيب ، ولعل هذا يرجع أنه فى أحد الابام وقع أحد سكان القرية صريع المرض ، فاستطاع سنان تقديم الدواء اللازم له ، الأمر الذى جعل بشغائه . ومنذ تلك اللحظة صار الناس يقصدونه فى المرض حتى ذاع صيته فى شتى الانحاء الجيرة (٢) ولعل هذا كان سببا من أسباب التفات الناس حوله من ناحية ، واودهار الدعوة وقتها من ناحية أخرى . وقد انعكس كل ذلك على علاقته بكل من الصليبيين والسنين .

ولما وصلت أخباره إلى ابن محمد مقدم الدعوة للاسماعيلية بسورية ، طلب رؤيته والاجتماع به ولما تم الاجتماع بينهما أعجب به أكثر مما سمع عنه ،

(١) مصغفى غالب : اعلام الاسمايلية من ٣١٦ ، ميشيل لباد : الاسمايليون ولاة للاسماعيلية بمصاف من ٥٦ راجع كذلك :

Grousset, op. cit., p. 353 .

Ibid , pp . 351 - 351 .

(٢)



وعرض عليه الإقامة بقلعة الكهف فوافق على ذلك . وظل سنان يساعد ابي محمد مدة سبع سنوات دون أن يطامه على المهنة التي أوكلت إليه خشية من حدوث فتنة أو انشقاق بين الانباج . وعندما كان يحتضره الموت سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م علم منه حقيقة شخصيته حيث قال « لقد انقضت مدتك ايوحان آجالك ونهار قد تفارق هذا العالم فقف على تقايدى قبل موته » ، فلما قرأ تقايدوه على الشيخ ابي محمد بكى وقال له سنان « ماذا يبكيك ؟ » فرد عليه لا أبكى أسفا على ما فات من امثال الأمر المطاع مدة سبع سنوات حتى أن مولانا قد جانبنا هوض الملوك ولم أعلم ما يجب على من تسايحه إليك والدخول في طاعتك ولم اقض حقا من حقوقك » . وفي اليوم التالي فارق ابو محمد الحياة (١) . ونولى سنان منذ هذه اللحظة رئاسة الدعوة بالشام وقد أرسل له شيخ الجبل بالموت ، وهو جلال الدين حسن الثالث بن محمد الثاني ، خطابا يؤكده تبعه في مركزه ككاتب عنه في سووية ويوصيه بحماية الاسماعيلية من أى فتنة قد نصيبهم (٢) .

إذا كنا قد سلمنا بأن سنان مكث سبع سنوات قبل أن يتولى أمر الاسماعيلية بالشام ، معتكفا على دراسة أحوال القوى المتصارعة في المنطقة بالإضافة الى التفقه في أمور العقائد الاسماعيلية . فإنه ليس من المعقول أن يظل أمره خفيا على مقدم الدعوة ابي محمد الذي كان بفضل عيون يستطيع

(١) أبو فراس : فصل من اللفظ الشريف لمناقب راشد الدين سنان تحقيق جويارد من ٤٥٥ ، مطبوع في غاب : أملاص الاسماعيلية من ٢٩٦ راجع أيضا :

Guyard, op. cit., pp. 353 - 355 .

Ibid, p. 359, Defrémery, op. cit., p. 11. (٢)



أن يعلم ما يحدث على سرح الأحداث ولذلك لمن المرجح أن يكون شيخ الجبل
 ماوت قد عين سناناً ابناً لابي عمده ولكن نظراً لفروية وكبرياله وعظمة
 شخصيته أبقى ذلك الأمر وأختلق هذه القصة .

على أية حال ، جاء في تقرير سنان عن رحلته إلى سورية مايلي : « لقد
 أرسلني السيد الأعلى في اليرت إلى سورية ، واعطاني أوامره مع خطبتي سلمت
 احدهما إلى أصدقائنا بالركة ، فأسرع وامنني بالاداءات اللازمة واطارني ،
 أمتطبة الوصول إلى حلب ، وهناك اعلمت ان الباب الثاني لأحد اتباعنا وارسلي
 إلى الكهف حيث أمرت بالاستقرار ، ومكنت به سبع سنرات حتى وفاة الشيخ
 ابي عمده المتولي امر الدهوي بسورية حينذاك » (١).

وبعد أن تولى سنان أمور الدعوة بالشام حدثت حركة تمرد في مصياف ،
 واحتج علم بكافة تفاصيلها فأرسل خطاب إلى حاكم الحصن بصفتها المسئول عما
 يحدث وشار إليه بأسماء المتهمين المرضيين لهذا التمرد ، وبذلك تم القضاء على
 الحركة . وان دل هذا على شيء فانه يدل على مدى قوة الجهاز الذي كان يعتمد
 عليه سنان في موافاته بكافة المعلومات المطلوب معرفتها (٢) . ولعل هذا الجهاز
 القوي هو الذي ساعده على التعرف على أحوال الصليبيين والسنيين في المنطقة
 في وقت كان فيه الصراع الصليبي الاسلامي على أشده ، عساه أن يستفيد من
 ذلك لمصلحته ومصاحبة طائفته .

ووجد سنان ضرورة نقل مقره إلى حصن مصياف لما له من تحصينات
 كافية معينة ولوقعه الاستراتيجي . وعند ذلك بدأ يوجه اهتمامه نحو إنشاء

Setton, op. cit., t. I, p. 371 .

(١)

Guyard, op. cit., pp. 359 - 360 .

(٢)

المدارس التعليمية لدرجة الدعاة، وشرع في تدريب الشباب على الأعمال
 الفدائية والتدريبات العسكرية. وكان سنان يقضى أيام الأسبوع متفكراً بين
 القلاع والحصون لمباشرة أعمالها، وكان يكثر التخصي والتكسر من أجل
 تقوية شئون الاسماعيلية، كما كان يخصص يومين في الأسبوع للاعتكاف بأحد
 الجبال العالية يقطع خلالها للتأليف ورصد النجوم^(١)

واتخذ سنان من تعاليم الحسن بن الصباح ونظمه مثلاً يحفذي به، ولكنه
 أضاف إليها آراء جديدة كان يفتنح بها، ومنها الاعتقاد بالتناسخ، وهي
 عقيدة لم يناد بها الاسماعيلية من قبل، بل اتخذوا منها أسلوباً فسخية والتسليية.
 ولكن لما كان سنان يعيش منذ صغره في بيئة تنادي بالتناسخ، فرسخ في
 مخيلته ما كان يسمعه من هذه الأمور، ولم يستطع التخلص منها بل ذاعها على
 اتباعها في الشام^(٢) وكانت النتيجة أن زاد نفوذ الاسماعيلية في هذا الوقت،
 واتسعت رقعة بلادهم في جميع البلاد السورية حتى أصبحوا بالفعل سادة المناطق
 التي يقطنونها، واستقلوا استقلالاً إدارياً بها، وذلك مع الفارق الشديد للعمال
 التي كانوا عليها أيام دعوة الدعوة السابقة على سنان أمثال الحكيم النجم وأبو
 طاهر الصائغ وغيرهما. ورغم هذا فقد تعرضت طائفة الاسماعيلية لهجمات
 وغزوات كثيرة شنها عليهم بعض الأمراء الصليبيين، ولكنهم كانوا في كل
 مرة يفشلون في تحقيق أغراضهم^(٣)

وارتفع شأن سنان في ربوع الشام في الوقت الذي كان فيه نفوذ الاسماعيلية

(١) مصطفى غالب: أهلام الاسماعيلية من ٩٨٠ - ١٠٠٠، ويشير إلى أن الإسماعيليين
 ودولة الاسماعيلية بمصيف من ٥٦١.

(٢) محمد كامل حسين: طائفة الاسماعيلية من ١٠١ - ١٠٥.

(٣) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الاسماعيلية من ٢٠٨.

في الموت قد أخذ في الاضلال . وكان نقشة وورعه سببا في احترام الناس له وحبهم أياه ، حتى أصبح له من المقام عند اتباعه عالم يصل إليه داع آخر من قبله . وكان يجد الطاعة التامة من اتباعه تماما مثل التي كان يجدها ابن الصياح في رجاله . ومن أجل هذا شعر سنان بقوة تفرذه وسلطانه على اتباعه، فعمل على إنهاء خضوعه وطاعته وتبعيته لشيخ الجبل في الموت، بحيث أصبح الاسماعيلية في سورية يشكلون جماعة مستقلة بذاتها عن الجماعة الأصلية الموجودة في الموت ، وأطلق على اتباع اسم السانية إليه . واستمرت هذه الجماعة في انفصالها عن الدولة الام حتى موت سنان ١١٩٢/٥٥٨٨م أي حتى أواخر القرن السادس الهجري (أخريات القرن الثاني عشر الميلادي)، وبعد ها استعادت السلطة في الموت سلطانها على جماعة الاسماعيلية الموجودة في سورية (١) . وبدل هذا على أن شخصية سنان هي التي جعلت الاسماعيلية في الشام كيانا مستقلا عن السلطة في الموت . ولقد أصبح سنان منذ تلك اللحظة يلتصق به لقب « شيخ الجبل » مثله مثل رئيس الدعوة الموجود في الموت . واختار هذا لقب لأنه كان يزهد القاب الملك والسلطان (٢) . ثم انه نتيجة لاحتمك الصليبيين به طوال فترة وجود بالشام ، ونظرا لاتخاذ من الجبال مستقرا له ، فقد عرف باسم Old Nan of eht Mountain و Viemx de ja Montigno أي « عجوز الجبل » وكانت هذه التسمية هي التي اشتهر بها

(١) . Ency. Brit. t. I, p. ٩١, Gnyrd, op. cit., p. ٥6 .

(٢) محمد عبد اقهسان : تراجم اسلامية ص ٥٨ انظر أيضا :

Michaud, op. cit., t. I, p. 304 .



في كتبهم ومراجعهم^(١).

على أية حال ، كان الاستقلال سنان رد فعل كبير لدى شيخ الجبل الموجود في الموت ، حتى خشي منه على نفوذه ، فأرسل عددا كبيرا من فدائيه لاغتياله ولكن محاولته باءت بالفشل وتم القضاء عليها . إذا استطاع سنان أن يقضى على عدد من هؤلاء الفداوية وان يستبدل البعض الآخر اليه . ويرجع الفضل إلى تيقظ حرسه في القضاء على هذه المؤامرة^(٢) . وبدل هذا على أن سنان هو الوحيد ضمن دعاة الاسماعيليتة في سرورية الذي استطاع تهديد السلطة الأم في الموت واتباع سياسة مستقلة كلية أعنتها^(٣) . ولاشك أن قوة شخصية كان لها أثرها في هذا الاستقلال الذاتي . فم أن الظروف المحيطة به سهلت له تحقيق اطعمه إلى حد بعيد .

كان سنان يخفي مشاريعه ومطامعه تحت ستار من الورع والتقوى المؤثرين . فكان يرتدي ثيابا خشنة أمعانا في الطشف ، ويعتظ انصاره طوال اليوم من فرق زبوة . كما كانت حياته يحيطها الفموض ، حتى قيل أنه لم يرقط نائما أو آكلأ أو شارباً . كما كان يحسن استعمال مختلف الجبل ، فيمصل على ما يقتل به عقول الناس من تخيل أشخاص من مات منهم على طاعة الامام في جنات النعيم ، وأشخاص من مات منهم على عصيانه في جحيم النار ، مما يجعلهم يؤمنون بأوليئته . فثلا قيل أن سنان قد أرسل في أحد الأيام يستدعي رجاله في مصيف ، وعندما دخلوا عليه وجدوا رأساً لأحد الأشخاص من

(١) انظر ما سبق من ٩٨ .

(٢) Guyard, op cit., p. 345, Delrémy, op. cit., p. 10 .

(٣) Setton, op. cit., t. 1, p. 1.

ماتوا ساجدة في دعائها موجودة على: منضدة بجواره في أحد الأطباق . وعند ذلك وجه إليها الحديث قائلا « أحكي لأصدقائك ماذا رأيت ؟ هل تفضلين العودة إلى الأرض والتمتع بملكائك أم البقاء في الجنة ؟ » فأدارت الرأس وجها إلى الحاضرين وذكرت لهم ان كل ما تمنع به من نعيم الجنة إنما هو بفضيل الطاعة العمياء لهذا النبي مشيراً بذلك إلى سنان(١)

ولا شك ان هذه الروايات من نسج الخيال ، وانما اراد سنان من روايتها ان يؤكد ويدعم ضرورة طاعة اتباعه له ، كما اراد ايضاً أن يثبت لاتباعه الجزء المنتظر لهم مقابل تقديمهم الطاعة العمياء . ومن المحتمل ايضاً أن يكون سنان قد اراد ان يجعل من هذه الحيلة بديلاً لفكرة الجنة التي اهدمها شيخ الجبل ابن الصباح من أجل الحصول على طاعة اتباعه ... بحيث كان يكرر استخدامها أمام مجرعات مختلفة من اتباعه من حين لآخر بحيث إذ ما انتهت الجلسة يخرج هؤلاء الاتباع ويقصون على باقي زملائهم ماشاهدوه .

وجدير بالذكر ايضاً ان سنان كان يكثر من عقد مناظرات ينهه وبين علماء اهل السنة بحضور عدد كبير من اتباعه، وكان يظهر كل مناظره ويطلب حججهم وأقوالهم ويدحضها مما يجعل اتباعه يتفادون اليه كل الانقياد، ويتبعون تعاليمه وآرائه اتباعاً أعمى(٢). وقد أشار المؤرخ الاسماعيلى أبو فراس في سيرة سنان الى أحد هذه المجالس ، فقال لما سمع الخليفة العباسى (٢)

(١) القاشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٤٣ ، محمد عبد الله منان : تراجم اسلامية ص ٥٨ ، عمر أبو النصر تلمة الموت ص ١٦٢ .
(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٦ .
(٣) لم تذكر الرواية اسم الخليفة العباسي المعاصر لهذه الحادثة ، ولكن طالما أنها =



في بغداد عن سنان جمع عشرة من اكفأ الفقهاء في الشرق والغرب ممن اشتهروا
 بالعلوم الاسودلية والكلاسية والرياضية وغير ذلك من مختلف العلوم . وطلب
 اليهم العمل على قطع حجة هذا الرجل واختار فقيها واحدا برأسه - هؤلاء
 الفقهاء يقال له شريف البلاط . وأرسل الخليفة العباسي معه خطابا إلى سنان
 يتضمن مسائل صعبة التفسير . ولما وصل هؤلاء الفقهاء قابلهم سنان وبدأت
 المناقشات بينهم في شد وجذب وتحدد واضح بين الطرفين ، وكان شريف
 البلاط يظهر كل مافي جعبته من استفسارات علمية وفقهية يحطها القموض
 يريد بها اعجاز شيخ الجبل الذي كان بدوره يجذب اتباعه الحاضرين ودهشتهم
 لبقائه في الرد المقتنع على كل هذه الاستفسارات ، مما اضطر الفقهاء في نهاية
 الأمر الى الشهادة بعلمه وفقهه وذهبوا هائدين إلى بلادهم . ولكن سنان أشار
 عليهم قبل انصرافهم بضرورة كتابة كتاب من نستخمن ينص فيه على عدم
 تناولهم اى طعام أو شراب كان يقدم اليهم ، وانهم كانوا يشترطون ما يطمعون
 الى الكفة . واخذ نسخة من الكتاب . وارسل معهم النسخة الأخرى . وفي
 طريق عودتهم إلى الخليفة مات شريف البلاط . وعند وصولهم بدون شك
 الخليفة العباسي في بادى الأمر انه مات مسموما بيد سنان ، ولكن حين
 اطلع على نسخة الكتاب التي معهم زال عنه الشك ، واقتنع بصدق سنان (١)

١- حدثت أيام شيخ الجبل سنان الذي تولى أمر الدعوة الاسماعيلية من سنة ٥٦٥ هـ إلى ٥٨٨ هـ
 (١١٦٩ - ١١٩٢ م) فان هذا اللطيفة لا يخرج من واحد من الثلاثة المذكورين بل
 (٥٥٦ - ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م) ، والمستفاد من ذلك ان سنان كان يطمعون
 . (١١٧٠ - ١١٨٠ م) والناصر (٥٧٦ - ٥٦٢ هـ / ١١٨٠ - ١٢٢٥ م) .
 (١) ابو فراس : فصل من الاقطر الشرف لمناب راشد الدين سنان ص ٤٥٠ .



وفي الواقع ، رغم أن سنان كان متفهما في العلم والمعرفة إلا أنه يجب تقبل هذه القصة بشئ من الحذر ، خاصة وأن هذا المؤرخ الاسماعيلي قد اشتهر بذكرها دون غيره من المؤرخين المعاصرين أو المتأخرين عنه زمنياً . فربما يكون الكاتب قد أراد بذلك أن يظهر سنان وكافة رجال الشيعة بصورة المتفهمين في العلم والمتربعين على عرش الثقافة والفقه والعنوم دون غيرهم من العلماء السنيين . كما يلاحظ أن هذه الرواية استمدت أجداد أي شك قد يتورطون تأمر سنان على حياة شريف البلاط . ولنا نرجع أن نبيخ الجليل له يدعي هوته ، والا فبماذا تقصر إصراره على تسليمه نسخة من رسالته مكتوبة بين أن رسل خليفة بغداد لم يتناولوا أي طعام أو شراب إلا بمعرفتهم بذلك حتى لا يشك فيه أحد .

وخلاصة القول أن اسماعيلية الشام اعترفوا بأمانة سنان والصلحوا ؛ مناقب حمل على جميع هذا المؤرخ الاسماعيلي سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م أي بعد وفاة سنان بحوالي قرن وربع من الزمان (١) . نذكر منها أنه لما وصل سنان إلى الشام وكان أمر غير معروف ، خرج ذات يوم ومعه رجل ، فراح على بركة مملوءة بالماء ووقفاً قليلاً ، وكان الرجل يرى صورته في الماء . بينما لا يرى صورة سنان . فدهش الرجل وأخذ يقبل أرجل سنان . وعند ذلك طلب منه الأخير أن يكتم سره . وقد روى أيضاً أن سنان أثناء انجاءه إلى مصياف دخل إحدى القرى المجاورة لها فأتى أهلها لاستقباله والترحيب به ، وأقبل أيضاً رئيسها حاملاً طعاماً مغطى بغطاء ، فأمر سنان بأن يضع الضعاف بيدياً على الأيدي بكشفه أحد . وبعد أن انتهت زيارته وتأهب للرحيل أوضح لرئيس القرية

(١) أبو فراس : المصدر السابق ص ١٥٢ - ١٧١ .



أنه أمتنع من أكل الطعام لأن زوجته لم تنزع حواصل الدجاج . ومن ضمن ما لصق به أيضا من مميزات أنه كان دائما يعلم بمضمون أي خطاب قبل وروده إليه ، بحيث إذا أتى الرسول حاملا خطاب سيده يدفع إليه سنان بجوابه على الخطاب دون أن يقرأ ما به ، بحيث إذا أتى رده مسعوفيا لكل نقطة اثبتت في الخطاب المرسل إليه .

وغنى عن القول أن هذا لا يدفعنا إلى أن نلصق بسنان صفة عالم الغيب ، لأنه بطبيعة الحال إن كان قد وقف على تفاصيل بعض من الخطابات قبل وصولها إليه فانما ذلك مرجعه إلى قوة عيونه وجواسيسه الذي كان يهتم في كل مكان والذين كانوا يأتونه بأخبار الأصدقاء والأعداء على السواء مما يزيد من هيئته ومكانته في أعين الجميع .

وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد وُفي أنه كانت توجد بقلمة المليقة كهف به صخرة عظيمة بارزة خارجة ، فأمر سنان بقطعها وحاول العمال أياما كثيرة من أجل قطعها ، ولكنهم فشلوا فأشتركوا إلى سنان أمر هذه الصخرة فتأهب عندئذ ووصل إليها وكان ممسكا بيده دبوسا فوكزه به في الطرفين فانقطعت وانحدرت في سفح الجبل بقوة شديدة . فأشكى الأهالي بأن هذه الصخرة مسخرب محصولهم فقال سنان للصخرة « قفي يا مباركة في سفح تنزل فيه الأقدام » . ولما فتح الظاهر بيبرس قلاع الدمشوقة رأى بعض نوابه اناسا يمحرون تلك الصخرة ويسرحونها ، فسألوا عن ذلك فأخبروهم بأن سنان قد دأب أوقفها هناك فوقفت . فأمر الظاهر بيبرس بأن تحفر له حفرة تمر منحدره إلى الوادي . ولما تم ذلك زحفت إلى مكان الحفرة فرسخت وتمكنت بحيث لا يمكن لأحد إزالتها .

وهكذا ذاعت القصص والروايات الاسطورية حول سنان وقدراته



ومعجزاته وهي التي كان لها الأثر الكبير في عقلية الدهماء والسذج من اتباعه والتي قد يقادرون إلى الذهن من أول وهلة أنها من نسج خيال بعض الناس الذين أرادوا تعظيم زعيمهم وقرنته على إتيان الأعمال الخارقة التي لم يسمع عنها إلا في عهد الأنبياء والرسل . ولكن يبدو أن هؤلاء الناس قد بالغوا في تخيلاتهم ونسوا أنفسهم عندما شرعوا في تأييد مثل هذه الأقاويل التي لا يمكن أن يصدقها عقل والتي هي أقرب إلى الاساطير منها إلى الحقائق التاريخية . وإن دلت هذه الأمور على شيء فأنما تدل على محاولة فائتة تدعم الدعوة الاسماعيلية في عقول الناس الأمر الذي يقلل من شأن وتفوق المذهب السني من ناحية ويدخل العرب والخوف في قلوب الصليبيين بالشام من ناحية أخرى .

كذلك من المعروف أن سنان حاصر اثنين من أكبر قواد المسلمين . فتذاك أحدهما نور الدين محمود صاحب حلب الذي وقف من سنان موقف العداء الصريح منذ البداية ، وحدثت بينها مناوشات ومصادمات ، كما تبادلوا غطابات التهديد . أما الثاني فهو صلاح الدين الأيوبي الذي تعرض مرتين الخناجر المداوية بناء على أمر سنان نفسه ولكن نجى في كلتا المحاولتين (١) .

رتوفي سنان سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م في قلعة الكهف وهي مقره المفضل وترك طائفة الاسماعيلية في ظل دولة قوية لها هيبتها بين الامم والملوك وقتذاك . ولم يكن أي من خلفائه أو اسلافه يتمتع بقوة شخصيته أو هيبة . ولكن الطائفة عادت مرة أخرى بعد وفاته لسيطرة شيخ انجبل بالموت (٢) ولا

(١) ستمت من ذلك تميليا في الفصل المذكور من الكتاب .

(٢) ابن الوردي : قلعة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٠٦ انظر أيضا :

Guyard, op. cit., p. 106 .



شك أنه في الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين الصليبيين الغربيين والمسلمين من ناحية ، وبين المسلمين من شيعة وسنة من ناحية أخرى ، اشتد ساعد اسماعيلية الشام وتولى نفوذهم بفضل زعيمهم سنان الذي استغل كل الظروف المتاحة لصالح طائفته . فتنصل السفارات والمكاتبات بينه وبين كل من الصليبيين والسنيين ، ويصفو الجو و مره ليكفهر مرات بينه وبينهم ، وهكذا إلى أن تنتهي فترة حكمه القوية في أعمد الأخير من القرن السادس الهجري (أو آخر القرن الثاني عشر الميلادي) . وعكشف الفصول التالية عن ه ذه المواقف المتداخلة للمشابكة مع بيان أسبابها ومسبباتها وما ترتب عليها من نتائج وآثار.

الفصل الثالث

موقف الحشيشية من المسلمين السنيين

الخطوط العريضة لسياسة اسماعيلية الشام حيال كل من الصليبيين والسنيين - استيلاء نور الدين محمود على مصر وأهمية ذلك - نهاية المذهب الشيعي بمصر ومد-قف-سنان - مؤامرة عمارة الجني - انصاف التآمرين بالصليبيين وزعيم الحشيشية في الشام - قضاء صلاح الدين على القرامطة - موقف اسماعيلية الشام من بعض القادة المسلمين السنيين ، وأثر ذلك على الصليبيين - إغتيال كل من مودود وآفتنقر - الاسماعيلية ونور الدين محمود - تحليل مواقف كل من الصليبيين والاسماعيلية وصلاح الدين حيال الآخر .



رأينا في الفصل السابق كيف نجح الحثيشية في نقل نشاطهم إلى الشام
 وتكوين مجتمعات نزاريه به ، رغم ما لا قوة من اجتهاد وعنق من نبل بعض
 الحكم السلاجفة الموجودين بالشام ، وكيف تمكن راشد الدين سنان من
 الاستقلال بالاسماعيلية الفاطنين هناك عن الدولة الام في المورت بفارس واعتباره
 أول شيخ جبل لهم في سورية. وحتى تتضح حقيقة العلاقات بين الاسماعيلية
 والصلبيين بالشام يحسن أن نتناول في شيء من التحليل والتحليل المخطوط
 العربيه لسياسة هذه الطائفة نجم القوي المعادية لها في المنطقة والمتمثلة في كل
 من الصليبيين والسنتن . إذ لا يمكن الفصل بين هذه القوي الثلاث ونحن نتحدث
 عن طبيعة العلاقات الاسماعيلية الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي (اقترن
 السادس الهجري) بسبب التداخل الشديد بينهما ، فضلا عن اشتباك المصالح
 أو تعارضها .

كان اسماعيلية الشام يستمدون تأييدهم الروحي من الخلافة الفاطمية
 بمصر ، كما كانوا يعتمدون في سياستهم على مقاومة المذهب السنى ، بغرض
 نشر الدعوة الاسماعيلية حتى تترجع عرش العالم الاسلامى ، ولذا كان من
 الطبيعى أن تجند الخلافة العباسية السنية في بغداد كل امكانياتها من أجل شل
 الحركة الاسماعيلية وإبادة زعمائها^(١).

وكان لهذه السياسة الاسماعيلية أيضا رد فعل عنيف من جانب السلاجفة
 الحثيشية على مذهبهم السنى من ناحية ولعلاشى تفوذهم بشكل تدريجى مستمر
 من ناحية أخرى . وكانت أولى مظاهر هذا الفعل محاولة السلطان السلجوقى
 ملكشاه هدم مقام الدعوة الاسماعيلية قبل تفضل تفوذها . فأرسل قوات

(١) مضمنى غالب : اعلام الاسماعيلية ص ٧٠



كثيرة لمخاصرتهم ، ولكن المحاولة فشلت في تنمية أغراضها . إذ كان رسوخ العقيدة في قلوب رجال الاسماعيلية هو الدافع الذي يسمعون منه قوتهم ، بحيث يكون بمثابة الدرع الذي يصد هجمات الصليبيين والسنيين على حد سواء . وبناء على ذلك كان الفشل بلازم أعسدها للذين حاولوا القضاء عليها^(١) .

وإستكمالاً لسياستهم في مقاومة المذهب السني عن طريق نشر دعوتهم وإغراء الكتيرين للدخول في أحضانها ، رأى الاسماعيلية الفتك بزعماء هذا المذهب لانهم في نظرهم البؤرة التي يلف حولها أسس المذهب . ولانهم لم يستطيعوا مقاومة الدولة العباسية وجها لوجه لقلة عددهم وضعف سلاحهم . وكان مقبل الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة ٥٢٩/١١٣٥م هو أشهر حوادث إغتيال هؤلاء الزعماء^(٢) .

Rusciman, op. cit., t. ١I, p. 120 .

(١)

(٢) تتلخص ظروف مقتله في أن الخليفة خرج لمقاتلة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لأنه شرع في أخذ بغداد ، ولكن الخليفة تسلط أميراً لديه قار الناس مما جعلهم السلطان محمود وهو السلطان سنجر يكتب له يسأله الدعوى عن الخليفة . كما أرسل جيشاً ليكون في خدمة الخليفة أثناء هودته في الطريق وكان قد سحب هذا الجيش جماعة من الباطنية - اختف المؤرخون في عديم - متذكركين في زى عساكر السلطان ، واتهموا فرصة وجود الخليفة بمفرده في خيمته واقتالوه . وقد اتهم ابن كثير السلطان سنجر بأنه المرض على القتل وأنه قد جهز الجيش بهؤلاء الباطنية . انظر : ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ص ٤٨ ، ابن ابيك : سكتة الدرر ج ٣ لوصة ٢٨٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٠٨ ، ابن أبي سرور : هيون الأخبار ورمزة الأبعاد ورمة ١٢٤-١٢٥ ، جمال الدين الحزرجي : المسجد المصبوك ج ١٢ ، رمة ٥٢ واجمع كذلك :

Mathew d'Edesse, Cf. R. H. C. Doc. Arm., t. 129.



وليس من المستبعد أن يكون اغتيال الخليفة المسترشد بالله قد تم بناء على اتفاق سابق بين كل من السلطان سنجر وزعيم الاسماعيلية ، حيث أن هذا الاتفاق يحقق مصلحة الطرفين . إذ سوف تستفيد طائفة الاسماعيلية من ورائه ، فضلا عن تحقيق سياستها في استئصال رؤوس زعماء السنيين ، وسوف تجني قدرا كبيرا من المال مقابل اقدامها على تنفيذ هذه العملية . وفي نفس الوقت يأمن هذان السلطانان ، سعود وسنجر ، شر إنقام الخليفة منهم . وبدون بهذا قد انتهت الحشيشية بالشام سياسة جديدة هي إظهار الصداقة والأعداء في وقت واحد لانتمار المذهب المعادي تحقيقا لمصالحها .

وكانت سياسة طائفة الاسماعيلية تقوم على استقلال الحوادث والظروف . فكان اتباعها يتقلبون في خدمة الأصدقاء والأعداء كلما أنسوا في ذلك غنما لهم ، وذلك مع مراعاة مصلحتهم أولا وقبل كل شيء ، وكانوا يحملون حساب كل من الصليبيين المسيحيين ، اذ يتساوى في نظرهم أفريقيا . وفي مقابل هذه السياسة لم يتأخر زعمائها عن مخالفة العمليين حيناً وهمادة السنيين حيناً آخر . وقد أدى هذا الى انساع نشاط الاسماعيلية في الشام ، وأضاح إلى ظهورها ونموها عاملا جديدا يمكن ضمها إلى عوامل تفكك التي تعرضت له تلك البلاد زمن العادل الصليبي . وتفسير ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه المسلمون في حالة دفاع عن كيانهم وعن أنفسهم ضد الصليبيين ، إذ بهم يتعرضون لظعنات قوية من الحلف من جانب الاسماعيلية مما أضعف من قوتهم واحداث نفرة قوية في صفهم استغلتها المملكة الصليبية في الشام وصلت على العقدم في ضوءها(١) .

(١) سعيد طاتور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ .



وبالإضافة إلى هذا فقد كانت طائفة الاسماعيلية تعوق أي نفوذ سني في المنطقة خذمه لمصلحتها وللصليبيين من ناحية ، ولاتفاق هذا مع سياسها العامة من ناحية أخرى حتى لا يتخلل النفوذ السني ويكون حجرة عثرة في طريق نموها ونشاطها . وينقح ذلك بصورة جلية عندما تطلع امراء الموصل مثل مودود (٥٥٠٢-٥٥٠٧/١١٠٨-١١١٣ م) وآقسنقر (٥٥٠٨-٥٥٢٠ / ٢١٤-١١٢٦ م) من بعده إلى إقارة مسعفة تضم حلب والموصل بسبب ما كانت تتمتع به من موارد وثروة تزيد من قوة الموصل المادية . ثم أن هذا الاعداء بعد خطر الصليبيين عن حلب . فلما شعر-كان حلب من الباطنية بهذه النية عملوا على عدم إتمام هذا الاتحاد ، ولجأوا إلى استخدام خناجرهم ضدها^(١) . وهذا أن أقصى ما يجتمه الصليبيين ، لأن هذا لن يقتصر على هرقلة نشاط الاسماعيلية فحسب ، بل سيمتد أثره إلى الصليبيين أيضا ، حيث سيكون بمثابة السيف المسلط على رقاب كل منهما . ورغم كل ما بذله الباطنية فقد أقيمت هذه الوحدة على يد عماد الدين زنكي سنة ٥٥٧٢-٥٥١٣ / ١١٢٨-٢٨ م^(٢) تلك الوحدة التي كانت لها أبعاد الآثار على كل من الوجود الصليبي والكيان الاسماعيلي في بلاد الشام .

ولبيان سياسة الحشيشية تجاه كل من الصليبيين وأستمر في شوء من التحليل والتفصيل والمراحل ق مرت بها إلى أن تبلورت ووصاب إلى طور التضج والكما ، نعود قايلا الوراء عندما جاعمر الصليبيون سنة ١٠٢٤ م / ٥٠٨

(١) ارتمت باركر : الحروب الصليبية ص ١٩٦ . ويتعرض لظروف ائتيها بالتصيل في الصفحات التالية .

(٢) حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ٢٤ .



مدينة صور وكانت وقتها تابعة للخلافة الفاطمية بمصر ، إذ ضاق أهلها من شدة هجمات الصليبيين فاستنجدوا بطغتكين أتاك دمشق عندما لمسوا عجز الدولة الفاطمية عن ارسال قوة لحمايتهم وحفظ المدينة عن السرط في أيدي العدو الفرنجي ، فارسل طغتكين بسأل الوزير الفاطمي الأفضل (١) ، فوافق على احتلال المدينة وحمايتها حتى لا تسقط في أيدي الصليبيين ولكن هذا الموقف أثار غلاة الشيعة في مصر والباطنية في الشام وكانت النتيجة أن تربص له بعض من رجاله الاسماعيلية أناء ذهابه إلى مخزن السلاح وطعنوه بخناجرهم فأصابوه اسبابات عديدة وخطيرة عجلت بموته . وقد تم القبض على الفداوية وقتلوا جزاء فعاتم (٢)

وخرج الصليبيون عندما عملوا بوفاة اوزير الأفضل ، مستغلين الموقف السوء الذي وصات اليه مدينة صور من ناحية ، والشقاق الذي حدث بين أولى الأمر في كل من القاهرة ودمشق من ناحية أخرى - نتيجة لاقدام الخليفة الفاطمي الأمر على عزل نائب دمشق في صور والذي أرسله طغتكين ليعول أمر الدواع عنها . ويحتمل أن يكون ذلك اتفاق سابق بين الصليبيين والاسماعيلية قد اختاروا التخلص من الأفضل لما كان بينه وبينهم من صفالن وحقد قد جين بسبب إضطهاده أمامهم نزار واستجاده عن كرمى الخلافه.

(١) هو الأفضل أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي واسمه أبو القاسم شاهنشاه تولى الوزارة في مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م .
(٢) العهد الخنلي : تحذرات الذهب ج ٤ ص ٤٧ ، التويرى : نهاية الارب ج ٢٦ لحة ١٠٩ ، وانظر أيضا :

Defremery, op. cit., p. 403 .



على أية حال ، أدى هذا الاضطراب الذي تسبب فيه الاسماعيليين إلى استيلاء القوات الصليبية على مدينة صور في أوائل يوليو ١١٢٤م/حادي الأول سنة ٥١٨هـ (١). ويلاحظ أن الاسماعيليين كانوا بلونون سياسيم بالون الذي يتناسب مع مصطلحهم ، ففي الوقت الذي يعادون فيه للسلاجقة في فارس كانوا يتقربون لليم في الشام عندما قولوا نشاطهم إليه سنة ٥٤٩٤ / ١١٠٠م. إذ أمر كوا ضرورة إتباع سياسة المرونة واللين حتى تكون مهمّة م سهولة في الحصول على الفلاح والحصون المنبعة في وقت كانوا يهززون فيه جهودهم ، فضلا من رغبتهم في الشعور بالطمأنينة خاصة وأنهم في بلد غريب و بعيد عن المركز الأصلي لدعوتهم ولاقوا في سياسيم هذه استجابة كبيرة من قبل حكام الشام بسبب ضعفهم من ناحية ، ولرغبتهم منهم من ناحية أخرى أدت هذه السياسة أيضا إلى تجنب الاسماعيلية بالشام الكثير من الحروب والمشاكل بينهم وبين حكام الشام .

ورغم سياسيم هذه التي بدأت تظهر بوضوح مع بدايات القرون الثاني عشر الميلادي (أوائل القرن السادس الهجري) ، إلا أنها سرعان ما كانت تتقلب إلى عداء وتنافس إذا ما تعرضوا للخطر أو محاربة الحد من نفوذهم ونشاطهم ، فكانوا حينئذ يضررون ب سياسيم عرض الطمانظ وبلجـأون إلى وسياتهم المعروفة في القدر والاعتبال . وغير ما يوضح ذلك أن راشد الدين ستان كان يعمل على كعصاب صداقة الملك الصالح اسميل ابن نور الدين محمود (٥٦٩/٥٦٦ - ١٦٧٣/١١٨٠م) صاحب حلب و انترب إليه ، وكان يلبي طلباته ويخدمه في الفخلص من منافسه . فضلا لما علم أنه يريد الفخلص من

(١) سيد ماعور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٢١ .



وزيره شهاب الدين أبو صالح العجمي أرسل فدأويته يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول سنة ٥٧٣ هـ / ٢١/٥ أغسطس ١١٧٥ م واغتاوه (١). هذا فضلا عن مساعدته له في محاولة إغتيال صلاح الدين الأيوبي أثناء حصاره حلب فيما بعد . وقد يبدو لأول وهلة أنه غير منطقي أن يسعى سنان وهو الأسماعيلي المتطرف إلى الاتفاق مع الصالح اسماعيل وهو السني . ابن تور الدين محمود الذي أفض مضاجع الصليبيين والخشيشية على السواء . ولكن نظرة فاحصة مدققة تبين أن سنان أراد استغلال فرصة موت نور الدين محمود ونولي ابنه الصالح اسماعيل وكان صبيا صغير السن في وقت كان فيه صلاح الدين الأيوبي يعمل على إعادة السنة إلى مصر وتكثيل الشرق الاسلامي تحت لوائه لتوجيه ضربه القوية ضد الفرنج ، وكان يعلم تماما أن الضربة التالية ستكون موجهة اليه ولذا جماعته في الشام . ولذلك باذر بمساندة الصالح اسماعيل في حركة كان يستهدف من ورائها بذور الخلف بينه وبين صلاح الدين الأيوبي ، حتى تبهرت القوى السنية في الشرق الأدنى وبليت من ضربة

(٢) كان هذا من تدبير سعد الدين كشتكين أحد كبار نواد الملك بسبب غيرته منه وحقده عليه ، فقد انتهز فرصة خروج الصالح اسماعيل الى الصيد وتقدم له خطابا أيضا وطالب توقيمه حتى يتمكن من التحاز بعض الأعمال التي لا تحتل عودته من الصيد . فوقع الملك ثقة به . وامن كشتكين أصاغ خطابا موجهما الى سنان أعلى توثيق الملك يطالب اغتيال أبو صالح العجمي ، وبناء على ذلك تم اغتياله . ولما علم الملك الصالح باغتيال وزيره كتب الى سنان يلومه على فعلته ، فإذ كان من سنان إلا أن أرسل له الخطاب الواقع بخطه . وندد ذلك أدرك الملك الموقف وتبعض على كشتكين . انظر ابن العديم : زبدة الحب ج ١ لوجة ١٩٤ - ١٩٥ انظر أيضا :

Deltémery, op. cit., pp. 1 - 21 .



معرفة وجنى يغلوله الجول لتحليل أهدافه .

وهي أبة حال ، لم يقدر لهذا الود وتلك للصدافة بين الاثنين أن نستمر
 إذا انقلب إلى عداء وكرهية شديدين ويرجع السبب أن الملك الصالح امصايل
 استولى في سنة ٥٥٧هـ - ١١٧٩/٥٥٧٩ - ٤٩٨٠م على احدى البلاد الداخلة
 ضمن أملاك الاسماعيلية ورفض إعادتها إلى سنان رغم كثرة مكاتباته اليه
 بهذا الخصوص . ولذا أراد الانتقام وعهد الى اثنين من فدائيه مهمة أشغال
 النيران في الحلات الواقعة في الطرف الشرقي من سوق الزجاج بجلب (١) -
 وبالعمل نفذ القداويان أمر زعيمهما واشتعلت النيران في المكان المحدد . ولما
 شمر القداويان بإخماد النار من قبل أهل المدينة صعدا إلى سفوف الاسواق
 المتخللة والقرو عليها النقط المشعل بالنيران ، وأصبح السوق كانه قطعة من
 الذهب مما أدى الى وقوع خسائر فادحة (٢) .

وكان من سياسة المشيشية أيضا محاولة إغراء من جوافر فيهم عنصر
 الخيانة بالمال الوفير حتى يحققوا أغراضهم . بمعنى الاتفاق يبدخ وسخاء حل من
 هو سمون فيه الاستعداد الطبيعي للخيانة وخدمة أغراضهم فتتلا كان لصالح

(١) يبدو أن سنان وجد في هذا المكان أهمية خاصة لدى الملك مما جعله يرجع عن
 فكرة رفض إعادة المدينة اليه . أو ربما يكون سنان قد فكر في أن يبدأ بأشغال النيران
 في الجزء غير العام بالبلد ليكون بمثابة تهديد للملك بحرق باقي أجزاء المدينة ، الأمر الذي
 يجعل الملك يعدل من رفضه ويسله المدينة . وهذه مجرد احتمالات ليس تحت أيدينا ما
 يدعمها أو ينفيها بصفة قاطعة .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين من ١٩٦ ، ابن العديم : زبدة
 الطلب ج ١ لومة ١٩٦ .

للدين حصن الخربة (١) ، وكان الخاجب عيسى معولي أمر حراسته مع ابنه وأحد اللذان وهبوا الحصن . وله صاحب يقال له ابن المرجى يطلق اليه من حين لآخر . فحاول الاسماعيليه اغراؤه بالمال والاقطاع مقابل أن يسهل لهم مهمة الايجلاء على الحصن . وفي أحد الأيام جاء كعادته إلى الحصن . فلما طلع قام باغتيال البواب ثم لقيه القلام فقتله أيضا ، وأخيرا ونب على صديقه فاغتاله كذلك ثم سلم الحصن للاسماعيلية (٢) .

كيفما كان الأمر ، فقد تمكن الاسماعيليه بهذه السياسة العنيفة من تدهيم مركزهم في الشام والسيطرة على المواقف التي كانت تواجههم من قبل الصليبيين والسنيين الموجودين في المنطقة ، كما كانت عاملا أساسيا في نجاح الدور الذي قاموا به في مملكتهم بهاتين القوتين في القرون الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) .

وإذا كان اسماعيلية الشام قد اعتمدوا في سياستهم هذه على التأيد الروحي للخلافة الفاطمية في مصر بأخبارها مركزا للدعوة الشيعية في العالم الاسلامي، إلا أنهم فقدوا هذا التأيد بعد سقوطها وإحلال الدولة الايوبية التي تدين بالمدىب السني عليها ، الأمر الذي جعلهم يعملون بشق السبل على إعادة الشيعية إلى ما كانت عليه . ويستلزم هذا التعرض بإيجاز لظروف التي أحاطت بزوال الخلافة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية في مصر والشام ، ووقوف كل

(١) لم تضفنا المصدر ببيانات من هذا الحصن . وتضح من كتاب الاختيار لابن خلدون أنه لم يصرّف الاسم الصحيح للحصن يقال الخربة أو الجربة بجانب الاسم المذكور أعلاه .

(٢) ابن مغلدة : الاختيار ص ٥٨ .



اسماءيلية الشام والعلييين من هذه الاحداث ، لارتباط ذلك بموضوع البحث .
كان استيلاء الأيوبيين على مصر بمثابة بداية عصر جديد في تاريخها ونتيجة
طبيعية لحالة الضعف والانشقاق السياسي والمذهبي الذي وصلت اليه الدولة
الفاطمية . التي ظلت متزعمة المذهب الشيعي مايزيد عن قرنين من الزمان .
ولقد نشأ رد فعل عنيف من قبل جماعة الشيعة المعمر كزين في شق البلاد ،
وخاصة جماعة الاسمايلية في الشام ، وقامت المحاولات من أجل إعادة المذهب
الشيعي إلى مكانته الأولى التي كان يحتلها . ذلك أن الخلافة الفاطمية في مصر
كانت تعاني من الضعف الشديد الذي اتبها في أخريات عهدا . ولعل ذلك
يرجع لأسباب عديدة أهمها الانشقاقات المذهبية (١) . إذ اعترض شاور حالة
ضعف الدولة وتمكن من التغلب على العادل بن رزيق وزير مصر في عهد
الخليفة العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧ / ١٠٩٠ - ١١٧١ م) آخر خلفائه طيبين
بمصر ، ووضعه في السجن وتولى أمر الوزارة في محرم ٥٥٨ . يناير ١١٩٦ م
ولكن ضرفا تمكن فيما بعد من طرده من الوزارة الامر الذي جعله يهرب إلى
الشام وبستانجد بالسلطان نور الدين محمود صاحب الشام (٢) ، ورغم تردد
نور الدين محمود ، إلا أنه وجد في ذلك فرصة للتدخل في شؤون مصر حتى

(١) انظر ما سبق من ٦٠ - ٦١ .

(٢) المهاد الأصفهاني : البستان الجامع لتواريخ أهل زمان لوصة ١١٤ : ابن ابيك :
در النيجان ورقة ٢٤ ، الثوري نهاية الأرب ج ٢٦ لوصة ٣٨ ، راجع أيضا حسن
ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية من ١٩٠ . ويعتبر كتاب فتاوى ميرجيه عن حملات
عموري على مصر من أفضل ما كتب في هذا الموضوع انظر :

Sehlmberger, *Campagnes du Roi Amaury Ier de Jérusalem en
Egypte au XII Siècle* , pp. 35 - 36.



بحقق الوحدة الإسلامية في الشرق الأدنى لقارمة الخطر الصليبي . ولذلك أرسل جيشا كبيرا بقيادة أسد الدين شيركوه الذي اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين ، وكان ذلك في جمادى الآخرة ٥٥٩هـ / أبريل ١١٦٤ م (١) . ولما علم ضرغام بذلك استغاث بالملك "صليبي في بيت المقدس للمهمى عموري حيث أتى بجيشه إلي مصر لأنه رأى أن قيام دولة قوية سنية في المنطقة بتأثير قوات نور الدين سيكون بمثابة حجر عثرة في طريقه ، إذ - جدول دون تحقيق أغراضه في الاستيلاء على مصر وينحصر التهديد في الرعي . ويبدو أن النجدة الصليبية قد وصلت متأخرة لسرعة وصول شيركوه وانتصاره على ضرغام وقتله . وأعيد بذلك شارر إلى منصب الوزارة سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٤ م (٢) ولكن شاور غدير بشيركوه ورفض أن يدفع له المبالغ الذي دفعه مع نور الدين ، وطلب منه مغادرة البلاد . ولما رفض شيركوه ذلك استغاث شاور بالصليبيين فأسرع الملك عموري بالحضور وحاصر شيركوه . فلما كان من نور الدين إلا أن ضغط على أملاك الصليبيين بالشام ، ففكر الملك الصليبي في الانسحاب على أن ينسحب شيركوه أيضا ، وقد تم هذا بالفعل (٣)

(١) ابن واصل - مفرج الكرب و أخبار بني أيوب - تحقيق الدكتور جمال الدين الشيباني - ج ١ ص ١٣١ ، مؤلف يقول : شفاء قلوب في أخبار بني أيوب لوجه ٥ انظر أيضا حسن حبشي : نور الدين محمود والصليبيون ص ١٥٤ ، محمد كركرد علي : خطط الشام ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) الذهبي : المعرف في أخبار من غير ج ، ص ١٦٧ ، ابن قاضي شعبة الدر الثمين لوجه ١٥٥ - ١٥٦ ، الحزرجي : المسجد المسوك في - مير : الخلفاء والملوك ج ٣ ورقة ٧٦ .

(٣) الاصفهاني : البستان الجامع لوجه ١١٣ ، ابن الاثير التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية ص ١٤١ ، ابن شداد : النوادر السلطانية والحامان البيوسنية ص ٢٩ ، =

ولكن شهركوة إنجه مرة ثانية في ربيع الأول سنة ٥٦٣ / ديسمبر ١١٧٩ م نحو مصر فالحق به الصليبيون بناء على استغاثة شاور ، واشتبكا في معارك أدت إلى انهزام الصليبيين وجلاء كل منها عن مصر . ولكن الملك عمسوى ترك في هذه المرة حامية صغيرة للدفاع عن شاور ، فأخذت تحت الملك على ضرورة الحضور إلى مصر واملأها بالصف الذي نعتية . فخرج بالفعل على رأس جيشه ووصل مصر فاستنجد الخليفة الفاطمي بنور الدين الذي أسرع بتلبية النداء ، لأنه كان يعتمد على هذه الحامية في قتلها على القضاء على المذهب الشيعي وإعلان المذهب السني (١) . فلما وصلت القوات الثورية إلى مصر سنة ٥٦٤ / ١١٦٩ م لم تصطدم بالصليبيين بسبب مغادرتهم البلاد عندما شعروا باقتراب قوات المسلمين . واجتمع شهركوة بالخليفة العاضد الذي خلع عليه لقب الوزارة وأمره فيها بعد بافتعال شاور . وتولى شهركوة مركز الوزارة في ربيع الآخرة سنة ٥٦٤ / يناير ١١٦٩ م ، ولكنه مات في جمادى الآخرة من نفس العام / مارس ١١٦٩ م (٢) ، ليخلفه ابن أخيه صلاح الدين

ابن خلدون: المعبر ، ص ٧٧ ، انظر كذلك ابن ابيك ٤ دز التيجان لوجه ١٨٣ ، المينى عقد الجمان ج ٢١ لوجه ٣٦٢-٣٦٣ ، مؤلف مجهول: شفاء القلوب لوجه ٩ ، الخورجى: المسجد المسبوك ج ٢ ورقة ٧٦ .

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٥١ ، ابن ابيك: استكتر أذور ج ٧ لوجه ٢٥٠ ، ابن دقاق: الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين ورقة ٧٥ ، ابن يبادر: فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر لوجه ٩ راجع كذلك :
 Watson, The Story of Jerusalem, d. 205.

(٢) ابو شامة: الروضتين ص ١٥٧ ، ابو الفدا: المختصر ج ١ ص ١١٨ ، ابن يبادر: فتوح مصر لوجه ٩ - ١٥ ، على يورى: قيام الدولة الايوبية في مصر ص ١٣٩ - ١٤٥ راجع أيضا :

Troscer, The Crusades, p. 144, Watson, op. cit., p. 206.

بموافقة الخليفة العاضد ، ولقب بالملك الناصر (١) . وبدأ صلاح الدين في تطهير البلاد من الفساد . وكان موقفه غربيا ، فهو وزير خليفة مصر الفاطمي الشيعي ، وفي نفس الوقت قائد جيش نور الدين صاحب الشام السني . وكان نور الدين كثير الاطماع عليه من أجل قطع الخطبة للخليفة الفاطمي وإقامتها للخليفة العباسي ولكن صلاح الدين آثر التمهّل بهدّد تهديد الطريق قـدلى أن يضرب ضربه الأخيرة دالا على ذكائه وبعد نظره (٢) ، فلما تبث اقدائه في مصر هزم على قطع الخطبة للخليفة العاضد . ولكنه لم يعرف كيف ابداءة ، وكان قد دخل ديار مصر في ذلك الوقت رجل أعمى يعرف بالأعمى العالم ، فلما رأى مام فيه قال « أنا اجديء بها » . فلما كان يوم الجمعة أول محرم سنة ٥٦٧ هـ / ٤ سبتمبر ١١٧١ م صعد على المنبر ودعا للخليفة العباسي المستضيء بالله فلم ينكر ذلك أحد عليه . فلما كانت الجمعة التالية أ مرصلاح الدين بمصر والقاهرة قطع الخطبة للعاضد وأقامتها للخليفة العباسي قم ذلك . وكان العاضد في أشد مرضه فمات يوم طاشوراء سنة ٥٦٧ هـ / ١٥ سبتمبر ١١٧١ م (٣) .

وبهذا الوضع عاد المذهب السني مرة أخرى إلى مصر واندثر المذهب

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ : ج ١١ ص ١٥٣ ، ابن واصل : مفرج الدروب ج ١ ص ١٦٦ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ٦ ص ١٧ ، مؤلف مجهول : شفاء القلوب لوصة ١٧ انظر كذلك :

Sehlaberger, Campagnes du Roi Amaury, p. 238.

(٢) باؤرك : الحروب الصليبية ص ٢٠٧ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ج ١ ص ٢٦ .

(٣) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٥٦ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ج ١ ص ١٦٢ ، ابن أبي سرور : هيون الأخبار ونزهة الألبار لوصة لوصة ٢٧ .



الشيء منها ، وأصبحت في بغداد هي رأس لله - الم الا لاي في ذلك الوقت بعد خوض صراع مذهبي عنيف من أجل تحقيق هذا للفرض كانت له أواخر الآمار والصلبيون يطرفون اللاد(١). وكان هذا الحر حدمة كبرى بالنسبة لراشد الدين سنان زعيم الحشيشية بالشام ، حيث تألم كثيرا له وخاصة لما فعله صلاح الدين من تشريد الاسمايلية وتهديبهم وحرقة المكتبة الإسماعيلية الموجودة بدار الحكمة بمدتشتيت كتبها ، ولذلك أرسل أحد فدائوته المدعو حسن الاكريمي وأمره بالذهاب إلى القاهرة وتمديد السلطان . وتمكن هذا الفداوي من دخول القصر الملكي والوصول إلى حجرة السلطان حيث وجده غارقا في نومه فترك خنجره مسلولا ملونا رأسه بالدم بقرب الوسادة ، كما ترك بطاقة كتب عليها من أحد فدائوية سيد الاسمايلية وشيخ الجبل وحجة الامام الامام راشد الدين سنان إلى يوسف صلاح الدين السلطان الأيوبي بمصر وتواجها : « أعلم أيها السلطان المنتصب للعاقب الظالم الفاسق انك وان اقلت الأبواب ورضعت الحراس والسلاح لانستطيع أن تنجو من الفصاص ومن لإنقام الاسمايلية. أراك قد بالفت في الفجعة وتناولت في الجريمة واستبدت وظلمت وقتلت وصلبت دون أن تحسب حسابا لشيخ الجبل الاسماعيلي الذي يقف لك بالمرصاد لدرجة لو أردنا قتلك الليلة لقمنا . ولكن عفونا عنك لعلك تقدر هذا وإننا نتركك لتصلح من سيرك وتعيد الحق للمنتصب إلى ذويه . ولا تحاول أن تعرف من أنا فذلك صعب عليك وبعيد عنك بعد العماء عن الأرض إذ قد أكون أخاك أو خادمك أو حارسك أو زوجك وأنت لا تدري (٢)

Lewis, Saladin and the Assassins, p. 442.

(١)

(٢) مصطلح ذاب: تاريخ الدولة الاسمايلية من ٢١٧ ، ميشيل لباد :

الاسمايليون ودولة الاسمايلية : ص ١١٠



وفي الواقع يجب أن نتقبل هذا التهديد بشيء من الحذر والتحفظ لأن الله كمعور مصطنق غالب قد أنفرد بنشره في كتابه « تاريخ الدعوة الاسماعيلية » فضلا عن مخطوطه اسماعيلية ، ورن سواء من المؤرخين والكتاب المحمديين ، فضلا عن أن الرواية المذكورة لم ترد في المصادر العربية التي نحت أيدينا من خطية ومطبوعة . ورغم ذلك فإن دل هذا الخطب على شيء فأنما يدل مدى لفتة شيخ الجيل في نفسه وفي اتباعه . ويدل أيضاً على بعد نظره ، إذ ربما يكون قصد عدم التخلص من السلطان صلاح الدين حينذاك - حتى يكون التهديد بمثابة درس يتعظ منه ويدرك مدى قوة راشد الدين سنن فيصرف النظر عن معاداته أو محاولة محاربهه والقضاء على طاقته . ولعل الهدف منه أيضاً - وأن صححت الرواية - إبراز شهرة الاسماعيلية أمام القوى الثالثة في المنطقة وهي الفرنج . وكل هذا فروض واحتمالات لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث .

كيفية كان الأمر يعتبر هنا هو التهديد الأول الذي وصل صلاح الدين من تلك الطائفة . وستلوه سلسلة طويلة من التهديدات والاحتكاكات التي دارت بينها عند انتقال صلاح الدين إلى الشام لاستكمال طريق الوحدة الإسلامية . وكان خبر زوال الخلافة الفاطمية بمثابة السيف الذي سلط على رقبة الدولة الاسماعيلية لأنها فقدت مركزا هاما من مراكز الدعوة الشيعية في منطقة الشرق الأدنى . فضلا عن تقوية المذهب السني وتثبيت إقدامه وتغلظه في المنطقة الأمر الذي يقرب من بداية نهايتها ، وغنى عن القول أنه كان في نفس الوقت تهديدا خطيرا موجها إلى القوى الصليبية في الشام ، وأملا من عوامل الطغراب بين الصليبيين والاسماعيلية لمواجهة هذا الخطر المشترك بالنسبة لكليهما ، ولكل هذا جد الاسماعيلية من أجل العمل على إعادة المذهب الشيعي والقضاء على السنيين حتى ولو أدى الأمر إلى التناغم مع الصليبيين . ففي سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣م

أراد جماعة من الشيعة الوثوب بمصر من أجل سفيحة، إقلمة الدعوة الشيعية، وكان منهم الشاعر عمارة اليمنى (١). و داعي الدعوة ابن عبد القوي وغيرهما من جند مصر وحاشية القصر . وكانت خطتهم تتلخص في أن يحمل عمارة اليمنى على تحريض صلاح الدين برسائل أخيه نور انشاء إلى اليمن لأن الظروف الموجودة هناك تحتم فتحة ، وكان غرضه من هذا أجاد أكثر صاكر للسلطان عن مصر مما يساعد المتآمرين على نجاح خطتهم . وبعد هذا كعبوا إلى القرنجة في صقلية والشام خفية وهرضوا عليهم ما استقروا عليه وطلبوا مساعدتهم مقابل منحهم شيئا من المال والبلاد . وكانت خطتهم أنه في نفس الوقت الذي تصل فيه القوات الصليبية وخروج صلاح الدين بنفسه للقائهما يقوم المتآمرون باشغال نيران الثورة في الداخل فيقع للسلطان بين نار الثورة بالداخل ونلر وجود القرنجة خارج البلاد الأمر الذي يعمل على تشتيت مجومه مما يساعد على هزيمته على يد الصليبيين من ناحية وسيطرة عمارة اليمنى وإتباعه على مقاليد الأمور بالبلاد من ناحية أخرى (٢). ثم إنهم لم يكتفوا بمراسلة الصليبيين بل

(١) هو ابو محمد عمارة بن أبي الحسن على بن زيد أن أحد المكسي اليمنى الملقب بنجم الدين ، أنه من تمامة باليمن من مدينة يقال لها مرطان ، اعتقل بالنفسه أربع سنوات وبعث عام ٥١٩ هـ / ١١٥٤ م ، وجره صاحب مكة الى الديار المصرية فدخلها سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م وله عدة مؤلفات أهمها التكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية هذا فضلا عن ديوانه في الشعر . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٣٦ - ٥٣٨ .

(٢) الصادق الاصفاني : البستان الجامع لوصة ١١٩ ، أبو شامة : الروميتين ص ٢١٩-٢٢٠ ، النوري : نهاية الارب ج ٢٦ لوصة ١٢٤ ، أومبرتر وريزينا نو : صفحة من تاريخ حللات بين وليم الثاني النورماندي وصلاح الدين ، انظر مجلة كية الآداب جامعة الإسكندرية - المجلد الخامس (١٩١٩) ص ٥٣ .



كما نورا اسنانا زعيم الحشيشية بالشام، وطلبوا منه المساعدة من أجل إعادة الدعوة العلوية. ويوضح ذلك من واقع الخطاب الذي أرسه صلاح الدين إلى السلطان العادل نور الدين محمود يوقفه على تفاصيل المؤامرة وكيفية القضاء عليها بمد أن ألم بتفصيلها من لفظه الواضحين الذين على بن نما الذي تظاهر أمام عمارة اليمنى بموافقه على الاشتراك في هذه المؤامرة واندى بين المتآمرين حتى عرف خطتهم المذكورة وأحاط السلطان علماً بها. وقد صادف وصول هذا الخطاب يوم وفاة نور الدين محمود، وأورد ابن واصل في كتابه مفرج الكروب في أخبار بنى أبوب نص هذا الخطاب. ومن فسرة ما يلى : « . كتابنا سنانا صاحب الحشيشية بأن الدعوة واحدة والكلمة جامعة وانه ما بين أهلها خلاف يجب به قوم من نمره واستعدوا منه من مقيم على الملوك غيلة ويثبت عليه مكيدة وحيلة، فقتل الله سيف الشرع جماعة من الفراء الغلاء الدعاة إلى النار الحاملين لانفالم وأنقاله من أضلوه من التجار فشتقوا على أبواب قصورهم وصلبوا على الجسود الواجهة لدورهم وشرد طائفة الاسمايلية ونفوا ونودى أن يرحل طائفة كافة الأجناس وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى الصعيد... (١)».

ولعلنا نستج من صيغة الخطاب أنه كان من ضمن المهمة التي عهد بها المتآمرين إلى راشد الدين ستان العمل على استخدام خناجر القداوية للقضاء على صلاح الدين الأيوبي وسكبار رجال دوله. وما يؤسف له أن المصادر العربية والأجنبية لم تمدنا بمعلومات توضح موقف الصليبيين من هذه الرسالة.

(١) أبو سناء، الروضتين ص ٢٢٦، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢١٩

المقرهزي : السلوك لمعرفة دول الملوك - تحقيق الدكتور محمد مطر زيادة - ج ١ ص ٥٢



على أية حال، لما علم الفقيه زين الدين بخيرط المؤامرة أنصح «بها للسلطان صلاح الدين الذي أمره بأظهار تماطفه منهم وتواطئه على ما يريدون فدله، وأخباره بما يتجدد من أخبار ففعل ذلك. ثم وصل رسول من قبل الصليبيين بالساحل الشامي إلى صلاح الدين بمـدية ورسالة وهذا هو الظاهر، أما في الباطن فكان هدفه هو أولئك الجماعة، فكان يرسل لهم بعض النصاري وتأتيه رسـلمهم . فأتى الخبير للسلطان وعند ذلك تم القبض على المتآمرين فقتلهم وصلبهم^(١). ولكن خيوط المؤامرة لم تنته . بهذا الشكل لأنه في الوقت الذي فكر فيه الملك الصليبي بالشام في الانسحاب وللمدول من مهاجمة الاسكندرية حسب الخطة المتفق عليها، رفض ملك صقلية وليم الثاني هـ هذه الفكرة وقرر الاستمرار في حملته . ففي السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩ هـ / ٢٠ يوليو ١١٧٤ م ظهر الأسطول الصقلي أمام شواطئ الاسكندرية . وتمكن أهالي الاسكندرية من صد الحملة مما اضطرها إلى الانسحاب^(٢) .

ويحتمل مما تقدم أن يكون قد حدث نوع من التنظيم والتفسيق بين القوات الصليبية والحشيشية يجمع بينهما هدف مشترك واحد هو القضاء على نفوذ السلطان صلاح الدين الذي كان يهدد كليهما بخطر كبير ... ففي اتفاقهما ضد السلطان مصلحة مشتركة لكليهما . فالمصلحة بالنسبة للحشيشية هي إعادة للذهب الشيعة، وأما بالنسبة للصليبيين فهي تقوية الفرصة على صلاح الدين

(١) ابو شامة : الروضتين ص ٢١٩ ، ميشيل آماري : المكتبة الصقلية ج ٢ ص ٣٠٩

أحمد البيل : حياة صلاح الدين ص ١٢٠ .

(٢) أومبر توريتزبانو : صفحة من تاريخ العلاقات بين وليم الثاني وصلاح الدين



في تطويقهم وتضييق الخناق عليهم . حصرهم بين فكي الكفاشة في الشام شمالا حيث توجد قوات نوو الدين وفي مصر جنوبا حيث يوجد صلاح الدين .

وهكذا نرى أن الحشيشية قد مدوا نشاطهم إلى مصر به ف الحفاظ على استمرار المذهب الشيعي وإحسانهم بأن إنهاء هذا المذهب يعني تقليل شأنهم وتفوزهم وللمؤمنين من قوتهم . ولم تكن هذه المؤامرة التي اشتركت فيها جماعة الاسماوية بالشام هي الأولى من نوعها . فإذا رجعنا قليلا إلى الوراء نجد أنهم كانوا يتآرون ضد أي دولة تهدف إلى توحيد الجبهة الإسلامية ولو كانت هذه المحاولة من شأنها رفيع علم الإسلام والوقوف في وجه القوى الصليبية وتحرير الأراضي المقدسة . وذلك لأن مجرد قيام دولة إسلامية سنية قوية كان يشكل خطراً على وجود الاسماوية الشام ودعوتهم الشيعية . فتراهم يتخذون من خناجرهم سلاحاً يطعنون به صدور القادة المسلمين الذين دفعتهم شجاعتهم وإيمانهم بضرورة إستعادة الأراضي المقتنصة وكان في إقدامهم على هذه الخطوة خدمة للصليبيين الدخلاء . وكان خير ما يضمنه الصليبيون هو وقوع مثل هذا الشقاق للذهبي بين المسلمين الأمر الذي به يود عليهم وحدم بالنفع والفائدة في وقت كان فيه مركزهم في الشام قد أخذ في الارتفاع وفي وقت أصبح فيه زمام البلاد في قبضة المسلمين وميزان القوى يميل بقوة إلى جانبهم ، وعلى هذا تتشابك الأطراف وتتداخل المصالح بين هذه القوى الثلاث . الصليبيين والحشيشية والسنيين في رقعة الشرق الأدنى . وأهل خير مثل ذلك هو إغتيال جناح الدولة أمير حصص السني (١) . ولكن تتضح الصورة بكل ما فيها يحسن أن نعرض لأهم القادة المسلمين الذين عجبت بهم المنية بسبب خناجر القداوية

للسمومة ، والذين كانوا يشكون في نفس الوقت خطراً على كل من اسماعيلية الشام والصليبيين خلال القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري). وكان مودود بن التوتكين صاحب الموصل هو أول ضحية لعداوية ضمن حملة ضحايا القواد المسلمين السنيين الذين لا قوت لهم الا في القصر .

بدأ مودود سياسة التقرب إلى بعض الأمراء المسلمين بالشام بهدف إقامة حلف إسلامي موحد يقف ضد التحركات الصليبية في المنطقة وذلك بعد أن استشر المسلمون بالخطر وأخذوا يستعدون لمواجهة . وقد سأم الحشيشية هذا الوضع لتفانيه مع سياستهم . ومن ضمن هؤلاء الأمراء طفئكين انا بك دمشق الذي اتفق مودود معه على مهاجمة الصليبيين في طرابلس . ولكن هذه الحملة لم تحقق شيئاً يذكر لخلول فصل الشتاء ، ورحل مودود عن الشام (١) . ولكن ما لبث أن استنجد به طفئكين بسبب هجوم الملك بولدوين الأول ملك بيت المقدس على دمشق سنة ١١٠٣ م / ٥٠٧ هـ ، فأسرع مودود في الحال لطلبية هذا النداء . ووقعت معركة بين الطرفين انتصر فيها المسلمون . وعند ذلك سمع مودود لصاكره بالعودة إلى ديارهم والاستراحة على أن يتم تجميعهم مرة ثانية في فصل الربيع للعودة المهجوم على الصليبيين . وفي مودود مع خواصه ودخل دمشق في ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ / ديسمبر ١١١٣ م ، وقرر البقاء فيها حتى حلول فصل الربيع (٢) . وأقام في مخيمه بمرج باب الحديد

(١) حسن جيتي : نور الدين والصليبيون ص ١٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٨٠٤ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان

ج ٨ ص ٤٢ ، انظر أيضا المراجع الأجنبية التالية :

Defrémery, op. cit., p. 3٥9, Runciman, op. cit., t. II, p. 126



دمشق (١) ولما كان متعمداً للدخول في جامع دمشق يوم الجمعة ليصلوا به وبهوك بمصنف صبان ، فقد إنجبه في يوم الجمعة الأخيرة من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ / سبتمبر سنة ١١٩٣ م نحو الجامع برفقة خواصه ومعها أتابك طفعتكين . ولما انقضت الصلاة وخرجوا جميعا إلى صحن الجامع يتقدمهم مودود وطفعتكين متشابكي الأيدي وحوطها خواصه مسلحين بخناجرهم ، اقترب منه حينذاك أحد فداوية الإسماعيلية كما أنه يدعو له يطلب منه صدقة ، وطعنه بخنجره في سرعة فائقة أسفل سرته ضربتين أحدهما نفذت إلى خاصرة والثانية إلى فخذه . وفي الحال أرتفعت سيوف الحراس على رقبة الهاني وقطعوا رأسه وجسده واشعلوا النار التي ألقى فيها . أما بالنسبة لمودود فإنه أخذ يواصل طريقه مشياً على الأقدام حتى قرب الباب الشمالي للجامع ووقع فحمل إلى لدور الاتابكية وخيط جرحه . ولكن رغم ذلك توفي بعد ساعات قليلة في ذات اليوم المذكور (٢) . وكان صائماً ورفض تناول الطعام إذ قال « لا ألقى الله إلا صائماً فإنه حيث لا محالة سواء أفطرت أم أصبحت » (٣) . وقام الملك بولد . بن الأول برسال كتاب إلى طفعتكين يقول « إن أمة قتلت

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٧ انظر كذلك :

Setton, op cit. t I, p ٠0 .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ١٥٧ ، ابن خلكان : نيات الأعيان ج ١ ص ١١١ ، الخرجي : المسجد النبوي ج ٢ ورقة ١٠ ، الصبي مقد الجمان ج ٢٠ لوحة ٦٧٩ - ٦٨١ راجع كذلك :

Grousset, op. cit, t. I: p 275 Defrémary, op. cit, p 3٥ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٢٢٧ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٧ .



عبيدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبدها (١) .

ولقد قيل في شأن مقتله أن الباطنية بالشام قد توجسوا خيفة منه لازدياد نفوذه من ناحية ، ولأنه كان قائدا قويا للجيش الشرقي السلاجوق الذي لم يكف عن اضطهاده لهم بفارس من ناحية أخرى ، وهو الأمر الذي يجعل منه عدوا خطيرا للحشيشية بصفة عامة سواء في فارس أو في الشام (٢) . وبضيف المؤرخ من ارهوى رأيا آخر في هذا الشأن إذ يذكر أن طغتكين هو الخمرض الأول على تدبير هذه الجريمة لأنه خشي على سلطانه من مودود حيث نعى إلى علمه أنه أثناء رحلة مودود إلى دمشق قد عزم على الاستيلاء عليها وتدبير الحيلة لآبادة طغتكين . وحيال هذه الخيانة اتصل طغتكين بأحد الباطنية الموجودين في سجن دمشق والمحكوم عليه بالاعدام ووعده بالفر عنه وإعطائه خمسة مائة قطعة من الذهب إذا خلصه من مودود . وهكذا تم اغتياله على النحو الذي ذكرناه (٣) . وقد أيد البعض هذا الرأي من حيث إتهام طغتكين في التبحر بضع على قهله مستندين في ذلك إلى التمهالف الذي تم بينه وبين الصليبيين فيما بعد (٤) .

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢

ص ١٧٦ .

(٢) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٠٩ : أنظر أيضا :

Setton, op. cit. t. I. p. 113.

Mathew 'El-Isa, Cf. R. H. C. - Loc. Cit., t I, pp (٣)

١٠٣ - ١٠٧ .

(٤) محمد الشيخ: الجهاد المقدس ص ٢٤٤ ، عبد الحميد: العلاقات بين الشرقي

والغربي ص ٥٤ .

ومها يكن من أمر ، فالرأى المرجح هو أن طفتكين برىء من دم مودود وأن تدمير هذه الجهرية يرجع إلى وجود إتفاق سابق بين الباطنية والصلبيين رغم عدم إشارة المصادر أو المراجع الأوروبية إلى ذلك . فاذا أمعنا النظر في مجريات الأحوال لوجدنا أن المصلحة المشتركة لكليهما تنحصر في الصلخ من مودود فالباطنية من مصاحبتها إزاحة مودود من طريقها - لأنه سنى المذهب ويعمل على إيجاد وحدة إسلامية سنية تدن بالولاء للخليفة العباسى في بشداه الأمر الذى يمدد كيانها ووجودها أما بالنسبة للصلبيين فهم يرون أن وجود مودود كفة تد ماهر محك وخصم فى الحرب التى دارت بينهم وبين طفتكين كان عاملا هاما فى رجوعان كفة المسلمين فى وقت بدأت فيه بوادر الإفاقة الإسلامية تظهر فى المنطقه مه ددة الوجود الصليبي فيها . ولهذا أدر كوا أن نتيجة الجهرلة القادة بينهم وبين المسلمين لن تكون فى صالحهم بسد أن بدأ ميزان القوى فى الاعتدال لصالح المسلمين الإسرائلى الذى يجعلهم يجعلون فى الصلخ منه قبل أن يفك هو بهم وحتى تفتكك قوى المسلمين كما كان الحال فى بداية الحركة الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (أخربات القرن الخامس الهجرى) عندما تمكن الصليبيون القرييون من تحقيق أطاهم فى رقعة الشرق الأدى الإسلامى فى بضع سنوات على حساب الضعف والانقسام السياسى والمذهبى بين المسلمين . أما فيما يتعلق بالخطاب الذى أرسله الصليبيون إلى طفتكين فلا به -دو أن يكون أكثر من نمويه لإيجاد أى شك قد يحوم حولهم . وبما يعزز الرأى أن طفتكين كان أحب الناس إلى مودود ، وقد حزن عليه حزنا شديداً وشق نوبه وأقام عزاء مدة سبعة أيام فضلاً عما تصدى به عنه من مال جزيل (١) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس من

(١) سبطا بن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٥١ .



المقول أن يكون لطفتكين بد في هذه الجريمة وهو يعلم أنه لولا مساعدة
مورد له ضد ولدهوين الأول في المعركة السابقة لمنيت قوائه بالفشل والهزيمة
ولاستولى الفرنجة على دمشق . هذا بالإضافة إلى أنه كان يعلم بقرب جولة
أخرى بينه وبين الصليبيين الذين وضعوا نصب أعينهم دائماً فكرة الاستيلاء
على دمشق . أما ما أعتبره البعض بمجسـل التحالف الذي تم بين طفتكين
والصليبيين فيما بعد سبباً لتوجيه أصابع الإنهام إليه ، فهو الآخر ليس سبباً
كافياً ، لأنه من المحتمل أن يكون طفتكين قد أضطر إلى طلب التحالف مع
خصومه الصليبيين طلباً للإمان ، خاصة بعد أن انتقد القيادة النشطة التي كان
يرتكز عليها بعد موت مورد .

وعلى كل حال ، كان مقتل مورد خسارة كبيرة لقضية الجهاد الديني واليقظة
الاسلامية لاتزال في بدايتها . ولكن السلطان محمد بن ملكشاه لم يتقاعس من متابعة
خطة الجهاد الديني ضد الصليبيين . فلم يكذب يعلم بلباً مصرع مورد حتى عين
أباصيد البرسي الفارزي الملقب بقسيم الأول خلفاً له في حكم الموصل سنة ٥٠٨هـ /
١١١٤ م ، وأمره بالاستعداد لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين (١) ولم يلبث البرسي
وهو على الموصل أن تلقى نداء أعيان حلب لتجديتهم ضد الصليبيين الذين لم
يكفوا عن توجيه نشاطهم العدائي تجاه المدينة ومحاصرتها . ولكنه وقها كان
راقداً على فراش المرض ، ولدا وعدم بعلية نداءهم إذا شئ وبالفعل بعد أن
برى من مرضه ناد جهشه واتجه نحو حلب ، فمات الصليبيون بذلك أنسحبوا
إلى انطاكية ، والحق بهم الهزيمة ثم دخل حلب وتسلمها كما سلم القاعة وكان
يرافقه في دخول المدينة طفتكين أتابك دمشق وكان ذلك في أواخر ذي

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١١١ .

الحجة سنة ٥١٨ هـ / أواخر يناير سنة ١١٢٥ م (١) . وبسلمه حلب تكون
 حالف موحد بينها وبين الموصل ، وكان هذا صدقة كبيرة للصليبيين ، وبمذا
 يحسون بتزعزع موقفهم في الأراضي المقدسة . وبعد أن رتب البرسي أمور
 حلب وأطمأن إلى استقرار أحوالها ، ترك عليها ابنة من الدين مسعود وقتل
 ماله إلى الموصل (٢) . وفي يوم الجمعة ٩ ذوالقعدة سنة ٥٢٠ هـ / ٢٦ نوفمبر
 سنة ١١٢٩ م ، أتجه أفسندر البرسي إلى الجامع العميق بالموصل كما عادت له يؤدي
 فريضة الصلاة ، ورغم أنه كان على غاية في الأحتراس والحفظ من وثوب
 للقدارية عليه وذلك بالاحتكاك من الحراس حوله ، إلا أن الحذر لم يمنع
 قدرا مكتوبا لأنه أعتيل في نفس هذا اليوم (٣) . فلما دخل الجامع صادف هذه
 الجماعة في زى السوفية يملون بجموار المقصورة ، فلم يأ به لهم ولم يرتاب منهم ،
 فلما بدأوا الصلاة وثب عليه جماعة منهم وطعنوه بخناجرهم عدة طعنات ، ولكن
 ذلك لم يؤثر فيه لانه كان يرتدى قميصا حديديا ، وقد غفل أصحابه عنه .
 ولكنه تمكن من سحب سيفه وضرب به أحدهم فقتله وحينذاك صاح أحدهم
 عندما وجد أن الخناجر لا تؤثر فيه ، ويحكم أطلبوا رأسه وأصله ، وفي
 الحال تحولت طعناتهم إلى حلقه وجرحوه جرحا ختاره . فأدركه أصحابه
 وجماعته وقتلوا كل من وثب عليه ، وحمل البرسي بأخر رمق إلى بيته وهرب
 كل من في الجامع وبطلت الصلاة ، وقد فارق الحياة في حينه . ومما يذكر أنه

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ لوحة ١٠٢ - ١٥٣ ، أبو الفدا المختصر في
 أخبار البشر ج ٢ ص ٢٤٩ .
 (٢) عماد رغب الطباخ : أعلام النبلاء ج ١ ص ١٦٨ .
 (٣) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ لوحة ١٥٣ ، العيني . عقد الجواز : ٢٠ لرح
 ٨٤٧ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٠ .



صانماً في هذا اليوم (١) . وكان أفسقر قدرأى في منامه ليلة مقلته أن عدداً من الكلاب قد ناروا عليه ولكنه تمكن من قتل بعضها ونال منه الباقون أذى شديداً . ولما قص هذه الرؤيا الثمانية إلى أصحابه أشاروا عليه بعدم الخروج من داره مدة أيام تجباً لمخولات اغتياله فقال « لا أترك الجمعة لشيء أبداً » حيث كان دائماً مواظباً على حضورها (٢) . ورغم اتفاق المؤرخين على وفاته سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، إلا ان سبطا بن الجوزي وابن كثير حددا اغتياله بسنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م . ولعل ذلك يرجع الى خطأهما عندما نقلوا هذه الحادثة عن سبقها من المؤرخين . وانتسا نري طالما أن أحد المؤرخين المعاصرين لهذه الحادثة مثل ابن التلائسى قد حددها في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م فمر أصدق من غيره ويكون الاساس الذي اتخذه باقي للمؤرخين من بعده .

وعلى أية حال ، ففي اللحظة التي تم فيها قتل الموسى كان أبوه عز الدين مسعود موجوداً في حلب وكانت وقتها مهتدة من قبل الصليبيين . ولكنه ما أن علم بالتبأ حتى أسرع إلى الموصل بحثاً عن حقيقة القتل . وعلم أن خيوط هذه المؤامرة قد نسجت منذ أحد صناعات الأحمذية ، ففرجة إليه ووعدته بمكافأة كبيرة إذا أفضى له بالحقيقة كاملة فأعترف بأنه قد وفد عليه جماعة من الباطنية

(١) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق من ٢١٤ ، ابن خلكن : وفيات الأعيان ج ١ من ١١١ ، العاد المنبلى : ذخرات الذهب ج ٤ من ٦١ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٤ من ٢٤٩ ، الذهبي : العبر ج ٤ من ٤٦ ، انظر أيضاً : المراجع الأجنبية التالية :

Michaud, op. cit., t. III, p. 245, Stevenson, The Crusaders, in the East, p. 118. Runciman, op. cit., t. II, p. 175.

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر من ٣١ . الثوري : نهاية الارب ج ٢٥ لوعة .



ومعهم نية اغتيال البرسي ، وكانوا يبعثون الفرصة المناسبة حتى ينفذوا خطتهم . ولكن بعد سماعه القصة قبض عليه وقتله بعد أن قطعت يده ورجلاه وبعض من أجزاء جسده (١) .

ويرى المؤرخ ابن خلكان في شأن مقتل البرسي أن الخشيشة قد خادوه لانه تصدى لاستئصال شأفهم وقتل مجموعة كبيرة منهم (٢) . ولكننا لا نميل إلى تآخذ بهذا الرأي ، لأن ابن خلكان أفرد به دون سواء من المؤرخين فضلا عن أن الباحث في تاريخ هذه الطائفة لا يجد أية أشباكات أو أضعافات من كلا الجانبين . ويعتدل أن يكون اشتغال البرسي في جمـاده ضد الصليبيين قد جعله يرجي مهارتها أو القضاء عليها . وإذا القينا الضؤ على الظروف التي سبقت مقتله نجد أن الصليبيين وحدهم هم أصحاب المصلحة للكبرى في أبعاد البرسي عن مسرح الأحداث . هذا بالإضافة إلى المصلحة الواضحة التي ستتحقق للخشيشة باغتياله وإزاحته من أمامها ، لأنه كان مترعما حركة الوحدة الإسلامية والجهاد ضد الصليبيين . كما أنه ساعد الحليين في تخليص المدينة من أيديهم بعد ما كانت على وشك السقوط . فضلا عن النتائج الضارة التي ستلحق بهم من وراء تحالف حلب الموصل ، حيث يؤدي هذا إلى قطع خطوط المواصلات بين الرها وبق الإمارات الصليبية في الشام وكانت هذه الشبكة من المواصلات من أهم وسائل الأرباط بينها . لكل هذه الأسباب ربما يكون الصليبيين قد اتفقوا مع الخشيشة من أجل التخلص من البرسي لمصاحبة الجانبين . وأن نظرة فاحصة مدققة إلى سير مجريات الأمور

(١) Deffémery, op. cit., p. 104. Grousset, op. cit., t. I, p. 85.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١١٩ .

وسخطهم عليه (١) . وما يُؤسف له أن المؤرخين لم يدونا بعضيات كثيرة توضح مدى علانية سنان بنور الدين محمود على غرار ما قيل في شأن -علانية الاسمايلية بصلاح الدين مثلا . ولا ندري على وجه اليقين ما السبب في هذا ، وهل راجع إلى قلة العلاقات بينهما أو إلى عدم قدرة نور الدين في الوقت ضد سنان وجميع نشاطه الأمر الذي أدى إلى تمعد المؤرخين إلى طمس ما لديهم من معلومات ربما لو كانوا قد نشرها لا ساءوا بها إلى سمعة ور الدين نفسه بصفتة أحد زعماء العالم الإسلامي .

على أية حال ، كان أنشغال نور الدين محمود في حروبه ضد الصليبيين عاملا هاما في عدم توجيه جيوشه لغزو أراضي الاسماعيلية والقضاء عليهم بالصورة التي تحتم عليه الاكتفاء من غزواته ضدهم . ولكن ليس منى ذلك أن موقفه كان -لييا نجاح كل نصرقاتهم وأمام تزايد قوتهم ونفوسها ، بل لقد فكر أكثر من مرة في ضرورة للتخلص من الرأس المدبرة لهم والمتمثلة في راشد الدين سنان ، فأمر باعداد جيشه لقتالهم ، وشن عليهم حرباً شعواء في منطقة جبل السباق (٢) . وفي صباح أحد الأيام وجد عند أستيقاظه من النوم خنجرأ مستلأ بجوار رأسه وهو من النوع الذي لا يحمله الا الحشيشية وكان معه خطاب موجه إليه من سنان جاء فيه « إذا لم ترحل في الليل ، هذا

(١) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٠١ .

(٢) هو جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن ونرى وتلاع أكثرها الاسمايلية وسمى بهذا الاسم لكثرته ما بقت فيه من السبق . وهو مكان طيب . ومن هج هذا الجبل أن فيه بسايتين ومزارع كلها غدير ايبت جميع الثواك والحبوب . انظر عن ذلك القزويني : عجائب المخلوقات وهرايب الموجودات ص ١٦٤ .

وسخطهم عليه (١) . وما يُؤسف له أن المؤرخين لم يدونا بعضيرات كثيرة
 توضح مدى علانية سنان بنور الدين محمود على غرار ما قيل في شأن -علانية
 الاسمايلية بصلاح الدين مثلا . ولا ندري على وجه اليقين ما السبب في هذا ،
 وهل راجع إلى قلة العلاقات بينها أو إلى عدم قدرة نور الدين في الوقت ضد
 سنان وجميع نشاطه الأمر الذي أدى إلى تمعد المؤرخين إلى طمس ما لديهم
 من معلومات ربما لو كانوا قد نشروها لا ساءوا بها إلى سمعة ور الدين نفسه
 بصفته أحد زعماء العالم الإسلامي .

على أية حال ، كان أنشغال نور الدين محمود في حروبه ضد الصليبيين
 عاملا هاما في عدم توجيه جيوشه لغزو أراضي الاسماعيلية والقضاء عليهم
 بالصورة التي تحتم عليه الاكتفاء من غزواته ضدهم . ولكن ليس مني ذلك
 أن موقفه كان -لييا نجاح كل نصراتهم وأمام تزايد قوتهم ونفوسها ، بل لقد
 فكر أكثر من مرة في ضرورة للتخلص من الرأس المدبرة لهم والمتمثلة في
 راشد الدين سنان ، فأمر بإعداد جيشه لقتالهم ، وشن عليهم حرباً شعواء في
 منطقة جبل السباق (٢) . وفي صباح أحد الأيام وجد عند استيقاظه من
 النوم خنجراً مستلماً بجوار رأسه وهو من النوع الذي لا يحمله الا الحشيشية
 وكان معه خطاب موجه إليه من سنان جاء فيه « إذا لم ترحل في الليل ، هذا

(١) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١ .

(٢) هو جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن ونرى وتلاع أكثرها الاسمايلية
 وسمى بهذا الاسم لكثرته ما ثبت فيه من السمق . وهو مكان طيب . ومن هج هذا
 الجبل أن فيه بساتين ومزارع كلها غدير ايبت جميع الثواك والحبوب . انظر عن ذلك
 القزويني : عجائب المخلوقات وهرائب الموجودات ص ١٦٤ .



المنجر سيفمر في قلبك ، فأزعج نور الدين لهذا وقرر الانسحاب في الحال (١) . وقد فكر نور الدين فيما بعد الخروج لمهاجمة سنان ، ولكن حال الموت بينه وبين تنفيذ مشروع (٢) . وكان لخطابات التهديد الاستفزازية المعبادة بينها أثر كبير في تعميق الكراهية بينها ، وبصفة خاصة تلك الخطابات التي كان يرسلها شيخ الجبل إلى نور الدين وما تتضمنه من أسلوب لاذع لا يليق بملاك زو شأن كبير مثله . فمثلاً أورد المستشرق جوبارد نصاً لخطاب تهديد أرسله سنان إلى نور الدين رداً على تهديد وصله منه يقول فيه « أن تهديك لنسا بالحرب مثل تهديد البطة بالقاء تمسها في الماء . . . هل من حمامة تهود وتقتل لسراً ... أن تهديك بقدرتك على تمزيق صقنا وتدمير نلاعنا وتأمل في النصر أن هذا الخيال باطل وبعيد تحقيقه » (٣) . وهناك صورة أخرى في تهديدات سنان الموجهة إلى نور الدين ذكرت في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . وكانت في هيئة أبيات من الشعر نظراً لإلمام سنان الشديد بهذا النوع من الآداب . يقول :

إذا الذي بقرع السيف هددنا ... لا قام مصرع جنبي حين تصدقـه
قام الحمام إلى البازي يهدده ... وأستيقظت لاسود السراضيمه
أضحى بسد فم الأفي بأصبه ... يكفيه ما قد نلاق منه أصبه (٤)

(١) Guyard, op. cit., p. 366, Défremoy, op. cit., p. 13

راجع أيضاً ميشيل لباد : الاماويليون والدولة الاسماعية بصيف ٥٣

(٢) Lane - Poole, Saladin, p. 136.

(٣) Guyard, op. cit., p. ١٥7.

(٤) نزاع السيف هو جد السيف ، والبازي : طائر جارح . انظر القاموس المحيط ج ٣ ص ٦٦ ، ج ٥ ص ٣٥٤ وأراد سنان أن يوضح لنور الدين بأنه إذا ما هكر =

ويستطرد قائلا : وقفنا على تفاصيله وحلته وحملنا ما هددنا به من قسوة
وعمله ، فبالله العجب من ذبابه نظن في أذن فيل وبهوضه تعد في العمايل .
ولقد قالها مثلك قوم آخرون فدمرنا الذين ظلموا أى 'متقلب يتقلب-ون'
وأما مصادر من قوائم في قطع رأسى فإن الجواهر لاتزول بالأء-راض ، كما
أن الأرواح لاتضمحل بالأمراض كما بين قوى وضميف ودق . وشريف .
وأن عدنا إلا الطواهر والمحوسات وعدلنا عن البواطن والمقوليات فلنسا
أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ما أذرى بيق ما أوذيت . وقد
علمت ماجرى على عترته وأهل بيته وشيعته . والحال ما حال والأمر مازال
ولله الحمد في الأولى والآخرة . إذ نحن مظلون لظالمون ومفضيون لا
غاضبون ، وإذا جاء الحق زهق الباطل أن الباطل كان زهوقا . ولقد علمت
ظاهر حالنا وكيفية رجائنا ويتمنون من الموت ويتقربون به إلى حياض الموت .
قل فتمنوا الموت أن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله
عليم بالظالمين . وفي أمثال العامة السائرة أو للبط يهددون بالشط فيه البلبايا
جلبابا وتورع المرزايا أتوبا ، فلا تظهرن عليك منك ولأنهم منك وما ذلك
فيعكرون كالباحث عن حنفة بطله والجادح مارن اندهه بكفه وما ذلك
على بعزير (١) .

يقض من معاني الخطابين سألنى الذكر قوة أسلوب كاتبه ومدى الثقة

في معاداته فلن ينجو من الموت . وعمره أيضا بأنه بالنسبة لي ليس الا طائرا صغيراً
يحاول أن يتدى على سيده من كبار الطيور ، أو ضيف ضيف يحاول الوقوف أمام
أسد كبير .

(١) ابن خلكن : وميات الأحيات ج ٤ ص ١٤٩ - ١٢٠ .



التي كان يلمع بها سنان ، وفدوته في الوقوف ضد أعدائه وللقضاء عليهم حتى ولو كانوا أقوىاء أشداء وعدم خشية منهم . ففى الوقت الذى يعمل فيه الصليبيون لنور الدين حسابا كبيرا لشدة ضرباته الموجبة اليهم ، نوى سنان يعدهد بالصورة المذكورة . ولعل نور الدين وهو يعمل على تكميل الجبهة الإسلامية لمواجهة الصليبيين الدخلاء كان لا يريد إتاحة أى فرصة للاسماعيلية وشيعتهم سنان للقضاء على ماحققته فى هذا السبيل . فآثر التريث حتى تكتمل عملية التوحيد ويفترغ حينذاك لمواجهة أعدائه من صليبيون وحشيشة على السواء . كذلك يدل الخطاب على غرور سنان لدرجة أنه شبه نفسه برسول الله صلى الله عليه وسلم . ويبدو أن نور الدين كان يرسل مبعوثيه إلى سنان ليكونوا حلقة الاتصال بين الطرفين . وولى أحد المخطوطات الاسماعيلية المتعلقة بسيرة راشد الدين والتي كتبها المؤرخ الاسماعيلي أبو فراس الزيد من الضوء على ذلك إذ يقول أن نور الدين أرسل فى أحد الأيام رسله من صكبار رجال دولته إلى سنان فى حصن الكهف . وكان سنان جالسا فوق أحد أبراج الحصن المقابل للباب الخارجى . فلما إقترب الرسل تجاهه ووجدوه على حاله هذا استهزأ به وبما عليه من الثياب وتهاضوا فيما بينهم . ولما واجهوه قال لهم « تسخرون منها وتسعزأون بثيابنا وتزعمون أن قماشكم خير من قماشنا » ثم استكمل قائلا .

على ثياب ذون قيمتها فلس ... ومن تحتها تقاسى بها الأذى
ثيابكم صبيح ومن تحتها الدجى ... وثيابى دجى ومن تحت أذيالها شمس (١)

١٩ أراد سنان أن يوضح لهم أن الثياب الجميلة لا تدل على نفس صاحبها لأنها رغم فقر ملائمة الا أن كثيرا من الملوك والعادة يمشونهم ويرهبون جانبهم وان كانوا هم يفتنون -



و ضد ذلك اعترف الرسل بذنوبهم وتأسفوا لما حدث منهم وأنهم أصحابهم
التي جاءوا من أجلها ووقفوا عاندين إلى نور الدين (١) . ولم يذكر المؤرخ
أبنة تصيرت أخرى عن هذه السفارة وما أنجزته وما تم بشأنها . ولا تصفنا
المصادر التي تحت أيدينا بما يشفي العليل في هذا الشأن .

وعلى أية حال ، سواء أكانت هناك اتصالات أخرى قد تمت بين نور
الدين والحشيشية بالشام لم نظهرها بعد الخزانة الاستيعابية أو لم توجد ،
فانه بموته بدأ الحشيشية يواجهون خصما عنيدا ظهر لهم في الشام يهدف إلى
توحيد الجبهة الإسلامية من أقصى الشمال في الشمال إلى أقصى الجنوب في مصر
والعمل على تحرير الأراضي المقدسة من أيدي الصليبيين ، ونعني به صلاح الدين
الأيوبي الذي تركت سياسته أعمق الأثر على طبيعة العلاقات بين المسلمين من
سنة واستيعابية من ناحية وبين الاستيعابية وافرنج الشام من ناحية أخرى .
وإذا كنا قد أشرنا في الصفحات السابقة إلى الحلقة الأولى من سلسلة الاتصالات
التي تمت بين الحشيشية وصلاح الدين أثناء وجوده في مصر ، فسوف نستكمل
بأق حلقات هذه للسلسلة في الشام .

لقد أحدث موت نور الدين في شوال سنة ٥٦٩هـ / مايو ١١٧٤م رجفة عظيمة
في العالم الإسلامي كله . فنلاحظ أنه بدلا من أن يجتمع ولائه يد واحدة
ليعدرسوا الموقف وينظروا في أمر هذه الدولة المترامية الأطراف خشية تدخل
الفرنج ، وبدلا من الحفاظ على حقوق الصبي الصالح اسماعيل بن نور الدين

= بملابهم فان هذا على حساب عدم الاعتناء بنفوسهم من حيث العلم والمرعة الأمر الذي
هو غنى عن معرفته لأنه يتتبع به بالنمل ، كما يدل الجاوت على ذلك .
(١) أبو فراس : نحل من . مناقب اللفظ العريف ص ٤٧٩ .

الوارث الوحيد لهذه المملكة والذي لم يكن بلغ من العمر إلا الحادية عشر ، بدلا من كل هذا نجدهم يتهافتون كالذئباب لارغبة لهم إلا الفوز بأ كبير جانب من الثنيمة مسعفلين صغر سن الصالح اسماعيل . وانتهى الأمر بأن نجح سعد الدين كشتكين - أحد كبار قواد نور الدين - في السيطرة على الملك للصالح^(١) وكان صلاح إدين في هذا الوقت يرقب الموقف بعين الفلق ، وقد أرسل له أمراء دمشق يطلبون منه سرعة الحضور لتسلم المدينة . لذا غادر مصر معجبا نحو الشام ودخل دمشق في ربيع الثاني سنة ٥٧٠هـ/أواخر أكتوبر سنة ١١٧٤م وأستولى على قلعتها^(٢) . ثم استولى بعد ذلك على حمص وواصل طريقة نحو حلب فنزل على جبل جوشن^(٣) . ونادى في أهل المدينة بضرويه الحليم ولكن دون جدوى ، لما كان منه إلا أن شدد الحصار على حلب^(٤) . وحيال هذا الموقف قرر الملك الصالح مع أمراله مراسة راشد الدين سنان الاستنجاد

(١) حسين مؤنس : نور الدين محمود ص ٣٥٦ ، جال الدين الشيال: تاريخ مصر

الاسلامية ج ١ ص ٤٣ .

(٢) أحمد البيلي : حياة صلاح الدين ص ١٤٦ - ١٤٨ انظر أيضا :

Treeco, op. cit., p. 146.

(٣) يقع هذا الجبل غربى حلب وهو مشهور بسكينة معمن النعاس الأحمر فيه . ويقال أن زوجة الحسين بن هلى كانت حاملا فأسقطت هناك فطلبت من الصياغ في ذلك الجبل ماء فتموما وسبوها فدمت حلب . فأصبح من حمز فيه لا يرع . انظر القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ص ١٥٧ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ، ص ١٧٨ ابن العديم : زبدة الخلب

ج ١ لوصة ١٨٩ ، ابن واصل : مفرج السكروب ج ٢ ص ٢٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٢٩ .

وتفويضه لتتخلص من صلاح الدين . فقام سهـد الدين كشعكـين بالكتابة اليه ووعده بالمال الكثير فضلا عن بمض الضياع الموجودة بالمنطقة . ولما كان الاستماعيلية يرون في تقدم صلاح الدين خطرا داهما على سلطانهم، فقد أرسل سنان في جمادى الثاني سنة ٥٥٧هـ / ديسمبر ١١٧٤م جماعة من فدائيه من أجل إغتياله . فلما وصلوا إلى مسكره رآهم الأمير ناصح الدين غمارتكن صاحب حصن بوتايس فعرفهم لأنه كان جارهم في البلاد ونازعا لهم فقال ولأبي تسي جئتم وكيف تجاسرتم على الرسول ؟ وأسرع إلى خيمة السلطان لاخباره، ولكنهم أدركوه على باب الخيمة وقتلوه خوفا من غائله . ثم أراد أحدهم المجهوم على صلاح الدين ، ولكن اعترضه أمير جنوده سيف الدين ظفريل وقتله واجتمع الفئران على باقى الفداوية وقيلوم(١) . وهذا اخفق الفداوية في إغتيال صلاح الدين . ولذا استنجد الحليون بالصليبيين للعمل من أجل أبعاد السلطان عن حلب ، وبالفعل اتجه الصليبيون نحو حمص وحاصروها لاجبار السلطان على فك الحصار . وقد نجحت خطته ورحل صلاح الدين عن المدينة(٢) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٧٩ ، -بط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٢٨ ، ابن العديم : زبدة الخب ج ١ لوحة ١٨٩ انظر ايضا : ابن واصل و فرج الكروب ج ٢ ص ٢٤ ، ابن بهادر : فتوح النصر ورقة ١٧ ، مؤلف مجهول : شفاء القلوب لوحة ٢٣ ، بروكلمات : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٢٢٨ . ومن المراجع الأخرى انظر :

Grousset , op. cit. , t. II, p. 62 . Lewis Saladin and the Assassins, p. 39' Setton, op. cit. , t. I, p, 19. Phillip Hitti, The Arabes Heritage , p. 178, Hollis, Between :ow Crusades , p. 59.

Runciman, op. cit. , t. II, p. -08

(٢)



وحاول السلطان محاصرة مرة أخرى سنة ٥٧١ هـ / ٧٥ : ٣١، ولكنه لم ينجح لقوة محمد بن تانما ، فاتجه نحو بزاعة ومنهج وعزاز واسعولي عليها).

وفي أثناء حصار عزاز في ذي القعدة سنة ٥٧١ هـ / مايو ١١٧٩ م أرسل ستان جماعة من الفداوية إلى مصكر صلاح الدين متكرين في زي عساكره وتمكنوا من أن يندسوا بينهم دون أن يبرنهم أحد وأخذوا ينظرون الفرصة المواتية حتى بلغوا عليه . وبينما كان السلطان جالسا في أحد الأيام في خيمة أحد أقربائه ويدعى جاولي الأسدي يتابع سير القتال ، وثب عليه أحد الفداوية وضربه بخنجره على رأسه ، وكان للسلطان بحذر غدرهم بارتداء الدروع المصنعة . ولذلك حالت قلنسوته المعلقة التي يرتديها على رأسه دون إصابته فحول القناوى عند ذلك طلعته إلى صدغه فأصابه بسهم بالحق . فأمسك

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية - ١٢٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ وتقع « بزاعة » شمال شرق حلب وبها بساتين كثيرات وها نحن منيع استولى عليه الصليبيون سنة ١١٣٦ م / ٥٣١ هـ ، ولكن اسفروا منهم عماد الدين زكي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٣٨ م . أما شجاع فهو بلد قديم وقيل أن أول من بناه هو المك كسرى عندما تقابل على الشام وسماه منه هرب الى منيع . ومنيع بلدة مسيجة الأرجاء كثيرة البساتين ، بها قلعة صنيعة ، وبينها وبين حلب مسيرة يومين . أما « عزاز » فهي تقع شمال حلب على نحو الغرب ، ودلى عدة مسيرة يوم واحد منها . والعزاز هو الأرض الصلبة ، وقد استولى عليها الروم من المسلمين سنة ٩٦٢ م / ٣٥١ هـ ثم فتحها نصير الدولة أبو المعالي ابن سيف الدولة سنة ١٠٦١ هـ / ٩٧٣ م . وسدت زلزال أخرب قلعتها ، وقد خربها المغول سنة ١٢٥٩ م / ١٠٦٨ هـ . عزاز ابن حبير : رحلة ابن حبير ص ٢٢٨ ، ياغوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٥٣ ، ج ٣ ص ٦٥٤ ، ج ٤ ص ٦٥٤ - ٦٥٥ ، أبو الفداء : تواريخ البلدان ص ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٣١٧ ، ابن الضبعة الدر المنخب ص ١٦٨ ، ١٧٣ ، القزويني : أخبار البلاد وأخبار العباد ص ١٤٧ .



السلطان بد الهداوى يديه ، ولكه لم يتمكن منه من الضرب فظل يضربه في عنقه ضرباً عنيفاً ، ولكن ضرباته كانت تصطدم بحافة سترته . وعندئذ أدرك السلطان أحد أمرائه فهجم على الهداوى وقتله ، فجاه هداوى آخر فقتل أيضاً ثم تلاه ثالث ولكنه لى نفس مصير زميله . وإتجه السلطان بعد ذلك إلى خيمته بناه حالة من الفزع الشديد حيث لا يصدق بنجاحه (١) . وقد أعد للسلطان بعد هذه الخاتمة برجين خشبيين حول خيمته كان يجلس رينام فيهما ولا يدخل عليه إلا من يعرفه (٢) . ورغم ما حدث فقد استمر في حصار عزاز ثمانية وثلاثين يوماً حتى سلت له القلعة ، وبعد ذلك إنجه نحو حلب وحاصرها ثم وقع معاهدة مع أهلها في العشرين من محرم سنة ٥٧٧ هـ / التاسع والعشرين من يوليو سنة ١١٧٦ م على أن يتم النزول من قبل أمراء الشام على كل ما أسعول عليه من بلاد وأن يقم الجانيات على المحافظة على السلام (٣) . وبعد ذلك منح قلعة عزاز إلى اغناثون ابنة نور الدين محمود بناء على طلبها وإكراماً للذكري والدها (٤) .

(١) الامهاني ، البستان الجامع لوعة ١٢٠ ، ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٩١ - ١٩٥ ، ابن واصل : مفرج السكروب ج ٢ ص ٤٤ - ٤٥ ، النويري : نهاية الارب ج ٢٦ لوعة ١٤٦ ، تاج الدين شاهنشاه . منتخبات من كتاب التاريخ صاحب جاه ص ٢٧٢ راجع كذلك :

Michel le Syrien , Cf. R. H. C. - Doc. Arm. . t. I , p. 382

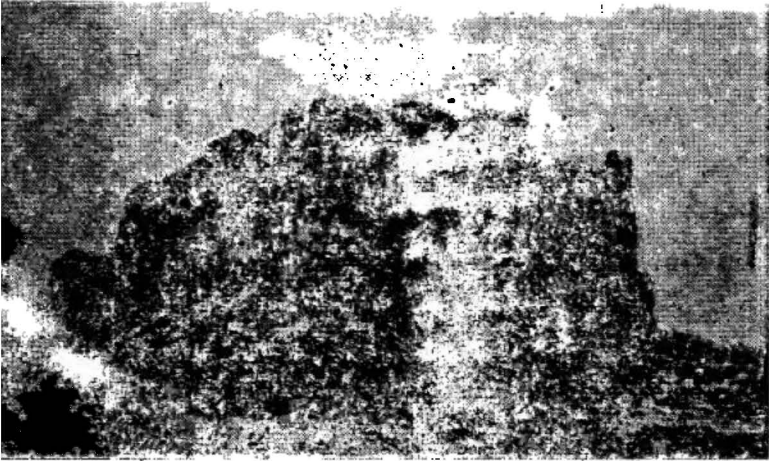
Lane - Poole, Saladin, p 100 .

Setton, op. cit , t. I, p. 123. (٢)

Runciman, op. cit., t. II, p. 409. (٣)

(٤) تاج الدين شاهنشاه : منتخبات من كتاب التاريخ ص ٢٧٢ .

(الوحه رقم ٣)



منظر للمبني القديم لقلعة معياف مأخوذ من كتاب :

Dussaud, La Syrie Antique et Médiévale Illustrée Planche, 128.



وجدير بالذكر أن للصادر المعاصرة والمتأخرة زمنياً عن الفقرة موضوع البحث ، من حرية وغير حرية ، لم تنثر إلى الدافع الذي أدى إلى ونوب الحشيشية على صلاح الدين هذه المرة .

ولكن ابن ابي طي أوضح أن أسنلاء للسلطان على منبج وزيارة آثار لحرف الحليين ، وأيقنوا خروج ما بأيديهم من المعامل والقلاع مما جعلهم يطلبون من سنان مرة أخرى للخصام منه (١) .

وغنى عن القول في صدور الكلام عن العلاقات الصليبية الاسماعيليه ، ومحاولات اسمايلية الشام وشبههم سنان للقضاء على صلاح الدين والتخلص منه ، غنى من القول أن أقصى ما كان يعمناه الصليبيون آنذاك هو العمل على توسيع شقة الخلاف بين الحشيشية والسنيين مما يعود عليهم وحدهم بالنفع والفائدة ، في وقت بدأ فيه للشرق الاسلامي يعكزل تحت راية صلاح الدين لمواجهة الخطر الصليبي ، وفي وقت كان فيه للصليبيون أنفسهم يدركون تماماً حقيقة مركزهم وتدخل وجودهم . فلا عجب أن ينظروا بعين الرضا والارتياح إلى هذا الصراع الدائر بين المسلمين من سنيين وشيعة وأن يمسوا على تأججه ، ولا عجب أيضاً أن يزداد العداء بين سنان وصلاح وأن تتكرر محاولات شيخ الجهل في الشام لاضيق صلاح الدين . وأخيراً لا عجب أن تتصل السفارات بين الاسمايلية وبين افرنج الشام لتكوين جبهة واحدة لاتينية آسيوية لمواجهة هذا الخطر المشترك الذي يهددهما . وفي ضوء هذه الحقائق يمكن تفسير مختلف المواقف التي وقفها كل من سنان وصلاح الدين والافرنج في الشام حيال الآخر .

(١) ابو شامة : الروستين : قلاع ابن علي من ٢٥٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٩٣ .



زهيم الاسماعيلية في بلاد الشام . أعلم يا بنات أنك رأيت كنت قد أغتقت أبواب
مدينتك في وجهي وأقتت عليهم الحراس فأنت لا تقدر أن تنجو من صلاح
الدين، والآآن فاني أنذرك بأن تجيء إلى خاضعاً أنت وجميع الزعماء والقوادبة
وتساحون إلى مفااتيح الحصون والقلاع والمدن صاغرين وإلا حطمتكم
بالمجانيق ولا أبقي عليكم ولا أفر وقد أعذر من أنذر والسلام ، (١) . ولما
قرأ سنان الخطاب سخر منه وأرسل مع الوفد خطلاً إلى صلاح الدين ردأ على
رسالته بضمين عبارات السخرية وتهديداً بالدمار إذا ما حاول محاربه . وقد
توالى بعد ذلك المفاوضات والتهديدات بين الرجلين فأرسل له سنان
يقول له :

بنا نلت هذا لللك حتى تأملت ... بيوتك فيها واشمخر عودها
فأصبحت ترمينا بببل بنا أستوى ... مقاربا منا وفينا خديدها (٢)
وشعر سنان أن الرسائل لن تجدى ، ففكر في أن يذهب إلى السلطان
لوزيد من ربه . فأنتظر حتى جنح الظلام ، وغلب النوم على النيام فذل من
الجليل وتمكن من الدخول إلى معسكره وخيمته دون ان يراه احد . وكان

(١) مصطفي غالب : اسلام الاسماعيلية من ٣٠٨ ، عارف تامر : سنان وصلاح الدين

من ٧٠ - ٧١ .

(٢) عماد كرو على : خطط الشام ج ٢ من ٥٣

تأملت . مناهها عظمت : أما اشمخر فالقصد بها ارتفع وطول النظر القاء وسالميط
ج ٢ من ٦٤ و ج ٣ من ٤٢٧ . يقصد - فان من هذين البيتين ان وضع لصلاح الدين بأن
القوة والمركز الذي وصل اليهما انما كان بفضل الاسماعيليين . وعلى ذلك يجب ألا يقرب
عائفاً أمامهم .



زهيم الاسماعيلية في بلاد الشام . أعلم يا بنات أنك رأيت كنت قد أغتقت أبواب
مدينتك في وجهي وأقتت عليهم الحراس فأنت لا تقدر أن تنجو من صلاح
الدين، والآآن فاني أنذرك بأن تجيء إلى خاضعاً أنت وجميع الزعماء والقوادبة
وتساحون إلى مفااتيح الحصون والقلاع والمدن صاغرين وإلا حطمتكم
بالمجانيق ولا أبقي عليكم ولا أفر وقد أعذر من أنذر والسلام (١) . ولما
قرأ سنان الخطاب سخر منه وأرسل مع الوفد خطلاً إلى صلاح الدين ردأ على
رسالته بضمين عبارات السخرية وتهديداً بالدمار إذا ما حاول محاربه . وقد
توالى بعد ذلك المفاوضات والتهديدات بين الرجلين فأرسل له سنان
يقول له :

بنا نلت هذا لللك حتى تأملت ... بيوتك فيها واشمخر عودها
فأصبحت ترمينا بببل بنا أستوى ... مقاربها منا وفينا خديدها (٢)
وشعر سنان أن الرسائل لن تجسدى ، ففكر في أن يذهب إلى السلطان
لوزيد من ربه . فأنتظر حتى جنح الظلام ، وغلب النوم على النيام فذل من
الجليل وتمكن من الدخول إلى معسكره وخيمته دون ان يراه احد . وكان

(١) مطفي غالب : اسلام الاسماعيلية من ٣٠٨ ، عارف تامر : سنان وصلاح الدين

من ٧٠ - ٧١ .

(٢) عماد كرو على : خططا الشام ج ٢ من ٥٣

تأملت . مناهها عظمت : أما اشمخر فالقصد بها ارتفع وطول النظر القاء وسالميط
ج ٢ من ٦٤ و ج ٣ من ٤٢٧ . يقصد - فان من هذين البيتين ان وضع لصلاح الدين بأن
القوة والمركز الذي وصل اليهما انما كان بفضل الاسماعيليين . وعلى ذلك يجب ألا يقرب
عائفاً أمامهم .



السلطان حينذاك مستغرماً في نومه ، فبدل سنان مصايح الثور التي عند رأسه
ورجله كل من-ها مكان الآخر ، كما وضع بالقرب منه كمكاً ساخناً وهو من
النوع الذي لا ينجزه غير الحشيشية وارفق به خنجرأ مسموماً ، ثم وضع فوق
الكمك خطاباً متفضلاً أياًناً من الشعر يقول فيه ١ :

انا منعناك نوباً للحياة فان ... كنت الشكور والافسوف تخلعه
قد قام قف إلى قاب يزهرج ... كضمدع تحت صخرام بقلعة
ما يستعنى تطب صخر همد ... يرسل الى اسد للغايات يفرغه (١)

ولما استيقظ السلطان من نومه ووجد التغيرات التي حدثت في خيمته
صاح صيحة ازيجت الجميع . وتجمع حوله امرأوه واخوهم بمحدث ، وقد
أكد حراسه بأنهم لم يروا انسا ولم يسمعوا صوتاً طوال حراستهم للمنطقة
واذذاك خرج السلطان مسرعا فرأى آثارا اقسدام على الجير الذي كان قد
نشره حول الخيمة كعقيد يعرف بها ان كاف هناك شخص قد دخل الى خيمته
ام لا . وتأكد السلطان من ان سنان لو أراد قتله لفضل ، ولذا قرر مصالحة .
وكان من شروط الصلح اشتراك الفداوية في المارك الصليبية للقادمة مع تمهد
السلطان بعدم العرض لهم (٢) . واطاف الصلح الخليل رأياً آخر في -اب

(١) أراد سنان أن يوضح للسلطان بأنه لو كان يريد قتله لفضل . وطالب منه
تقديم فروض للتكر لعدم الناس به وأراد أيضاً أن يوضح له بأنه -ها فعل فهو في
نظره ليس الا تلباً ضعيفاً يحاول تهديد أسد عظيم .

(٢) أبو فراس : اصل من مناب القمظ الشريف ص ١٦٥ - ١٦٢ ، ص ١٠٠ ، ص ١٥٩
غالب : اعلام الامامية ص ٢٠٢ راجع كذلك :

Runciman, op. cit. ١ . p . 410., Lane, op. cit., p. 159,
Campbell, The Crusades, p. 448, Tiesse, op. cit., p. 147.

تجعل صلاح الدين بالصلاح مع سنان ، إذ ذكر أن سنان قد سيم في أحد الأيام وسولا إلى صلاح الدين ، وأمره عدم تأدية رسالته إليه إلا خلوته فلما وصل إلى مقر السلطان تم تفتيشه . ولما لم يجد معه ما يخافه أخلى له المجلس الا تقرأ يديرا فبأمر من أداء الرسالة حتى يخرج الموجودون كلهم . وأمر صلاح الدين بخروج الجميع ما عدا الملوكين صغيرين ورفض اخراجها لانها مثل اولاده . وحينذاك لفت الرسول اليها وقال « إذا امرتكاهن مخدومى بقول هذا السلطان هل تغفلانه ؟ » قالا نعم وجذبا سيفهما فبهت السلطان وطاب صلح سنان وخروج الملوكان والرسول (١) .

ويحتمل أن تكون هذه القصة قد حدثت بالفعل ، لانا إذا ربطنا بين كل الحوادث التي كن معسكر صلاح الدين مسرحا لها ، وتلك التي سبق الإشارة اليها ، وبين هذه القصة يمكن أن نستنتج منها احتمال وجود عنصر الخيانة الذي مكن القداوية من التسلل ، داخل معسكر صلاح الدين عندما حاولوا اغتياله أثناء حصار حلب وعزاز ، وهو الذي مهد أيضا لدخول سنان إلى خيمة السلطان أثناء تومه رغم شدة الحراسة المفروضة حول خيمته . وبهذا فالمملوكون المشار اليها هما عنصر الخيانة المقصودان . لانه ليس من المعقول ان يصل سنان إلى داخل خيمة السلطان دون أن يكون هناك من مهد له الطريق . ولكن الشيء الذي لا يلبه العقل في هذه القصة هو ما ذكره المؤرخ من ان السلطان ترك هذان المملوكان يخرجانه مع الرسول بسلام دون المساس بها انقماما منها لعدم صيانة الثقة التي منحتها للسلطان لهما بالشكل المذكور . وأما لعدم اغتيال سنان للسلطان عندما دخل خيمته فمن المحتمل أن يكون شيخ الجبل قد اراد ان يقتل السلطان تماما بأنه لا جدوى من مهادته وانه من الافضل توليع الصلح بين الطرفين .

(١) العهد الجليل ٤ عذرات الذهب ج ٤ ص ٢٩٥ .



ولا شك ان الضربات تقوية التي أخذ صلاح الدين يوجهها إلى اسماعيلية الشام في قلب مهاقلهم كانت جزءا أساسيا من خطته الرامية إلى توحيد الشرق الاسلامي استه. دادا لتوجيه ضربه المؤثرة إلى الانبياء في الشام ، وكانت في نفس الوقت نذيرا لكل من الافرنج والاسماعيلية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى استثمر كل من الاسماعيلية والفرننج بالخوف من صلاح الدين ، وكان هذا مما ادى إلى ازياء التقارب بينهما . ولكن تطور الاحداث بعد ذلك سوف يؤدي إلى تغيير المواقف والسياسات وفقا لما تمليه مصلحة كل طرف من الأطراف حيال الآخر .

ومها يكن من شمره ، ومها كانت الدوافع التي جعلت للسلطان يترك حصار مصياف ويسعى إلى التمام مع سنان ، ومها قيل في هذا الشأن من قصص وروايات يجب تداولها بشيء كبير من الحظيرة والحذر ، فلقد حافظ كل من صلاح الدين وشيخ الجبل على وعدهما إذ لم نسمع عن أي اعمال أخرى وقعت ضد صلاح الدين من قبل الحشيشية منذ تركه مصياف ، كما لم يقم السلطان بأي اغارات مضادة للاسماعيلية (١) . وما يدل على استمرار صداقتها تلك المعاهدة التي وقعها صلاح الدين مع الملك رديشارد قلب الأسد سنة ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ عقب هزيمة الصليبيين في الحرب الصليبية الثالثة ، والتي اشترط صلاح الدين فيها دخول اراضي الاسماعيلية ضمن المعاهدة ، بمعنى عدم تعرض الصليبيين لهم (٢) . والواضح ان الهدف الاسمي من ذلك هو محاولة صلاح الدين تكثيل الجبهة الاسلامية من سنة وشيعة ضد الصليبيين .

(١) Guyard, op. cit., p. 368, Setton, op. cit., t. I, p. 128.

(٢) Defrémery, op. cit., p. -9.

وهكذا استطاعت الحبيشية أن تنجح في تنفيذ سياستها تجاه القوى العادية لها في الشام في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) وان وصل بها إلى الغرض المنشود الذي يعنى ربطها في المنطقة . كما انها ظلت مصدرا خطيرا للأفحال السياسي والاجتماعي في عصر الحروب الصليبية الذي ماثت في كنفه وترعرعت بين احضانها وسوف تكشف المصول التالية عن ذلك .



النصيب الرابع

موقف الحشيشية من القوى الصليبية في الشام

الخطوط العريضة لسياسة الصليبيين حباله فداوية الشام -
الحشيشية يفتالون زعماء الصليبيين : مقل ريموند الثاني صاحب
طرابلس - مقل لوزارد دي مونتفرات صاحب صور - مقل ريموند
بن بوهيموند الرابع صاحب انطاكية - مقل فيليب دي مونتفرات
صاحب صرر - محاولة إغتيال الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا - تحالف
الاسماعيلية مع الصليبيين لمواجهة نور الدين محمود - سفارة سنان إلى
الملك عمودي - إغتيال فرسان العهد للرسول الاسماعيليين وأثاره مناقشة
موضوع تعلق شيخ الجبل بالدبابة للسيحية - زيارة هنري أوف شامبانيا
لقلاع الدهرة ودلالها - أوجه الشبه بين كل من الحلييات الصليبية
الاطالاية والجماعات الرهبانية الصليبية من ناحية وبين اسماعيلية الشام
من ناحية أخرى .



أوضحنا في الفصل السابق المخاطر العريضة للسياسة التي أوجدها إسماعيلية الشام تجاه المسلمين في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس من الهجري) والوسائل التي استعملوها بها والطرق التي لجأوا إليها لتنفيذ هذه السياسة. ويحسن أن نلقي نظرة مركزة على الجانب الآخر من الموضوع، ونعني به موقف الحشيشية من الصليبيين حتى تكتمل الصورة.

أن الدارس لتاريخ العلاقات بين الصليبيين وإسماعيلية الشام في الفترة موضوع البحث يجد أن كلا منها كان يعدل على استفلال الآخر لمصلحته الشخصية رغم ما كان يجمع بينهما من هدف واحد مشترك هو العمل على إزالة القوى الإسلامية السنية من الأيدان حتى يسهل عليهما تحقيق مصالحهما ومطامعهما. فإذا نظرنا إلى الصليبيين نجد أنهم كانوا يهدفون إلى توسيع رقعة مملكتهم الصليبية وتثبيت دعائمها في منطقة الشرق الأدنى. وكانوا يعرفون جيداً مدى الضعف الذي وصل إليه العالم الإسلامي وقعدا ذلك بأنقسامه بين شيعة وسنة فضلاً عن التفكك السياسي، وادركوا أيضاً أن الطائفة الإسماعيلية يتكون خيم عون لهم ضد أعدائهم المسلمين الذين بدأوا يستشرون الخطر الصليبي الداهم وأخذوا يفتقون من سباتهم ويعملون على توحيد جبهتهم لدرء هذا الخطر ودفعه عن ديارهم وإذا وجدوا أن أسلم للطرق لتصفيق آرائهم في هذه الفترة بالذات هو العمل بيدا واحدة مع الحشيشية، لأن ذلك سيكون بمثابة الورقة الراجعة في أيديهم يستخدمونها إذا دعت الضرورة إلى ذلك، تحقيقاً لأهدافهم في القضاء على خصومهم المسلمين السنيين الذين كانوا يهددونهم من حين لآخر ويعملون على إجلالهم عن الأراضي المقدسة. ولعلهم أيضاً كانوا يعملون على زيادة الإيقاع بين المسلمين من سنيين وشيعة بما يعود عليهم وحدم بالنفع والله تبارك وتعالى هذا فقد سمي الملك بولدوين الثاني (١١٨٠ -



١٣١٠م/٥١٣ - ٥٢٦ هـ) ملك بيت المقدس إلى عمالة طائفة الاسماعيلية بالشام وتمكينها من إشاعة الفوضى في المجتمع الاسلامي بالشام وقصل كل من يمكن قتله من اعلام المجاهدين^(١). وكانت زيادة هنري صاحب شامانيا وملك بيت المقدس لمعاقل الاسماعيلية في الشام في أواخر للقرن الثاني عشر للمسلمين (أواخر القرن السادس الهجري) ، تدعيما لهذه السياسة واما ملا ساعد على تقوية أواصر الصداقة بين الطرفين^(٢) . ولم يكن تقرب الصليبيين من اسمايلية الشام راجعا إلى ضمان الوقوف معا ضد أعدائهم الشيعة فحسب ، بل كانوا أيضا يخشون خناجرم وسياسة الارهاب والتفك التي يتبونها^(٣) . ولذا ظلوا يعملون لهم حسابا كبيرا طوال فترة وجودهم في الشام . وخير دليل على ذلك مبادرة الملك هموري الأول ملك بيت المقدس (١١٦٢ - ١١٧٣ م / ٥٥٨ هـ ٥١٩ هـ) بالاعذار لشيخ الجبل الاسماعيلي راشد الدين سنان عندما تعرض رسله لهجمات الفرسان الداوية الذين أجهزوا عليهم . وتوصل خوف الملك الصليبي من إنقراض شيخ الجبل ، وحرصه على مستقبل الصلوات بينهما هما الاذان جعل الملك يسرع بتقديم الاعتذار اليه حتى لا تسوء العلاقات بينهما^(٤) .

وقدم سارت سياسة الصليبيين على هذا المنهج خلال القرن الثالث عشر الميلادي

(١) سعيد ماثور : الحركة الصليبية - ج ١ ص ١٧٨ ، راجع أيضا :

Setton; op. cit., t. I, pp. 110 - 1٤0 .

(٢) ستعرض لهذه الزيارة في شيء من التفصيل في الصفحات التالية .

(٣) الاصطفاي ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٦٣ .

(٤) ستتناول هذه المادة في شيء من التفصيل والتحليل فيما بعد .



(القرن السابع الهجري) إلى أن تم القضاء على معادل الاسماعيلية في الشام على يد الظاهر بيبرس ، في وقت كانت فيه معادل الصليبيين هي الأخرى تهاوى وتنفذ الضربة الأخيرة . إذ أرسل الإمبراطور الألماني فردريك الثاني في عام ١٢٢٦ - ١٢٢٧ م / ٦٢٣ - ٦٢٤ هـ إلى ماجد الدين نبيخ لجلب بالشام وقدذاك بعثة محملة بالهدايا الثمينة فضلا عن ثمانين ألف دينار ، وذلك تحديما لملاقات الورد والصدقة القائمة بينهما . وطلبا للأمان منه (١) . وترتب على هذا أن رفض الحشيشية دفع الجزية المفروضة عليهم لجماعة الاسبتارية ، إذ قالوا لهم متسائلين « ملككم الإمبراطور قد أعطانا فهل ستأخذون هذا ٢١ » ونتيجة لهذا الرفض شن الفرسان الاسبتارية على الاسماعيلية هجوما عنيفا . وسلبوا منهم الشيء الكثير وأرغموهم على الاستمرار في دفع الجزية التي كانوا يدفعونها لهم (٢) . ولقد سعى الصليبيون في ضوء هذه الساسة إلى التفاوض مع راشد الدين سنان من أجل الوقوف معاضدا لصالح الدين ولكن للشيخ الاسماعيلى رفض هذا العرض لما كان يربطه بصالح الدين من أواصر الصداقة والصنصرية واللغة والدم فضلا عن وحدة الدين (٣) .

ورغم تشككتنا في صحة هذه الرواية، لأن العلاقة بين صلاح الدين وسنان لم تكن دائما على مايرام ، وأن التفاهم بينهما لم يحدث إلا مؤخرا ، فضلا عن عدم تحديد تاريخ معين لهذا الاتصال الصليبي الاسماعيلى رغم تشككتنا في

Berchem, op. cit., p. 501

(١)

Setton, op. cit., t. I, p. 128.

(٢)

(٣) مصطفى غالب . أعلام الاسماعيلية ص ٣٠٢ ، عارف تامر : سنان وصلح

الدين ص ٨٢ .



الرواية المذكورة ، فإنا نرى أن هذه الواقعة لو كانت قد حدثت لمن الواضح إنها تمت بعد معاهدة الصلح التي عقدت بين صلاح الدين وشيخ الجبل سنة ١١٧٦م / ٥٧٢ هـ وليس قبلها ذلك أن العداة كان شديدا والصراع سافراً بين هذين القطبين السنّي والاسماعيلي قبل التحالف المذكور الأمر الذي لم يكن يسمح بوجود نوع من التفاهم بينهم . -١- وكان ستان نفسه يتربق الفرصة المواتية للقضاء على خصمه القوي صلاح الدين ، وعلى هذا ما كان يتردد إطلاقاً في التفاهم مع الفرعجة ضده بناء على طلبهم لو كان هذا قد تم قبيل تحالفه مع السلطان .

ولاشك أن ستان لو كان قد استجاب لنداء الصليبيين لربما كان قد تغير وجه التاريخ أو على الأقل لتغير مسار الأحداث في رقعة الشرق الأدنى خلال الفترة المتبقية من العصر الوسيط ، ويرجع ذلك إلى كثرة المؤامرات التي كان سيواجهها السلطان الأيوبي من جانب الفدائية مقدمهم بقصد اغتياله -وهو إذا كان قد سلم في المرتين السابقتين فلن يكون هذا مضموننا بالنسبة للسرّات التالية .

وعلى أية حال ، رغم سيامة للتقرب والصدقة التي اتجهها الصليبيون حيال المنيشية ، نجدهم في كثير من الأحيان يظفرون عداهم لهم ويهايونهم إذا وجدوا أن مصلحتهم تختم عليهم ذلك مثال ذلك أن للصليبيين بقيادة الملك بولدين ثالث ملك بيت المقدس (١١٤١ - ١١٦٣م / ٥٣٩ - ٥٥٨ هـ) انتهزوا فرصة مرض نور الدين محمود في رمضان ٥٥٢هـ / نوفمبر ١١٤٧م وطعموا في الاستيلاء على شيزر فهاجوها وقتلوا وسلبوا من فيها ، وذلك رغم علمهم أن الاسماعيليتة يتكثرون من بعض نواحيها فكان رد الفعل الاسماعيلي سريعا ، إذ قام رجالهم بمعد العداوات الصليبي



وتمكنوا من إخراج الفرنج من المدينة (١) . ونجد مثالا ثانيا في موقف
 يوهيموند صاحب انطاكية من الحشيشية، إذ شن عليهم هجوما شديدا في
 قلعة القدموس سنة ١١٧٩ م / ٥٧٤ هـ والتي كانت في قبضتهم حينذاك
 واستولى عليها، إلا أنهم تمكنوا فيما بعد من استعادتها (٢).

وأمام هذه السياسة الصليبية ذات الحدين والتي تآرجح بين التفاوض
 والمعاداة وبين طلب التحالف والصدقة وشن الهجوم والقتال، أمام هذه
 السياسة كانت حشيشية الشام يكيّفون مواقفهم حسبما تمليه عليهم
 مصالحهم الخاصة. ولذا لم توجه خناجرهم صوب صدور المسلمين السنيين
 فحسب بل وجهت أيضا إلى صدور بعض القادة والملوك الصليبيين. ولعل
 من أبر الذين راوحوا ضحية خناجر هذه الجماعة الأمير ريموند الثاني Raymond II
 صاحب طرابلس والمركيز كونراد دي منتفرا Gonrad de Monifrat
 صاحب صور وملك بيت المقدس. ورغم أن هاتين الخادمتين تركا أثرا بالغا
 في نفوس الصليبيين وسياتهم في الشرق الأدنى، إلا أن المسلمين قد استقبلوا
 أمر مقتلها بكل إرتياح وسرور لأكثر من سبب منها تخلفهم من هذين قوتين
 فضلا عن إتاحة الفرصة لهم لزيادة الاستعدادات والتحصينات خلال فترة
 الاضطراب الذي حدث في معسكر الصليبيين أثر إغتيال كل منهما.

وكان الضحية الأولى وهو ريموند الثاني قد تولى حكم طرابلس سنة ١١٣٧ م /
 ٥٥٠ هـ ولم يكن قد تجاوز من العمر إثنين وعشرين عاما، وظل متوليا أمرها

(١) بن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق من ٢٣٤٩ عمده راتب الطباخ: أه. لام

الذلا. ج ٢ من ٣٥٠

Stevenson, op. cit., p. 128.

(٢):



حتى مقتله عام ١٩٥٢م/٨٥٤٧ هـ ورغم أن الجناة كانوا معروفين لدى المؤرخين إلا أنهم لم يتوصلوا إلى الدافع وراء اقترامهم هذه الجريمة (١). وقد قيسل في شأن مقتل ريموند الثاني أن النزاع قد اشعل بينه وبين زوجته — ووديرنا Hodirna ابنة بولدوين الثاني في أواخر أيامه من سنة ١١٥٢م/٨٥١٧ هـ مما أدى إلى توجه شقيقها الملك بولدوين الثالث ملك بيت المقدس ووالده ميليسند Millmond إلى طرابلس لفض هذا النزاع . ولكنه اخفض في التوفيق بين الزوجين المعاصمين ، فاضطرت ووديرنا Hodirna إلى الرحيل مع اخيها ، فيما آثر بلدوين البقاء بعض الوقت في طرابلس وعندما أشيع أن نور الدين يتأهب لمهاجمتها . وفي أحد الأيام أثناء عوة الأمير ريموند الثاني من المدخل الحنوبى لعاصمته ، وعند دخوله بوابة الولاية هجم عليه جماعة من القداوية وطعنوه بخناجرهم فأصابوا منه مقتلا ، وسقط على الأرض مفارقا للحياة (٢) ولقد حاول أجدد الفرسان المرافقين له واسمه رادولفوس دى مـ رولو Radulphus de Merlo الدفاع عنه ولكنه لقي مصرعه هو الآخر. وحينذاك تعالت الأصوات والصياح ، فاندفع رجال الحامية بسلاحهم وندفقوا في الشوارع يذبحون كل من يشاهدونه من المسلمين انظاما لبيدهم . وكان من ضمنهم جماعة القداوية الذين اغتالوا الأمير . هذا بينما يشير المؤرخ رانسبان أن الجناة يمكنوا من

(١) Runciman, op. cit., t. II, p. 33.

(٢) Guillaume de Tyr, op. cit., t. I, p. 791 . Cf. also :

Rohricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem p. 270;

Iroga, Histoire des Croisades, p. 101.

. راجع أيضا السيد عبد تمريز سالم طرابلس الشام ص ١٠٦ .



الفرار (١) . وكان اغتيال ريموند الثاني يمثل الضحية الأولى للحمشية في الشام ، كما كان مقتله صدمة كبرى للملك بلدوين الثالث ، إذ حزن عليه حزناً شديداً وتشنت عقلة وأصبح غير قادر على السيطرة على دموعه حسبما يقول المؤرخ اللاتيني وليم للصوري (١) . ومقارنة هذه الروايات المتضاربة بعضها ، وبظرة دقيقة فاجعة إلى نتائج سير الأحداث يمكن القول أن مقتله ربما كان بتدبير من زوجته الفاضلة منه الحانقة عابه وبالتواطؤ مع شقيقها بعد مثل محاولات الإصلاح بينها ، خاصة وأن مقتله حدث عقب مفادرتها طرابلس بوقت قصير . وجدبر بالذكر أنه على الرغم من إتفاق المصادر على أن واقعة الاغتيال قد حدثت سنة ١١٥٢ م / ٥١٧ هـ ، فقد ذكرها ألكاتب روجس أوف وندوفر ضمن حوادث سنة ١١٥٠ م / ٥١٥ هـ دون أن يذكر تعليلاً لذلك (٢) . وإننا نستعد هذا الرأي ونؤيد ما اجمع عليه المؤرخون من أن اغتياله قد تم سنة ١١٥٧ م / ٥١٧ هـ ، إذ من الثابت أن الخلاف الذي وقع بينه وبين زوجته كان في أواخر السنة المذكورة .

ومها يمكن من أمر ، فإن وفاة ريموند الثاني كان صدمة كبرى للصليبيين

Runciman, op cit., t I, p. 120. (١)

Guillaume de Tyr, op cit. Loc cit. Cf. also : (٢)

Setton, op cit., t. I, p. 120 .

Rog of Wendover, Flowers of History, t. II, p. 503 (٣)



بعامه ، اذ قام عامة الفرنج بتورة شديدة مطالبين لانتقام من الفتنه . كما اهتم
 استعدوا لشن حرب شعواء على الحشيشية . فضلا عن أن الفرسان القداوية
 ابدوا استعدادهم للانتقام منهم ، وكان رد الفعل انهم شنوا هجوما عتيفا على
 اراضي الاسماعيليه وسطوا على ممتلكاتهم واجبروهم على عقد معاهدة معهم
 يلتزمون بموجبها بدفع جزية سنوية تشتمل على مبلغ كبير من المال قدره ثلاثة
 آلاف بيزنت Bezant (١) ، فضلا عن مقدار من القمح والشعير (٢) . وكان
 هذا الهجوم الكبير على الاسماعيليه بمثابة الاتصال للعدي الأورل والسافر الذي
 وقع بين الطرفين الصليبي والاسماعيلي .

وغير خاف أن الفرض التي حدثت في صفوف الصليبيين اثر اغتيال هذا
 القائد الصليبي قد اتاحت الفرصة للمسلمين لتجميع قواهم والاستعداد بصورة
 أكثر فادليه لبدء قتالهم مع الصليبيين ، كما أنها رفعت من روحهم المعنوية .
 هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى كان اغتيال ريموند بمثابة ورقة رابحة في أيدي
 المسلمين يستغلونها لضغط على خصومهم . فقد ضمنوا عدم تأييدهم الحشيشية

(١) البيزنط في الأصل هومة ذهبية بيزنطية نسبة الى بيزنطة خاصة الامبراطورية
 الرومانية الشرقية وتعرف هذه العملة باسم « سول » أو « المدي » وكانت تتداول في أوروبا
 في العصور الوسطى من القرن السادس حتى القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الأول
 حتى الخامس الهجري) تقريبا . وليس من السهل تقدير القيمة الحقيقية للبيزنط نظرا
 لاختلاف وزنه باختلاف الزمان والمكان . ومع هذا يمكن القول أن متوسط نيته التداولة
 وتذاك كان يبلغ حوالي نصف جنيه انجليزي انظر :

Roy, les Colonies Françaises de Syrie aux XIII^{me} Siècles, p. 452
 Defrémery, op. cit., p. 21. (٢)



للمسلمين على الامل في هذه الفترة التي كانوا يهتمون فيها لتجميع قواهم ولم تشملهم ، وذلك بسبب ماحدث بينهما من نفوذ وعداء . ولكن رغم هذا الكسب الكبير بالنسبة للسنيين ، الا أن المصادر سواء كانت عربية أم اجنبية، قد أغفلت ذكر كل ما هو محتمل حدوثه من قبلهم حيال هذا التوتر والنفور بين الفريقين الصليبي والاسماعيلي الذي نشب وقتذاك

على أية حال ، بعد أربعين عاما من اغتيال الامير ريموند الثاني وجه اسماعيلية الشام ضربة قاصمة أخرى إلى المنكحة الصليبية في الأراضي المقدسة وذلك بانقضه اضمهم على المركز كونراد دي مونفرات صاحب صبور وملك بيت المقدس والاجهاز عليه سنة ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ . ولقد اتخذ نفر من المؤرخين المحدثين العداة اتفاقاً بين المركز كونراد وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا سببا في توجيه أصابع الاتهام إلى الملك الانجليزي ، واعتباره المحرض على قتله . ولكن نعرف على حقيقة هذا الرأي لا بد أن نرجع قليلا إلى الوراء لقد كان الملك ريتشارد واحدا من بين كبار ملوك الغرب الاوروبي الذين قادوا الحملة الصليبية الثالثة من أجل غزو مدينة بيت المقدس بعد سقوطها في قبضة صلاح الدين عقب معركة حطين سنة ٥٨٣ / ١١٨٧ م . ولكن يبدو أن الخلل الذي دب بين القواد والحكام الصليبيين كان عاملا هاما في نشأت القوي الصليبية بل وفي فشل الحملة الصليبية نفسها . وقد ظهر هذا الخلل بشكل واضح بين ريتشارد وكونراد دي مونفرات صاحب صور ، وصاحب الحق الشرعي في تنصيبه ملكا على بيت المقدس (١) ، وكان هذا العداة والخلل ناجما عن حقد كل منها على الآخر ، فضلا عن لوم كونراد له على تقاعسه،

(١) سيد عاشور : الحركة الصليبية - ٢ ص ٨٨١ .



المسير لا يفاذ عقابان عندما خربها صلاح الدين ، إذ أرسل اليه في هذا الشأن خطابا لاذعا مبهتا لكرامته (١) . يضاف إلى ذلك أن كونراد أغرى عساكر الملك رنارد بالخلع عنه والدخول في زمرته ، كما كان يفشى أسرار الصليبيين لمسكر صلاح الدين (٢) . كل هذا كان كفيلا بأن يولد العداء بينهما . ورغم هذا فقد وافق رنارد على تتويج كونراد ملكا على بيت المقدس ولكنه لم يهنا بهذا الملك لأن اجراءات التتويج قد تأخرت وكان مقتله سابقا عليها (٣) .

على أية حال ، أرسل شيخ الجبل راشد الدين سنان اثنين من فدائيه الى صور بقصد اغتيال كونراد ، وكما متكررين في زى الرهبان وادعيا المسيحية وأظهرا الترهب والعبء حتى اكتسبا احترام رجال الدين ونفقتهم (٤) . وتمكن أحدهما من الدخول في خدمة باليان صاحب ايبيلين Ballian d' Ibelin والآخر في خدمة رينو Rinnud صاحب صيدا وذلك لغرب وجودهما من المريكز ، ومملا على اكتساب نفعاها بالإضافة إلى نفة كونراد نفسه وظلا في خدمتها مدة ستة أشهر يترقبان خلالها الفرصة المناسبة لتوثوب على غريمهما وقتله (٥) . وفي يوم ٢٨ أبريل سنة ١١٩٢م الذي يوافق ٩ ربيع أول سنة

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٢٤ .

(٢) Campbell, The G.usades, p. 323.

(٣) Calthron, The Crusades, p. 57; King, The Knights

Hospitallars in the Holy Land, p. 15 .

(٤) Michaut, op. cit., t. III, p. 426

(٥) Del'énercy, op. cit., p. 7. Browne, op. cit., t. II,

p. ٥), Rohricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p. 6.8.



٥٨٨ هـ ذهبت إزيلا زوجة كوزراد لتأخذ حماما، ومكث كوزراد في إنتظارها لتناول العشاء. وما ولكنه لم يأنم استأخر بعض الوقت، ولذا أنطى صهوة جواده، واتجه إلى فيليب أسقف بوفيه Beauvais لتناول العشاء معه. وبعد إنهاء العشاء استأذن كوزراد في الخروج، وأثناء مروره في أحد الشوارع الضيقة أعزس طريقه شابان ملهتان وقدم له أحدهما خطابا ليد له لاحتلامه فوثب عليه الآخر وأنزله من فوق جواده وطنفه في قلبه بمنجبره المسموم. وقد قتل أحد هذان الفداويان، أما الآخر فقد تمكن من الفرار والدخول في إحدى الكنائس المجاورة في المنطقة. ولما التف أتباع كوزراد حوله طلب منهم حمله إلى هذه الكنيسة. وهناك لاحظ الفداوى أنه مازال على قيد الحياة ويهكم فقفز عليه وطنفه طمعة عجلت بوفاته. وقد بضوا عليه في الحال وجروه من الكنيسة إلى الشوارع المجاورة لها وعذبه حتى أعترف بأن ملك إنجلترا هو الذى حرض شيخ الجنل على قتل كوزراد، وتم قتل الفداوى في الحال (١).

(١) العهد الاصحاحي: الفتح القسى و الفتح القدسى - تحقيق محمد صبيح ص ٥٨٩
ابن بهادر: فتوح الصر لوجه ٣١، ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك المجلد الرابع
القسم الأول ص ٦٤، تاج الدين شاهنشاه: منتخبان من كتاب التاريخ ص ٣٠٣.
القاضى الحنفى: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٣٤٠، ومن المراجع
الاجنبية انظر الآتى:

Eracles, Cf. R. H. C. - H. Occ., t. II, p. 9; Ambroise, The Crusade of Richard, p.335, Rapin, His'ory of England, p, 252 Cf. also Campell, op. cit., p. 3 2; De la ville le Roulx, les Hôpitaux en Terre Sainte p. 133.

ورغم أن المصادر والمراجع من عربية وغير عربية قد أجمت على أن اقتل
الركيز كان على أيدي التمدارية ، إلا أنها اختلفت حول شخص المرض على
إقرار هذه الجريمة . فيرى البعض أن بحمة الاعتزاز لم تم بأثير خارجي على
شيخ الجبل وإنما نفذت بمحض إرادته كنتيجة للعداء القديم المستحكم بين
الرجلين . ذلك أنه في أحد الأيام دعت الرياح إحدى المراكب التجارية التي
يملكها شيخ الجبل والتي كانت تحمل بضائع قيمة خاصة به عن مسارها
وأجبرتها على الرسو على الشاطئ للصوري ، فاستولى عليها كوزراد وسلب
كل ما يوجد بها من بضائع وكنوز وقتل رئيسها ورفض رد الحمولة إلى
الاسماعيلية ، بل لم يعرهم م وزعيمهم أي اهتمام (١) . ولما رجع هؤلاء التجار
إلى شيخ الجبل سنان وقصوا عليه ما حدث أمر بإيفاد رسله إلى الركيز كوزراد
يطالبونه بتسليم باقي رجاله الذين كانوا بالمركب وإعادة كل البضائع التي
استولى عليها مع دفع التعويض اللازم . ولكن الركيز لم يتم طلب الرسل ،
فعاد سنان وبعث رسولا آخر اسمه إدريس ولم يعره كوزراد أي اهتمام بل
كاد أن يلقى به في البحر ، مما اضطره العودة سريعاً إلى سيده أينما بسوء
المعاملة التي لقيها من الركيز . وعند ذلك قرر شيخ الجبل اغتياله إنقاماً لما
جدت منه (٢) . ويضيف السكاتب الإنجليزي هارولد لامب II. Lamb أنه
من بين الأسباب التي دفعت سنان في التفكير في التخلص من كوزراد هي
موتفترات أنه شعر بالمخاطة الذي يهدف إليه الحاكم الدسليبي من أجل امتلاك

Eracles, op. cit., p. 141, Roger of Wondover, op. cit., t. II, p. 142, Cf. Mümburg, *Histoire des Croisades*, t. II, p. 295, Davis, *A History of England*, t. II, p. 306.

Eracles, op. cit., pp. 182 - 183.

تكل من بيروت وطرابلس، لما بعرض حدود الحبشية وأعلامهم الخطر الشديد لقرجا من مينائي هذين البلدين (١).

أما المصادر العربية المعاصرة لفترة موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا من أمثال المهاد الاصفهاني وابن شداد وبدر الدين العيني فتري أن الملك رتشارد قلب الأسد هو الذي حرص راشد الدين سنان لإغتيال المريكز الفرنسي وذلك بسبب العداوة التي بينهما. واعتدوا في ذلك إلى الاتهام الذي وجهه الإمبراطور الألماني هنري للملك رشارد بتهمة مؤامرة لإغتياله (٢).

وأما ابن الأثير فقد اتفرد برأي في شأن هذه الجريمة دون باقي المؤرخين، إذ اتهم صلاح الدين الأيوبي بأنه هو الذي أرسل إلى سنان طالباً منه قتل كل من الملك رتشارد وكونراد دي مونتفات مقابل منحة عشرة آلاف دينار. ولما فكر سنان في هذه المصنفة انتهى به الأمر بإغتيال الأمير الفرنسي فقط لأنه وجد في وفاة الملك الإنجليزي ضرراً على الدولة الحبشية إذ سيخضع الجوارح لصلاح الدين بعد التخلص من هذين الزميين الصليبيين ويتفرغ لمناوئة الحبشية أنفسهم (٣).

ويدور أن ابن الأثير قد بعد عن الحقيقة في هذا الاتهام وليس ذلك راجعاً

Leimb, op. cit., p. 114.

(١)

(٢) مهاد الاصفهاني، المنقح القس من ٥٨٩، ابن شداد: النواذر السلطانية والحامنة ليوستية من ٢٠٢، العيني: عهد الجمان ج ١ لوحة ١١٢ انظر أيضا:

Ripla op. cit., p. 52.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج ١٢ من ٢٧.



لخالفته بقية المؤرخين المعاصرين له والمتأخرين عنه فحسب ، بسبل لأن ذلك يقتضى مع سبابة صلاح الدين واخلافة . لأنه لو كان من خلفه القدر والحياة لكان قد اصدفها في التخاص من أمراء الموصل والشام الذين كانوا حجر عثرة في طريق الوحدة الاسلامية التي كان يهدف اليها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لما كنا علمنا باطلاقة سراح أولئك الافرنج الذين كانوا يضعون في أسرهم من رقت لآخر وهم أشد الناس عدا له . هذا بالإضافة إلى ما اشارت اليه المرجع من أن صلاح الدين لم يسر لهذا الفعل لأن وجود العداة بسين كونراد والملك الإنجليزى كان يعمل على أضعاف الصليبيين وتفكك قواهم الامر الذى يسهل عليه توجيه ضربة قوية مؤثرة إلى الفرنجة ومعاقرهم في الأراضى المقدسة . وفي نفس الوقت كان صبيح القرصة السلطان باستغلال هذا العداة لصالح القضية الأتمة الإسلامية وقتها . أدوا وقد وقع ما وقع لقد توترت على إغتيال للمركز توحيد كلمة الصليبيين ، ولم يكن هذا في مصلحة صلاح الدين والمسلمين (١) .

تمة رأى آخر يعبر عن الأحداث من وجهة النظر الاسماعيلية ، وهو أنه لما نمى إلى علم ستان ن الملك الصليبي يخطط من أجل الهجوم على صلاح الدين في حملة كبيرة ، رأى أن هذا سيعمل على ارباك صفوف الفرنج فأرسل اثنين من فدائيه لإغتياله وإرسال رأسه إلى السلطان (٢) .

(١) - سيد طاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٦ انظر ايضا :

Solton, op cit., t. I, p. 126.

(٢) أبو إراس : فصل من مناقب الفظ الشريف ص ١٦٣ راجع كذلك :

Gayard, op cit., p. 371.



وفي ضوء مختلف الآراء المذكورة في شأن هذه الجريمة وفي ضوء التسلسل الطبيعي للأحداث وطبيعة العلاقة بين سنان وكونراد، يمكن أن تكون الأعمال الاستفزازية التي تعرض لها سنان من قبل كونراد هي التي جعلته يفكر في التخلص منه وإرسال فدائيه لاغتيا له. ولا يستبعد أيضا أن مما جعل بتنفيذ هذه العملية ما نرى إلى علمه باستعداد المركز للهجوم الشامل على السلطان صلاح الدين، إذ وجد أن واجبه عمل عليه الحناظ على صداقته للسلطان طبقا للمعاهدة المبرمة بينها وتتم ذلك. أما بشأن اتهام الملك ريتشارد بأنه الممرض على إغتيال كونراد، فإننا نستبعد هذا الرأي. ولعل ذلك يتضح عندما نطلع على فحوى الخطاب الموجه من شيخ الجبل بالشام إلى الدوق ليوبولد صاحب النمسا والذي حفظه لنا المؤرخ روجر أوف رندوفر (١). إذ مرمان مانوجه الملك ريتشارد إلى شيخ الجبل عقب معرفته بأتهام الإمبراطور هنري له. وطلب منه الكتابة إليه أو إلى صاحب النمسا ليثبت فيه براته من عملية اغتيال كونراد المنسوبة إليه. وبالقول استعجاب الشيخ الامايلى لرجاء الملك الانجليزى فأرسل الي صاحب النمسا ينفى التهمة عن ريتشارد حيث يقول في رسالته اليه « من شيخ الجبل الي ليوبولد دوق النمسا. بعد التحية، رغم أن كثيرا من الملوك والأمراء فيما وراء البحر قد اتهموا الملك ريتشارد قلب الأسد بقتل المركز، إلا أنني أقسم بالله وبالقانون أنه ليس هناك لوم يمكن توجيهه اليه في حادثة موت المركز، وأعلن قتله كان لسبب الآتي: أبحر أحد رجالنا في مركب متجها الي بلادنا، ولكن عاصفة عالية قادتة الي صور، وقبض عليه

(١) Matthew of Westmestre, Flowers of History, t. II, p.

b4, Roger of Wendover, op. cit., t II, p. 129, Cf. Conder, op. cit., p. 284.



المركيز وسجنه ثم قله ، واستولى على كل الأموال التي سلبها وتمويهاً من هذه الحادثة. وتلك الخسارة ، ولكنه أهان رسلنا وانهم رينو صاحب صيدا بقتل المبعوث الاسماعيلى . ومع ذلك استطعنا أن نقف على الحقيقة من أصدقاتنا ، وتتلخص في أن المركيز نفسه هو المسئول عما حدث . وقد بعثنا إليه مرة أخرى رسولا يدعى ادريس ، ولكن المركيز كاد أن يلقى به في البحر ، فعجل أصدقاؤنا بترجيله من صور قبل أن يجهيز عليه المركيز، وعندما عاد ذكر لنا ما حدث ، ومنذ تلك اللحظة كانت رغبتنا في موته . وبناء على ذلك أرسلنا اثنين من فداويتنا الى صور حيث اغتالوه علنا أمام أعين سكان المدينة . وما نحن قد ذكرنا الحقيقة و تؤكد لادخل للملك رتشارد في هذا الموضوع فإنه ظلم بدون سبب . ولتكن متأكداً بأننا لا نقوم باغتيا لى رجل بقصد مكافأة أو طمعا فى مبلغ من المال ، وإنما من أجل القصاص فحسب .

ويبدو ان ستان كتب هذا الخطاب فى الوقت الذى بحث فيه خطابا آخر الى جميع ملوك اوربا يختلف فى صيغته عن الخطاب سالف الذكر ، وذلك من اجل اثبات براءة الملك رتشارد فى قضية مقتل كونراد . وقد اثبت المؤرخ الفرنسى ميشو نص هذا الخطاب (١) ، وهو « من شيخ الجبل الى جميع الملوك والى الشعب المسبحى ... بعد الصحبة ... اننا لا نرغب فى اى سوء اليه (١) لبراهته وإننا لا نسمح بأن يحاسب البرىء عن ذنب الآخرين ويوضع موضع الشبهه والاتهام بسبب عمل فعلاء نحن ، واني لشاهد على ما

(٢) Michaud, op. cit., t III, pp 434 - 435.

(٣) المقصود بذلك الملك رتشارد نيب الأسد .

أقول يحذرني الأمل و... فماذا ننتظ لان قتل الزكيز لم يكن مكيدة مدبرة منه بل قتل بمحض ارادتنا وبواسطة اتباعنا ، لانه لم نساها علينا رغم تحذيره ، ولم يجعل على ترضيتنا رغم مخالفته بذلك . كما تحيتكم عنساً بأنه ليس من شيمتنا اغتيال أعدائنا أو أعداء أصدقائنا إلا بعد تحذيرهم ولقد نعى الى عننا بأنه قيل أن الملك قد استخدم فداويقتنا في محاولة لاغتيال الملك الفرنسي أيضاً . وهنا أوكد بأن هذا كذب وادترأ والله شاهد لنا على ذلك ، كما أن أمانتنا لانسمع بعمل أى شيء شرير ضد أى شخص لا يستحق ذلك ،

واصح اذن من هذين الخطابين براءة الملك رنشارد من دم الزكيز كونراد . كما يلاحظ وجود علاقة متينة بين شيخ الجبل والملك الانجليزى فى هذا الوقت بالذات مما دفعه الى أن يعان أمام عامة الناس والملوك والأمراء فى الغرب الأوروبى ، وفى جراءة مطلقة مسؤليته عن قتل هذا الأمير الفرنسى وذلك دون أى رهبة من انتقام الصليبيين .

ومما يمكن من شيء ، فقد كانت خسارة الصليبيين بالشام يفقد كونراد بعد مقتل ريموند الثانى خسارة فادحة لانه كان الرجل الذى يستطيع أن يردى حقوقهم ويدافع عن كيانهم (١) . ولقد تم تتويج هنرى صاحب شامانيا ملكا اسما على بيت المقدس خلفاً لكونراد وذلك بعد زواجه من ايزابيلا أرملة سلفه (٢) . والواقع انه لم يسدل الستار على سياحة الاغتيال التى كانت الحشيشية تنتهجها حيال الصليبيين بمقتل كونراد ، وإنما ظل الصليبيون يمانون

(١) سيد عاتور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٨٥ .

(٢) Miche , le Syrien, Cf. R. H. C - Dou. Arm., t. I. p-

403, Cf. Archer and Kingsford, The Crusades, p. 311-



منها طوال القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) فتلا أرسل شيخ الجبل في سورية بعض من فدائيه لاغتتيال الامير ريموند بن بوهيموند الراج صاحب انطاكية وطرابلس، وكان عمره حينذاك ثمانية عشر عاما، فتربصوا له ووثبوا عليه في كنيسة طورطوس سنة ١٢١٣م / ٦١٠ هـ وقتلوه (١) ورغم أن المصادر لم تنشر إلى السبب الذي من أجله عمد الحشيشيون إلى اغياله، إلا أنه يبدو أن لفرسان المعبد يد في التعريض على مقتله لما يكتبونه من عداوة لايه بوهيموند (٢). ولقد اهتز الصليبيون لملك الجرمة وقرروا الانتقام من الاسماعيليه فشنوا هجوما عنيفا على بلادهم سنة ١٢١٤م / ٥٦١١هـ، وحاصروا قلعه الخوابي، فاستغاث الاسماعيليه حينذاك بالظاهر «ماك حلب» الذي خرج في مساعره متوجها لفتح هذا الحصار، وأبذر الصليبيين بأنه لن يمكنهم من ضرب الاسماعيليه والاضرار بهم. وأرسل لهم جيشاً كبيراً فضلاً عن فرقة أخرى بعث بها لمضايقه الفرنجة من جهة اللاذقية الامر الذي أدى إلى قزيمهم، فأضطروا إلى فك الحصار عن المدينة والانسحاب والتصالح معهم (٣).

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ج ٥ ص ١٣٨ انظر ايضا :

Hethoum, Comt de Goriges, Cf. R. H. C. - Doc. Arm., t. I, p. 492 .

(٢) سيد خاتون : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٥٣ .

(٣) اس واصل : فوج الكروب ج ٣ ص ٢٣٤، القرزي : السلوك ج ١ ص ١٢٩

ومن المراجع الاجتبية انظر الآتي :

Defrémery, op. cit., p. 40, Satton, op. cit., t. I, p. 129,

Grousset, op. cit., t. III, p. 196.



ويبدو أن النزاع الذي كان قائماً بين الشيعة والسنة قد خفت حدته في هذا الوقت بالشكل الذي جعل الملك الظاهر السني المذهب يدفع بقواته ضد الصليبيين من أجل انقاذ الاسماعيليه . ولاشك أن الملك الظاهر عندما ساعد هذه الطائفة في محنتها إنما كان يستهدف إمكان استخدام خناجر الفداويه ضد أعدائه الصليبيين ، فضلاً عن السيطرة عليهم مما يسهل له مهمة توجيه ضربة قوية الى الفرنج بالشام من ناحية ، وأضداد اسماعيلية الشام توطئة للقضاء عليهم من ناحية أخرى

وإذا كان كل من ريموند الثاني وكونراد ردى منفرداً قد ذهب ضحية خناجر الفداوية كذلك لم ينج من خناجرم فيليب دى مونسورت صاحب صور . اذ تشكر اثنتان منهم في زى عماري القرب وانجسها الى صور وطالبا التعمباً فاستقبلهم فيليب وأدخل أحدهما في خدمته (١). وفي يوم الاحد الموافق الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة ٦٦٨ هـ / السابع عشر من أغسطس سنة ١٢٧٠ م بينما كان الكونت فيليب متواجداً في كنيسته تقدم أمامه أحد الفدائرية ، وفي اللحظة التي كان يسلم فيها نقوداً من أجل تقديم القرابين وثب عليه هذا الفداوي وضربه بخناجره المسموم ثم القى بنفسه على ابيه جان الذي كان يصلي في مكان قريب فاعدا قتله ، ولكنه نذبه لهذا استطاع الفرار ، فخرج الفداوي وراه للحاق به وفي هذه اللحظة استطاع فيليب بصعوبة بالغة الخروج من الكنيسة طالبا النجدة لانقاذ ابنه ، وقد نجحت محاولته ، إذ تم القبض على الفداوي وقتله . أما فيليب فقد فارق الحياة في حينه (٢). وحاول

Rohricht, op. cit., p. 128 .

(١)

Chronique de Terre Sainte, Les Gestes, Cf: R. H.

(٢)

C. - Doc. Arm., t. II, p. 778, Annales de Terre Sainte, Cf:

A.O. L, t. II, p. 454, Cf. also Grousset, op. cit., p. t. III 345.



الاسماعيلية ايضا قتل الملك ادرارد الاول ملك انجازه الذي وصل الي عكاسته
١٣٧١م/١١٦٩ هـ بقصد الاستيلاء على مصر والقسطنطينية لتأمن صليبيين في
الشام ولما شعر الحشيشية بمخطورة هذه الخطوة أرسل شيخ الجبل بسورية أحد
فداويته متكررا في زى راهب وتنص ثم دخل في خدمة الملك ، وأخذ يترقب
الفرصة المناسبة من اجل الوثوب عليه وإغتياله . وفي يونيو ١٧٧٢ م/ ذى
القعدة سنة ٧٠ هـ دخل عليه الفداوى بمحاولة قتله اثناء تسلمه احد الخطابات
منه . وكان الملك حريصا إذ استطاع مقابله ومناجاة الخنجر من يده
على الارض ولكن بعدما اصيب بثلاث طعنات في ذراعه . وقامت بينها
معركة شديدة استطاع الملك خلالها الايقاع به على الارض وقتله (١) .
ونظرا لمخطورة الجوائح التي اصاب ذراعه فقد قامت زوجته بمص السم من
من ذراعه حتى لا يسرى في جسده ، وبعد اربعة عشر يوما شفى الملك من
جراحه (٢) .

وهكذا ظلت خناجر الفداوية تعمل في صدر كل من المسلمين الصليبيين
ليس فقط خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، بل طوال الوجود الصليبي في
الاراضي المقدسة

ولم تكن خناجر الفداوية فقط هي حافة الوصل بينهم وبين الصليبيين ،
وانما كان هناك نوع آخر من الاتصالات التي تمت بينهما بعيدة عن أسلوب

Hethoum, Cf. R. H. C. -- Doe. Arm., t. 1, p. 547; (١)

Cf. Rapine, op. cit., p. 345.

Robricht, op. cit., p. 464, Cf. Archer and Kingsford, (٢)

op. cit., p. 406.



القدر والاغتيال . وهي تتمثل في سياسة التحالف معهم والبقارب منهم تحقيقهما لمصالحهما المشتركة وجددير بالذكر في هذا المقام ان المصادر الاسلامية والصليبية المعاصرة لفترة موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا ضنت علينا بكثير من الحقائق والمعلومات المتعلقة بطبيعة الاتصالات التي جرت بين الصليبيين من ناحية ، واسماعيلية الشام من ناحية اخرى . فلم نهثر الا على النذر اليسير من المعلومات التي تخص هذه الفترة الهامة القامضة في تاريخ العلاقات الصليبية الاسماعيليه . وهذه المعلومات مبعثرة هنا وهناك في شتى المصادر والمراجع ، وهي لا تشفى غليل الباحث (١) . ولا نجد لذلك تفسيراً مقبولاً اللهم الا القول بأن اسماعيلية الشام لا توجد لهم بصفة مامة كتب مستقلة على غرار الحوليات التي سجلها مؤرخو المسلمين السنيين في مصر وفي غيرها من البلدان الاسلامية . وليس لنا أن نتوقع معلومات مفصلة في تأليف المؤرخين السنيين من هذه الاحداث التي أشرنا اليها لما كان بينهم وبين الشيعة من تناحر وعداء، ولأنهم كانوا ينظرون إلى هذه الفرق الشيعية ومنها فدائية الشام نظرة ربية وتوجس كما اسلفنا . ولعل هذه الاتصالات والمسافرات التي قامت بين الصليبيين واسماعيليه الشام قد تمت بطريقة شفوية دون وثائق مدونة حرصا على سريةها حتى لا تقع في أيدي السنيين فيفضح الاسماعيليه ويعرف السنيون على حقيقة أمرهم وتفاصيل خططهم فيتخذون الحيطة من جانبيهم ويستعدون لمواجهة كافة الاحتمالات الموقعة .

على اية حال ، كان من أهم مظاهر الاتصال الذي تم بين الصليبيين واسماعيليه الشام تعاونهما معاً للوقوف ضد قوة نور الدين محمود (٢) . فلم يكديتم

Setton, op. cit., t. I, p. 119.

(١)

Treeco, op. cit., p. 111.

(٢)



انتحاب للصليبين من الشام عقب فشلهم في الحملة الصليبية الثانية التي قام بها الغرب لاستعادة الرها من المسلمين حتى جمع ريموند دى بواتيه صاحب انطاكية جيشة واستعد لمحصرة حلب سنة ١١٤٩م / ٥٤٤ هـ لتحقيق هدفه في الاستيلاء عليها . وهو الهدف الذي استحث ريموند قواد الحملة الصليبية الثانية لتحقيقه ، ولكنهم لم يستجيبوا اليه (١) واتسد قام ريموند بالاتصال بهلي بن ابي الوفا الكردي رئيس الحشيشية بالشام ليكون «ونا له في حربه ضد المسلمين ، فوافق على ذلك لما كان بينه وبين نور الدين محمود من عداة وكرهية شديدين فوافقان مايكنته للسيحين اتسهم (٢) . ولما علم الزعيم المسلم بخطة ريموند في محاصرة المدينة جمع قواه واستعد لمقاتلته قبل أن يبدأ هو بالهجوم . فدارت بينهما معركة شديدة في مكان يعرف باسم « بقرى » إلى الشمال الشرق من بحيرة العمق ، كان النصر فيها لنور الدين . ثم توجه نحو حصن أنب الواقع على الضفة الشرقية لنهر العاصبي والذي ظل تحت ايدي الصليبين مدة طويلة . وعندما علم ريموند بذلك أصر على الخروج على رأس قوة من رجاله تدعمها جماعة من حقاته الحشيشية بزامة على بن ابي الوفا . ولما كان جيش المسلمين الذي يبلغ عدده ستة آلاف فارس يفوق في العدد جيش الصليبين الذي كان يتألف من أربعة آلاف فارس والف راجل ، فقد اشار عليه زعيم الاسمايلية بالبقاء حيث هو نظرا لقلة الامكانيات . واسكن هذه المشورة لم تلبث اذنا صاغية من قبل القائد الصليبي . ولم ينتظر وصول الامدادات الصليبية التي سبق ان طلبها ،

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٢٦ .

(٢) Runciman, op. cit., t. II, p. 32 , Setton, op. cit., t. I, p. 15.



وتحرك بقواته نحو حصن انب. وتمكن نور الدين من حصار الجيش الصليبي ، وادرك ريموند حينذاك ومن معه من الحشيشية أنه لاسبيل لهم في النجاة إلا باقتحام صفوف المسلمين ، ولكن طبيعة الارض حالت دون ذلك . فبينما كان الفرسان الصليبيون يبحثون خيولهم لترقى المتحدرات هبت رياح شديدة وامتلات اعينهم بالرمل . ولم تمض ساعات الا وكان الجيش الصليبي قد تعرض لقتل والدمار . وقتل في هذه المعركة علي بن أبو الوفا الكردي زعيم الاماعيلية بالشام مع عدد كبير من اتباعه . اما ريموند فسكان مصره القتل هو الآخر ، ولكن علي بسد أسد الدين شيركوه الذي أرسل رأسه في صندوق من الفضة هديه إلى الخليفة العباس في بغداد (١) .

وليس هناك من شك في أن الاماعيلية كانوا يتربون الفرصة المناسبة من أجل الحاق الهزيمة بالمسلمين السنيين والقضاء على مذهبهم . وفي نفس الوقت كانوا يسعون إلى تقوية صلتهم بالصليبيين في المنطقة من أجل الوقوف معا ضد عددهما المشترك المتمثل في السنيين . ولذا لم يتردد علي بن أبي الوفا في الاستجابة لنداء الصليبيين ، لانه رأى في ذلك تحقيقا لسياسة الاماعيلية وأطامها .

وكان هناك نوع آخر من التقارب بين الحشيشية في عهد شيخ الجبل راشد الدين سنان وبين الملك الصليبي عموري الاول ملك بيت المقدس . إذا اردنا ان نرى أن يتخذ سياسة جديدة في تقربه للصليبيين تحقيقا لمصالحه واطامه (٢) .

(١) حسن حبشي : نور الدين والصليبيون ص ٢٩ - ٨١ انظر أيضا :

Michel le Syrien, Cf. R. H. C.- Doc. Arm., t. II, p. 287, Cf. also Fagnan, op. cit., t. II, pp. 325 - 26 .

(٢) انظر الملحق الثالث بآخر الكتاب



سنة ١١٧٢م / ٥٩٩ هـ أوفد أحد رسله إلى الملك عموري بعرض عليه التحالف بين جماعة الخشيشية والصليبيين لمناهضة سياسة نور الدين محمود في الشام . كما اشار عليه بأنه سيصرع هو اتباعه بالعميد واعتناق الديانة المسيحية إذا امتنع فرسان المبدع من أخذ الجزية السنوية التي سبق أن فرضوها على بعض القرى المملوكة له مع صرف النظر عنها تماما (١) .

ورغم أن هذه الحادثة قد رواها أحد مؤرخي الحروب الصليبية القدامى وهو وليم الصوري والذي كان في خدمة الملك الصليبي آنذاك ، إلا أنه يجب تقبلها بشيء من الحذر لاكثر من سبب . أولا لأنه ليس من المستبعد أن يكون الأمر مدسوسا عن عمد من جانب المؤرخ اللاتيني من أجل التقليل من شأن طاعة الاصلحية بوجه خاص والاسلام بعامة ، الامر الذي يبرز المسلمين في صورة الضعفاء المنقسمين سياسيا ومذهبيا . وثانيا لأنه ليس من المقبول أن يعرض سنان على الملك اللاتيني أن يدخل في المسيحية هو واتباعه ثمنا لهذا التحالف المقترح وأملأ في اعفائه من الجزية السنوية التي كان يدفعها

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., p. ٥٩٥, Cf. Ranciman, op. cit., t. II, p. 3٥7.

واجمع أيضا السيد عبد العزيز سالم : دواحة في تاريخ مدينة صيدا من ١١٢٠ . وقد حدث شيء شبيه بذلك قبل سنة ١٢٣٢م / ٦٢٩ هـ بسنة سنوات اذ رغبت الخشيشية في أن يصبحوا مطيعين لكنيسة روما ، ولهذا أوفد أحد رسلهم الى هناك بحيث حدثت مفاوضات بينهم وبين الصليبيين في هذا الشأن . ولكن الرسول تملى في طرفه غاشية وهو في طريق عودته الى بلاده انظر :

Burhard, Description of the Holy Land, Cf. Palestine Pilgrims Text Society; p. 10٥.

لماعة القريسان الداوية . ولو أنه يجب أن ندخل في الاعتبار بأن سياسة الدعاة والمواجهة التي لحقها اليها الحشيشية حيال الخصوم والاصدقاء كانت تدفعهم أحياناً إلى عرض رغبتهم على الفرنج بالشام باعتناق المسيحية (١) . وفي ضوء ما تقدم يكون الأمر مقتصرًا على طلب ستان الفاه الجزية المفروضة على اتباعه مقابل تحالفه مع الصليبيين . وما يبرز هذا الاحتمال أن الحادثة المشار إليها لم يرد ذكرها في أي من المصادر العربية السنية . وبطبيعة الحال لو كانت هذه الواقعة صحيحة لكانت المصادر السنية أولى بالإشارة إليها لانتفاها فريضة لتشيير بهذه الطائفة الشيعية والكتابة بها ، فتكون نقطة سوداء في تاريخها .

ومهما يكن من أمر ، فقد استقبل الملك عموري رسول شيخ الجبل بكل ارتياح وسرور ورحب به ، وباقتراحه ، وابدأ استعداده بدفع قيمة الجزية من حسابها الخاص إلى فرسان المعبد ترضية للطرفين . ولعل للدافع الذي جعله يحصل هذا اللعب هو امرأه أن الصليبيين يمرون بأشد الاوقات حرجا كما ايقن أن هذه الطائفة بنظمتها المرية المحككة وخيرتها التامة بأرضاع البلدان الإسلامية المجاورة وحكامها يمكن أن تكون ذات فائدة عظيمة بالنسبة للصليبيين ولذلك كتب إلى فرسان المعبد يطلب اليهم قبول هذا العرض .

وبعد انتهاء باحثاته مع المبعوث الاماميلي ارسل معه أحد رساله ليكون عوناً له في الطريق (٢) . ولكن حدث شيء خطير لم يكن في حساب الملك عموري توترت بسببه العلاقات بينه وبين شيخ الجبل راشد الدين ستان . ذلك

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٢

(٢) Bossat, The History of Jerusalem, p. 357, Archer
 and Kingsford, op. cit., pp. 245 - 246 .



أب فرسان المبد عندما ادر كرا أن موافقتهم على أعفاء الاسماعيلية من دفع الجزية سينقص من مواردهم المالية الثابتة خاصة وانهم كانوا يشكوا في وعد الملك الصليبي بدفع المبلغ للقروض على الحشيشية من جيبه الخاص بدلا منهم ، قاموا بتدبير كمين من اجل التخلص من رسول شيخ الجبل . وكان هدفهم أن يكون لهذه الحادثة أثرها العميق في تطور العلاقات بين الاسماعيلية والملك عمورى . ولهذا حرصوا أحد كبار فرسانهم ويسمى والتردى ميسنيل Walter de Maisnil برسالة رجالة لذبح رسول ستان . وبالفعل ارسل اثنين من نبلاته هما سيهردى ما مندون Seiler de Mam - endon وجسد تشالك دى توروت Godescha de Tor ut ، وانتظراه بالقرب من طرابلس عند مدخل بلاد الاسماعيلية وهجما عليه بالسيوف وذبحاه (١) .

وبدلى أحد الكتاب الغربيين المحدثين وهو ييزانت Bonant بدلوه في هذا الموضوع . إذ يقول أن فرسان المبد كانوا دائما شديدي الطموح والرغبة في انهباء الملكية واضعاف باروناتها ، مما يسهل عليهم السيطرة على المزيد من القلاع والحصون الأمر الذى يقوى من نفوذهم ويزيد من مواردهم . ويستطرد أنه إذا مات الملك عمورى وتولى ابنه الابرس خلفا له ، يبدأ عند ذلك هؤلاء الفرسان في السيطرة على المملكة وتحديق اطماهم . ولما كان تحالف الملك الصليبي مع الحشيشية يعنى تدهيم اركان الملكية فقد عملوا على أن تسوء العلاقات

Guillaume de Tyre, op. cit., p. 996, Roger of Wondover, (١) op. cit., t. II, p. 504. Cf. also L'Abbé de vertot, Histoire de L'ordre de Chevalier, t. I, pp 190 - 191.

يُنْهَسُ مِنْ طَرِيقٍ قَتَلَ هَذَا الرَّسُولَ (١) . وَهَمْ بِهَذَا التَّصَرُّفِ إِنَّمَا يَحْفَقُونَ أَكْثَرَ مِنْ غَرَضٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ . وَيَدْرُ أَنْ هَذَا الرَّأْيَ قَدْ جَدَّ عَنْ الْوَاقِعِ ، لِأَنَّ فَرَسَانَ الْعَبْدِ فِي هَذَا الْوَقْتِ كَانُوا قَرَّةَ لَهَا وَزَنْهَا وَيَحْتَسِبُ بِأَسْهَاءِهَا ، وَلَمْ تَكُنْ بِحَاجَةٍ إِلَى الْإِنْتِظَارِ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةً غَيْرَ . مَعْرُوفٌ مَدَاهَا تَنْتَهَى بِمَوْتِ الْمَلِكِ عَمُورِيِّ حَتَّى يَبْدَأُوا فِي تَدْوِيمِ رُكُوزِهِمْ وَسَيْطَرَتِهِمْ عَلَى الْمَمْلَكَةِ الصَّلَيبِيَّةِ . وَبِنَاءِ عَلَى ذَلِكَ فَالرَّأْيُ الْمَقْبُولُ فِي هَذَا الشَّأْنِ هُوَ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِإِغْتِيَابِ الرَّسُولِ الْأَسْمَاعِيلِيِّ أَنْ يَعْبُرُوا عَنْ عَدَمِ مَوَافَقَتِهِمْ عَلَى عَرْضِ الْمَلِكِ الصَّلَيبِيِّ ، وَأَنْ يَشْعُرُوا الْحَشِيشِيَّةَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ بِأَنَّهُمْ إِذَا مَا فَكَّرُوا فِي إِعَادَةِ هَذَا الْعَرَضِ سَوْفَ يَلْقَاوْنَ نَفْسَ الْمَصِيرِ ، وَمَعْنَى هَذَا أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا يَصْرُونَ عَلَى أَنْ يَسْتَمِرَّ الْأَسْمَاعِيلِيُّ فِي دَفْعِ الْجُزْيَةِ إِلَيْهِمْ تَعْبِيرًا عَنْ نَوْعٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالسُّجُودِ . فَضْلًا عَنْ رَغْبَتِهِمْ فِي تَوَثُّرِ الْعَلَاqَاتِ بَيْنَ الْمَلِكِ الصَّلَيبِيِّ وَهَذِهِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى لَا يَعْضُرُوا الْأَذَى خَطَرَ مِنْ جَانِبِ كُلِّ مِنْهُمَا . وَحَقٌّ لَوْضَمَّنَ فَرَسَانَ الْعَبْدِ وَفَاءَ الْمَلِكِ عَمُورِيِّ بِوَعْدِهِ فِي دَفْعِ الْجُزْيَةِ لَهُمْ بَدَلًا مِنَ الْأَسْمَاعِيلِيِّ ، فَاتَمَّ لَنْ يَضْمَنُوا أَخْذَهَا مِنَ الْمَرْكَ الْأَخْرَبِيِّ بَعْدَ وَفَاتِهِ . كَمَا أَنَّ الْوَضْعَ يَخْتَلِفُ فِي نَظَرِهِمْ بَيْنَ أَخْذِ هَذِهِ الْجُزْيَةِ مِنَ الْأَسْمَاعِيلِيِّ أَنْفُسِهِمْ وَبَيْنَ تَحْمِيلِهَا مِنَ الْمَلِكِ الْفَرَنْجِيِّ ، لِأَنَّهُ فِي الْحَالِ الْأَوَّلِيِّ سَيُظْهِرُهُمْ أَمَامَ الْعَالَمِ بِأَنَّهُمْ - أَيْ الْحَشِيشِيَّةَ وَاقْعِينِ تَحْتَ تَأْتِيرِ سَيْطَرَةِ فَرَسَانَ الْعَبْدِ الَّذِينَ لَا يَخْشَوْنَهُمْ وَلَا يَرْهَبُونَ جَانِبَهُمْ وَهَذَا مَا يَرْفَعُ مَرْتَبَتَهُمْ وَيَعْمَلُ عَلَى تَنْبِيْهِتِ أَقْدَامِهِمْ وَالتَّوْبُونِ مِنْ شَأْنِ الْأَسْمَاعِيلِيِّ .

عَلَى أَيْةٍ حَالٍ ، لَقَدْ أَصَابَ الْمَلِكُ عَمُورِيُّ نَوْبَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهِجَابِ الشَّدِيدِينَ لِمَا حَدَثَ وَتَوَلَّاهُ الْقَلْقُ وَاسْتَعِدَّتْ بِهِ الْحَسْرَةُ فَيَا يَجِبُ اتِّخَاذُهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ ، فَدَمَاهُ بَارُونَاتِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا حَدَثَ ، وَاخْتَارَ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى زَعِيمِ

فرسان المعبد المسمى أودودي سانت أماند و Odo de Saint - amando يطلبون منه باسم الملك وباسم مملكة بيت المقدس تسليم المدبر لهذه الجريمة وهو والتردي سنيل Walter de Meiznil حتى ينال عقابه . وهنا ظهر كبرياء فرسان المعبد ، حيث رد زعيمهم على رسول الملك بكل ازدهاء مبيتا أن الحكم على الجاني بالاعدام هو من سلطة اليا با غيب ، ولذا سوف يرسل اليه لبت في أمره (١) . ولكن هذا الرد اتار الملك الصليبي وزاد من سخطة ، فتوجه بنفسه على رأس قوة إلى صيدا التي كان بها مقدم الداوية ، وتمكن من القبض على الرجل المتهم بتدبير عملية القتل ثم القاه في سجن ص - ورتميها لهاكته . وارسل في نفس الوقت إلى سان يعتذر له عما حدث ويطلعه على حقيقة الأمر ، ونجح في اقناعه ببراءته . ولكن رغبة سان في تحالفه مع الصليبيين كانت قد تضاءلت ، وهبط حماسة اثر هذا الحادث ، وقد كل أمل لتعاونه معهم على الأقل في ذلك الوقت (٢) . وهكذا نجح الداوية في توجيه ضربتهم القاصمة إلى الملكية الفرنجية في الأرض المقدسة نتيجة لتفريطهم هذه .

ولاغرو ان هذا الترخ الذي حدث في جدار العلاقات للصليبية الاسمايلية كان في صالح الجانب السني رغم عدم تعرض المصادر المختلفة له . إذ أتاح لهم فرصة العمل على الافادة منها من أجل أكال وحدة الصف الاسلامي بتحقيق اتحاد المسلمين من سنة وشيعة والوقوف معا ضدالصليبيين الدخلاء أو على الاقل ضمان الجانب السني حياد اسمايلية الشام في فترة الاعساد للمركة الحاسمة التي

Guillaume de Tyre, op. cit., p 998, Cf. Trecece, op. cit., (١)
p. 145, L'Abbé de vertot, op. cit., t. I, pp. 100 - 191 .
Defrémery, op. cit. p. 12, Besant, p. cit., p. 368, (٢)
Campbell, op cit, p. :40 .



كان بأهـب غوضها ضد الصليبيين ، وحق تكون كل امكانيات المسلمين للمركة دون ان يشغلهم غدر خناجر القداوية ، وحتى لا تكون هذه الطائفة مانقا دون استكمال مراحل الافاقة الاسلامية .

ومن الغريب انه رغم المداء الذي يكنه الاسماعيلية لمرسان للعبد في هذا الوقت الا انهم قد وافقوا على مشروع التحالف الذي عرضه عليهم الداوية في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي (اوائل القرن السابع الهجري) فترقب معا ضد أي عدو يهددهما (١) . وهنا نجد تطبيقا عمليا واضحا لسياسة الحشيشية تجاه الصليبيين . فزاهم سرطان ما يتناسون عداوم للداوية ويحددون معهم ، لانهم وجدوا في ذلك خير مصلحة لهم .

ويبدو ان ظاهرة دراسة الديانة المسيحية لدى شيوخ الجبل في سوربة كانت طرفا يزيد من تقربهم للمسيحيين تحقيقا لمصالحهم وأغراضهم أو وسيلة يخذون منها مخرجا لتحقيق تلك المصالح والافراض . وآية ذلك ما ذكره المؤرخ جان دى جوا نجيل في كتابه عن سيرة لويس التاسع من ان الراهب الدومينيكانى ايف ليريمون Yves le Berton الذى أوفده الملك الفرنسي إلى شيخ الجبل بالشام سنة ١٢٥٠ م / ٦٤٩ هـ (٢) لتقديم الهدايا الثمينة إليه والتفاهم معه ، قد وجد عند مقدمة فراشه كتابا يتضمن عبارات كثيرة موجهة من هيمى بن

(١) La Croix, La Chevalerie et les Croisades, p. 228.

(٢) لم يستدل على اسم شيخ الجبل الذى كان مماصرا لفترة الملك لويس التاسع ، واسكن . يرجع أن يكون من خلف شيخ الجبل أبو النوح الذى حكم من سنة ١٢٣٩ حتى سنة ١٢٤٩ م (٦٢٧ - ٦٤٦ هـ) وسبيل تفصيل لهذا فيما بعد عند التمرض للاقعة هذا الشيخ بالملك لويس التاسع .



مریم - عث- ما كان على الارض - إلى الفديس بطرس. ويذكر جرانفيل ان ايف علم من الشيخ الاسمايلي حبه تشديد لفقديس بطرس لاعتقاده انه في بداية العالم قد حلت روح هايل - بعد قتله . في جسد نوح ، فلها مات انقلت الى ابراهيم ثم حلت بعد موته في جسد الفديس بطرس (١) . وليس من المستبعد أن تكون هذه المناقشات بين شيخ الجبل ورسول الملك الفرنسي قد حدثت بالفعل خاصة إذا عرفنا ان الاسمايليه يؤمنون بالتناسخ (١) .

وعلى آية حال ، لم تقتصر الاتصالات التي قامت بين الحشيشية والصابيين على تبادل الرسل فحسب كما حدث في عهد الملك عمور . الاول بل تعدته إلى حد زيارة هنري صاحب شامانيا وملك بيت المقدس الاراضي الاسمايلية (٢) . وقد تمت هذه الزيارة سنة ١١٩٧ م / ٤٩٣ هـ بعد تنويجه مسلكا أسمايا على بيت المقدس . فعندما كان متجها في أحد الايام إلى ارمينية الصغرى لتصفية بعض المشاكل الاشقة بينها وبين انطاكية ، مر بأراضي الحشيشية . ولما علم

(١) مذكرات جوانفيل - ترجمة الدكتور - من جنبي ص ٢٠٧ .

(٢) يقول القلقشندي في هذا الشأن أن الاسمايلية يؤمنون بأن الأرواح مسجونة في الأجساد ، فإذا كانت على طاعة الامام تنقل الى الأنوار العليا أما اذا كانت تعبه تهوى في الضلالت السفلى . انظر القلقشندي : صبح الأهدى ج ١٣ ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٣) فيليب هنري : تاريخ سوريا ولبنان وبلاد ما بين النهرين ص ٢١٧ ، السيد هـ د العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٢٧٦ انظر ايضا من المراجع الاجنبية :

Eracles, *op. cit.*, p. 210, Cf. Treese *op. cit.*, p. 163, Browne, *op. cit.*, t II, p 208, Grousset, *op. cit.*, t. III, p. 1٧3.

شيخ الجبل (١)، بذلك خرج لاستقباله ورجب به ثم حياً كبيراً ، وكان هذا سبباً في تدعيم أوامر الصداقة والتعاضد بين الجانبين . وقد حرص مقدم الاماعياية في نفس الوقت على أن يبهر أنظار الملك الصائبي بقوته وثراته ومدى الطاعة العمياء التي يحماها اتباعه . وقدم هدايا ثمينة وعرض عليه محافنه كما أبدى استعداد فدائوته لاغتياال من يريد . وصحبته في جولة طامة لزيارة قلاع الدعوة وما بها من تحصينات (٢) . وأثناء وجودهما في قاعة الكهف سأله شيخ الجبل « هل رجالك يفعلون لاجالك ما يفعله أتباعي من أجلي ؟ » فرد الملك الصائبي بالإيجاب فأشار شيخ الجبل حينذاك بمندبل كان يديه فالتقى أثنان من فدائوته بنفسيهما من قمة أحد الأبراج الموجودة بالقاعة فقط أسفلهما ، واما في الحال (٣) ، وقد تأثر هنرى من هذا المنظر ورجا زعيم اسماهيلية الشام الا يكرر هذا التصرف ، ثم دخلا القلعة ليطلما على ما بداخلها ، فشاهد بعض الغلمان على صفين يرتدى كل منهم ثياباً بيضاء . وعندما صعدا سويا إلى أعلى البرج ، يبدو ان شيخ الجبل لم يعر اهتماماً لرجاء الملك الصائبي ، إذ قال له سأريك مرة أخرى ، ماذا يقدم رجالى من أجل أرضائى . فأشار يده إلى أثنين آخرين من فدائوته فأخرج كل منهم خنجره الحاد السموم وطمن نفسه به ، وخراصرين واضطرب هنرى ، عند ذلك وبدت على وجهه علامات الضيق

(١) لم تتم المصادر أو المراجع الأجنبية والعربية الى اسم شيخ الجبل ل الذى كان موجوداً أثناء هذه الزيارة ، ولكن مما لا شك فيه أنه خلف واحد الدين ستان التولى سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٣ م .

(٢) انظر الملحق الثاني باخر الكتاب .

(٣) Eraclan, op. cit, p. 31, Cf. Michaud, op. cit., t. II,

والأسماء. وهذا قد قال له شيخ الجبل (هام باقي رجالي بإشارة أخرى من يقدمون على الموت بذات الطريقة بكل ارتياح وسعادة ترضية لي (١) .

يوضح من هذه الزيارة ان اسماعيلية الشام أرادوا تحقيق نوع من للتوازن في علاقتهم بكل من الصليبيين والابويين الأمر الذي يتيح لهم البقاء على حساب جميع الاطراف المتصارعة مع الاحتفاظ بمرجعهم والعمل على تثبيت اقدامهم في سورية (٢) . ويبدو كذلك أن شيخ الجبل أراد من كل ما جرى أثناء هذه المقابلة أن يوهم الملك الصليبي بجهوته وسطوته ، وأن يزيد من اضطرابه بحيث يعمل لهذه اللطافة حساباً كبيراً ، ويهمل كثيراً إذا ما فكر هو أو غيره من القادة الصليبيين في غزو أراضي الحشيشية . وفي نفس الوقت يكون ما حدث بمثابة تذكرة للصليبيين بان شيخ الجبل مازال في مركز القوة بالنسبة لاتباعه ، وان التدواية مازالوا على طاعتهم للعياء له ورهن إشارة منه .

هذا هو حال العلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام في الفترة موضوع البحث . فتراها أحيانا تنقسم بالقدر من جانب الحشيشية وكثرة اغتيلاتهم التي ذهب ضحيتها بعض للقادة الصليبيين ، وأحيانا أخرى يسودها الود والتقارب والتحالف بين الطرفين من أجل الوقوف معاً ضد العالم السني . وإذا كنا قد أوضحنا طبيعة هذه الصلات وخطوطها المرئية ، فيجب ألا ننفل في

Eracles; op. cit., p. 210; Cf. Browne, op. cit., t. II, p. (١)
299, Grousset, op. cit., t. III, p. 134. Ency. of the World History,
p. 272 .

(٢) - سيد طاعور: الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٠٩ انظر أيضا :

Grousset . op. cit ., Loc . cit . -



هذا المجال الاشارة إلى إحدى الفئات الصليبية التي كان لها دور كبير في عصر العدوان الصليبي على العالم الاسلامي والتي تقارب إلى حد جيد اسماعيلية الشام من حيث تكوينها وسياستها ومسلحتها ، ونعني بها الجماعات الرهبانية العسكرية التي كانت من نتائج الحركة الصليبية نفسها ، ونخص بالذكر جماعتي الفرسان الداوية والمعروفة باسم فرسان المعبد وكذلك جماعة الفرسان الاسبارية وسنمقد مقارنة بين هذه الجماعات الرهبانية العسكرية الصليبية وبين جماعة الحشيشية في الشام خلال الفترة . روضوع البحث ، مع بيان طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بينها والاثار المترتبة عنها نظراً لما كان لهذه الجماعات الصليبية من أثر كبير في تاريخ الحروب الصليبية بعامة وفي علاقاتها بهذه الطائفة الشيعية بصفة خاصة . لقد نشأت هذه الجماعات بالشام أثناء الفترة المعصية للضطربة التي كان يمر بها الشرق الأدنى الاسلامي في بدايات لقرون الثاني عشر الميلادي (بدايات القرن السادس الهجري) وكان ذلك لبواحت وظروف ديدية بحته ، ثم انقلبت فيها بعد إلى جمعيات صرية مجاهدة اتخذت من العسكرية والقروسية صفة تميزها عن غيرها من مختلف الفئات الصليبية (١) . وقد قيل أن فارساً من

(١) عبد الله عنان : تراجم اسلامية ص ٥٦٠ . وبالنسبة للاستبارة Hospitallers هم جماعة من الفرسان جموا بين الفكرة الدينية والروح العسكرية . وترجع تسميتهم بهذا الاسم عندما أسس بعض تجار مدينة أمالي الإيطالية في بيت المقدس سنة ١٠٧٠م/٩٣هـ جمعية خيرية في بيمارستان قرب جنوبي باب الفريخ المقدس وذلك لتعاية بقراء المحتاج ومن ثم أطلق عليهم اسم فرسان المستشفى التي حذرت فيما بعد إلى استبارة . ثم تطوحت هذه الجماعة فيما بعد لحماية المحتاج ، وأبدى راحلها من ضروب القروسية والاندغام ما جعلهم موضع احترام الملك جودفري دى بوبون ملك بيت المقدس فأعطاهم إحدى الضواحي وتوالت عليهم الهبات والاطمئنان ، وكان أول رئيس لهم امته جبرائيل ، ثم تحولت عنه =



فرسانهم يدعى جيوم دي مونبار Guillaume de Monbar قد تلقى مذهب الاسماعيلية على يد أحد شيوخ الجبل في إحدى المناسرات الموجودة بجبل لبنان (١) وان كان ليس هناك من الدلائل القاطعة ما يدعم ذلك .

ومن الملاحظ أن نشاط هازين الجماعتين وكذلك نشاط طائفة اسماعيلية الشام قد برز إلى حيز الواقع في وقت متقارب . ولعل في ذلك ما يبرر وجود

الجماعة فيما بعد إلى منظمة عسكرية الطابع كان لها شأن كبير في تاريخ الحروب الصليبية وتحول أعضاؤها أيضا إلى رجال دين ودنيا في نفس الوقت ، فكانوا يبسون مشوح الرهبان ويحاربون من فوق ظهور الخيل ثم أصبحت لهم متاجر وسوانيت وحصون ونلاع يتمتعون فيها ويتحصنون فيها انظر من ذلك :

Delaville Le Roux, les, Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, pp. 31 - 34 ; Woodhouse, The Military Religious Orders of the Middle Ages, pp. 23 - 30, King, The Knights Hospitallers in the Holy Land, pp. 21 - 23, Landone, The Middle Age, t. III, p.172 .

وبالنسبة لفرسان المعبد Templars فهم من أصل فرنسي وقد قام بإنشاء هذه الجماعة حصة من تسمية من السادة الفرنسيين برئاسة هيوغ دي باينزا Hugh de Paienza وقد أوصحوا أن هدفهم حماية الحجاج المسيحيين في بيت المقدس وحماية معبد سليمان ، فضلا عن عاربة أهواء المسيح . وأعطاهم الملك بولودين الثاني ملك بيت المقدس منزلا يقيمون به بجوار معبد سليمان وذلك سنة ١١١٨ م ٥١٤ هـ ، ولذا فقد لقبوا باسم فرسان المعبد وتطورت منهم الجماعة فيما بعد بحيث أصبحت تسمى بأسمائها في تاريخ الحروب الصليبية أنظر :

La Croix, La Chevalerie et les Croisades, p. 220, Watson, The Story of Jerusalem, p. 189, Hardwick, A History of the Christian church pp. 254 - 255 .

(١) محمد عبد الله عنات : تاريخ الجماعات السرية ص ٦٣ .



نوع من الشبه بينهما وبين الحشيشية سواء كان في نظمهم أو في سياستهم
 وتصرفاتهم . فترى مثلا انهم قد اتفقوا في الاستقرار في الماقل القوية والحصون
 والقلاع المنيعه ، مصغدين من سياسة الغزو والنهب وسيله لامتلاك هذه القلاع
 وتعزب وجودهم فيها ، بل والاغارة منها على المناطق المجاورة . وقد ساعد
 هذا في أن يكون لكل منهم دوره الخطير في القرن الثاني عشر الميلادي
 (السادس الهجري) وهو القرن الذي تبلورت فيه حركة الاقالمة الاسلاميه
 في منطقة الشرق الأدنى لمواجهة الخطر الصليبي . كذلك اتفقت هذه الجماعات
 الرهبانية المسيحية وطائفة الحشيشية في السزاء واتساع النفوذ . وكما كانت
 أيضا هذه الهيئات الدينيه المسيحية مستقلة تماما في بلاد الشام عن كل نفوذ
 سياسي ، ولا تعترف بالتبعية إلا قبايا في روما مباشرة حيث تستمد منه التأييد
 الروحي والمادي مما جعل منها دولة داخل الدولة (١) ، كذلك نجد ان
 الاسماعيليه بالشام في هذا الوقت كانت لهم دولتهم المستقلة في الاقليم الواقع
 بين طرابلس واللاذقيه حيث كانوا لا يعترفون إلا بعينهم للإمام المتمثل في
 شخصيه شيخ الجبل بالمرت . وبالإضافة إلى ما تقدم ، ثمة وجه شبه كبير
 بين هذه الجماعات المسيحية وبين اسماعيليه الشام في الزى ، حيث اتخذ فرسان
 المعبد من اللونين الابيض والاحمر زيارسيا لهم وهما الاوتان اللذان استخدمهما
 الحشيشية في زيهم . كذلك نجد أن للطائفتين قد أتبعتا نفس النظام ونفس
 المراتب ، فكان من بين مراتب الحشيشية القداويه والرفاق والدعاء تقابلها
 لدى فرسان المعبد مراتب البسدي والمتنهي والفراس . ولقد كان من
 أوجه الاتفاق أيضا بين هذه الهيئات المسيحية وبين اسماعيليه الشام استعداد كل منها
 لتخلي عن دينها إذا وجدت في ذلك مصلحة لها . هذا في نفس الوقت الذي

King, op. cit., pp. 31 - 32.

(١)



يظهرون فيه أمام عامة الناس بظهور المتديلبين المحافظين على أركان دينهم (١) .
 وهنا أيضا وجه شبه آخر يتمثل في لقب زعيم كل منهم ، فبينما يطلق على زعيم
 الحشيشة اسم Grand Maître أى « السيد الأعظم » والمقصود بذلك المقدم
 أو الكبير ، فرى زعيم هاتين الجماعتين يسمى بلقب « Grand Master أى
 تفسى التسمية (٢) » وكما كان أسماعيلية الشام يعتمدون في دخلهم العام على الجزية
 السنوية التي تحصلهم من جيرانهم مقابل حمايتهم ، كانت الجزية السنوية التي
 تفرضها جماعتها الداوية والاستبارية على كثير من سكان المناطق المجاورة مصدراً
 أساسياً من مصادر الدخل العام عندهم . وقد بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يفرضونها
 على الاسماعيلية أنفسهم بالشام رغم القوة التي كانوا يتمتعون بها والرهبة التي
 كانوا يدخلونها في قلوب الاعداء والاسدقاء على السواء (٣) . وظلت الجزية
 المفروضة عليهم منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي (أواسط القرن السادس
 الهجري) حتى خلصهم منها الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٧ م / ٦٦٥ هـ (٤) .
 وواضح من هذا عدم رهبة كل من الاستبارية والداوية . من هذه الطائفة التي
 كانت هي نفسها تثير الرهب والفزع في النفوس . ولعل ذلك يرجع بسبب
 معرفة هذه الجماعات الرهبانية بأن أى من شيوخ الجبل لن يفكر في اغتيال

(١) محمد عبد اقة عنان : تاريخ الجماعات السرية ص ٦٢ - ٦٤ راجع أيضا .

Besant, op. cit., p. 363. Lacroix, Vie. Militair et religieuse
 au moyen Age, p. 136, Woodhouse, op. cit., p. 208.

Watson, op. cit., p. 189 .

(٢)

Dfrémery, op. cit., p. 421.

(٣)

انظر أيضا ص ٢٢٦

(٤) المرزبى : السرك ٢٢٦ ج ١ ق ٢ ص ٥٥٧ .



زعماء هاتين الجماعتين لأن ذلك لن يعود عليه وعلى جماعته بأي فائدة . ولأنه يدرك جيداً انه لو أمر بقتل أحد زعماء هاتين الجماعتين فسوف يحل مكانه رئيس آخر لا يقل عنه في المقدرة والكفاءة وبسير على نفس سياسته ويتمتع بهجه . ولذلك لم يكن شيخ الجبل يرغب في التوضيحية برجاله القديوة في عمل لانفع من ورائه ولا فائدة (١) . ولكن يبدو أن شيخ الجبل قد نظر إلى حياة داووبته قبل أن ينظر إلى مسألة كرامته وسمته أمام الناس والعالم المعروف وقتذاك لانه في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا وقادة المسلمين يرهبونهم ويهملون حساباه ، كان هو نفسه يخشى بأس هذه الجماعات المسيحية الرهبانية دون أن يفكر جدباً في محاولته التخلص من هذا القيد المفروض عليه وعلى أتباعه ، اللهم إلا تلك المحاولة التي قام بها سنان لدى الملك عمورى حسبما ذكرنا سابقاً (٢) .

كفما كان الأمر ، هناك مسألة هامة توضح التشابه العجيب بين هذه الجماعات الرهبانية العسكرية وبين اساميلية الشام . فلقد استغفادت جماعتا الفرسان الداوية والاسبارية كثيراً من وراء ضعف الحكام الصليبيين في بيت المقدس وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم (٣) . وذلك هو نفس ما حدث بالنسبة لاساميلية الشام ، إذ اتخذوا من ضعف الحكام المسلمين والصليبيين الموجودين هناك وسيلة تساعدهم على تقدم نشاطهم وبه تحقيق سياستهم ، وأية ذلك ما كان

(١) Défrémery; op cit., p. 45, Lamb, op. cit., p. 329.

L'Abbé de vertot, op. cit., t. I. p. 100 - 191.

(٢) انظر ما سبق ص ٢١٢ - ٢٤٣

(٣) Landone, op. cit., t. III, p. 174.

من أمر هذه لطائفة عندما انتقلت إلى بلاد الشام وتجاهوها في الاستيلاء على العديد من الحصون والقلاع .

وإذا انقلنا الى وجه آخر من أوجه المقارنة بين هذه الجماعات الرهبانية العسكرية وبين طائفة اسماعيلية الشام نراه قد امتد إلى القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) . فكان كل منها يتقلب في خدمة الأصدقاء والاعداء وفق ما تمليه عليه مصالحه بصرف النظر عن الصالح العام . ويتضح هذا بجلاء من نشاط الحشيشية وسياستهم تجاه المسلمين السنيين من ناحية أخرى . وأما بالنسبة للجماعات الرهبانية الصليبية فقد طبقت هي الأخرى هذه السياسة على الصليبيين أنفسهم تحقيقا لمصلحتها لحسب . مثال ذلك التحالف الذي عقده الاسعبارية مع اسماعيلية الشام للوقوف ضد بوهيموند الخامس صاحب طرابلس ، لانهم احموا أن ذلك سوف يخدم أهدافهم . وقد اضطر هذا الأمير الصليبي إلى تقديم شكوى للبابا جريجوري التاسع (١٢١٧ - ١٢٤١ م / ٦٢٤ - ٦٢٩ هـ) ، الذي سرعان ما كتب خطابا في أغسطس ١٢٠٦ م / ذي الحجة ٦٣٣ هـ إلى رئيس أساقفة صور وإلى أسقف كل من صيدا وبيروت باع فيه على ضرورة إنهاء هذا التحالف الذي تم بين هذه الجماعة المسيحية الحريه وبين طائفة الحشيشية (١) . ولقد أورد أحد الكتاب الغربيين الحديثين وهو كنج King نص هذا الخطاب الذي جاء فيه من البابا جريجوري خادم عبده إلى أبناء عمومته رئيس أساقفة صور وإلى أسقف كل من صيدا وبيروت . هل نسي سيد الاسعبارية نص الكتاب المقدس في شأن زجر الملك



يا هو اشافاط (١) . إذا كنت تحب الكافر وتساعده بما تنفضب الآلهة فإن العنة
تعمل عليك . فكان لا يجب عليه مساعدة أعداء المذهب الكاثوليكي والوقوف
ضد أبنائه العقيدة المسيحية . فلقد نهي إلى علمنا من أمير انطاكية وبوهيموند
الخامس صاحب طرابلس أن هذا السيد لم يعط أى اعتبار للضرر الذى لحق
بالدين أمام للناس من مساندته للحشيشية - أعداء الله وأعداء المسيح - والذين
تجرؤوا قبل ذلك على اغتيال ريموند غدرا ، فضلا عن قتل كثير من الأمراء
الكاثوليك . كما أنهم يحاولون التغلب على عقيدتنا بالقوة ليقفوا ضد هذا الأمر
(بوهيموند الخامس) الذى رغب فى محاربتهم . وما اكثر خطورة أن سيد
أورشليم وأبناء عمومنا قد رددتهم بالمساعدة ضد هجرات المسيحيين مقابل
أن يدفع لهم مبلغا من المال كل عام . وعلى ذلك فقد أرسلنا لهم تعليماتنا
بالامتناع عن مساعدة هؤلاء الحشاشين وكذلك الامتناع عن الوصوف ضد
الأمر بوهيموند . والآن قد التقينا على كاهلكم مع أرقام هذا السيد واتباعه
على العدول عن محالهم ويكون لزاما عليكم محاربتهم دون أى انذار مسبق
وذلك فى حالة رفضهم تنفيذ تعليماتنا ، وإذا تعذر محاربتهم بصورة جماعية
فيجب على اثنين منكم على الأقل القيام بهذا العمل بغض النظر عن التعليمات
الخاصة بيومى النزهة المنصوص عليهما فى المجلس العام ، وبشرط ايضا الا
يتراجع احد منكم عن الانعمال التى قررتموها بعد ثالث او رابع يوم .

يبدو من هذا الخطاب انه كان هناك اتفاق بين ملك بيت المقدس للمسيحيين
وبعض الأمراء الصليبيين وبين الحشيشية من اجل القيام بعمدية اغتيالية

(١) هو ملك يهودا أنظر فى هذا الشأن المزيد من التفصيلات أخبار الأيوبيين الثانى



موجهة ضد عدد من القرئح ، كما يتضح احتمال تفكير الأمير وهيموند الخامس في مهاجمة الحشيشية والقضاء عليهم . ولكنه تراجع عن ذلك بعد تمه لف الاسبوعية معهم ، لانه خشى أن يقدم على هذه الخطوة أن يدخل في حرب مع الاسبوعية . وعلى أية حال فقد تمكن البابا من حل هذه المشكلة . إذ اقنع الاسبوعية بفسخ صلتهم مع الحشيشية وعادت المياه الى مجاريها بينهم وبين وهيموند الخامس .

وأذا كان هناك نواح شبه عديدة بين الداوية والاسبوعية من ناحية وبين اسماعيلية الشام من ناحية أخرى ، فتمه لون آخر من المقارنة يفرض نفسه بين جماعة ضليبية أخرى وبين الحشيشية ، ويعنى بذلك الجاليات التجارية الايطالية التي لعبت هى الأخرى دورا كبيرا فى تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة وفى القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) بالذات ، لقد كان لهذه الجاليات دور ملموس زمن الحروب الصليبية وبخاصة الجنوبية والبيزانتية والبيدوقية ، إذ كانوا يسهون فى نقل الجنود والعتاد من موانى أوروبا إلى سواحل مصر والشام ، كما اشتركوا مع القوات الصليبية فى الاستيلاء على الموانى الشامية تحقيقاً لمصالحهم واطمأنهم التجارة فى المنطقة . وقد جنسوا من وراء ذلك ثروات طائلة . وكانت سياستهم تقوم على العمل من أجل الاحتفاظ بالامارات اللاتينية فى الارضى المقدسة أطول مدة ممكنة تمكيناً لمصالحهم وتثبيتاً لوجودهم (١) . ويمكن أن شعار احدى هذه الجاليات وهى جالية البندقية كان : « لنكن أولا بنادقة، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين » فهم يهرون وراء المصالح

(١) جوزيف نسيه : هلاقات مصر بالمهاك التجارية الايطالية — مطبوعات جمعية



والمكاسب والاسلاب دون النظر إلى الصالح الصليبي العام . بل هم يهفنون من القضية الصليبية وسيلة لتحقيق مصالحهم وإطعامهم فحسب ، ولا يشتركون في العمليات الصليبية إلا بالقدر الذي يخدم أهدافهم .

وعلاشك فيه أن هذه السياسة تكاد تكون متفقة تماما مع سياسة الحشيشية بالشام . إذ كان من مصلحتهم هم أيضا إبقاء هذه الإمارات اللاتينية في الشام أطول وقت ممكن تحقيقاً لمصالحهم . إذ سوف يؤدي هذا إلى كثرة حملات المسلمين السنيين ضد الفرنجة وهم الذين أخذوا على ماتهم مهمة إجلاء القوات الصليبية من الشام . وهذا سوف يؤدي إلى إنشقاق السنيين وإغفال هويتهم عن إنساع نشاط الاسماعيلية وسياستهم ، فضلا عن إنهاك قوام ، الأمر الذي يؤدي إلى ضعفهم ثم ضعف مذهبهم فيما بعد ، ويقترب على ذلك إتاحة الفرصة لطائفة الاسماعيلية لنشر دعوتها الشيعية أملا في إحياء المذهب الشيعي مرة أخرى ليرتفع على عرش العالم الاسلامي بدلا من المذهب السني .

ولقد كانت للملك الصجارية الابطالية تجرى وراء مصالحها حينما وجدت فكانت تشترك مع الصليبيين، إذا وجدت في ذلك مصلحة لها . ولكنها سرعان ما تحول عنهم وتشرع إلى انتقامه مع خصومهم المسلمين سواء في مصر أو الشام وذلك وفقا لما قلناه عليها مصالحها الخاصة ، وكانت الحروب الصليبية مجرد ورقة يلعبون بها . لقد كانت مصالح هذه الجماليات التجارية فوق أي اعتبار ، ويتضح هذا من أحد الخطابات الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله يوضح له فيه سياسة البنادقة حياله وحيال الصليبيين فيذكر أنهم يعقرون إليه تارة ثم يحولون عنه ويؤبدون الصليبيين تارة أخرى دون مراعاة لمصالح المسلمين (١) . كذلك كانوا يبادرون بمساعدة الصليبيين

(١) جوزف نسيم : المرجع السابق ص ٦٨ .

بأساطيلهم في أواسط القرن الثاني عشر الميلادي (أواسط للقرن السادس الهجري) ليس خدعة للهدف الصليبي وإنما طمعا في المزيد من الكسب والإثراء فقد كانوا مسيحين متلمهم ، ومع ذلك كانوا يتفاضون أجورا على العمل الذي يقومون به . وكانوا في نفس الوقت يتقربون إلى السلطات المسئولة في مصر خشية ضياع المكاسب التي كانوا يجنونها من وراء التعامل معها وقد استمرت هذه السياسة أيضا خلال القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري). فرغم صدائهم للصليبيين وتقربهم اليهم في ذلك الوقت ، إلا أنهم رفضوا مساعدة الملك الفرنسي لويس التاسع في حملته على مصر لأنهم وجدوا أن مصاحبتهم في ذلك الوقت مرتبطة بمصر (١) . ولعله يتضح من ذلك إتفاق هذه الجهات التجارية في سياستها وأهدافها مع سياسة اسمايلية الشام وأهدافهم . إذ كانوا ينتهجون نفس النهج ويديرون في نفس الطريق ويتبعون نفس الوسائل والأساليب . يستغلون الحوادث والظروف ، ويتلبون في خدمة الأصدقاء والأعداء كلها وجدوا في ذلك غنا لهم . فتارة يقفون مع الصليبيين ويخدمونهم باغتيال أكفأ القواد المسلمين ، وتارة أخرى يؤيدون مواقف المسلمين الصينيين ضد أعدائهم الصليبيين ، وتارة يقفون مع الحشيشية ضد الصليبيين أو المسلمين أو ضد كليهما معا. وكان ذلك وفقا لما تلقاه عليهم مصالحهم الخاصة . وكما كانت هذه الجهات الايطالية لا يعنيهها الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها كذلك اتخذ الحشيشية من الدين الاسلامي ستارا يحققون من وراءه أهدافهم.

وهكذا قدر للعالمين المسيحي والاسلامي أن يشهدا في فترة من أخطر

(١) جوزيف نسيم ، المراجع السابق ص ٢٠ - ٢٤ .

الفترات التي شهدها الشرق الأدنى ، وجمـ ود ثلاث طوائف مختلفة الأديان
والمذاهب ومعبادة في العادات والتقاليد ، ولكنها مع ذلك كانت تسير في خط
واحد لا تحيد عنه وهو يتناول في مصالحها الشخصية . فكانت تعقب بين عاقبة
الأعداء ومعاداة الأصدقاء وفقاً لـ لـ تجليه عليها مصالحها ، صرف النظر عن أي
اعتبار آخر .

الفصل الخامس

تقييم العلاقات الصليبية الاسماعيلية

إختلاط تاريخ الاسماعيلية بتاريخ كل من الصليبيين والسنين
وأثر ذلك تخوف كل من الفرنجه والذين من الحشيشية
ونائبه - تحايل المواقف والسياسات التي اتخذتها الاطراب
المصارعة ، ومدى الالتزام بها عند التطبيق العملي - أثر الخلاب
المذمعي بين المسلمين على الوجود الصليبي في الأراض المقدسة ،
ومدى ما حققه الفرنجه من وراء ذلك - مصدر الاتصالات
الصليبية الاسماعيلية - الموقف لو لم يظهر الحشيشية على
مسرح الأحداث وقتذاك - الموقف لو ظهرت طفة الاسماعيلية
دون وجود صراع صليبي - دوال دولة الحشيشية في الشام
وأثره على الصراع الصليبي الاسلامي - أسباب فشل اسماعيلية
الشام في تحقيق اهدافهم في المنطقة - أهمية المصادر الادبية
في الكشف عن طبيعة العلاقات الصليبية الاسماعيلية .



بعد أن تعرضنا في الفصول السابقة لمشأة طائفة اسماعيلية الشام ونظمها
وإعلامها وشيوخها ، وبعد أن كشفنا عن سياستها تجاه الطرفين المتصارعين على
مصرح الأحداث ونعني بها الأصليين والسنين وموقف هذين الطرفين منها ،
نتنقل إلى تقدير الأثر الذي تركته تلك الطائفة وبيان مدى ماحقته من
نفايع من وراء السياسة التي اتبعتها حيال كل من الفرنجة والمسلمين السنين .
ولا يتسنى هذا إلا بعد تحليل وتقييم العلاقات المتشابكة التي قامت بين الأطراف
الثلاثة خلال الفترة موضوع البحث ، حتى تكتمل الصورة من كافة جوانبها
وزواياها .

شهدت بلاد الشام منذ أواخر القرن الخامس وخلال القرنين السادس
والسابع من الهجرة (أواخر القرن الحادى عشر والقرنان الثانى عشر والثالث
عشر) حروبا ومعارك دامية شنها الغرب الأوروبى ضد المسلمين فى الشرق
الأدنى . وكان لظهور طائفة اسماعيلية للشام أثناء هذه المعارك أثره الكبير على
مجريات الأمور والأحداث وعلى خطوط المعارك الحربية بل وعلى الأوضاع
السائدة فى المنطقة وقتها ولفترات طويلة لاحقة . ذلك أن وجود هذه الطائفة
التي تدين بالمذهب الشيعى وسط طرفين متحاررين أحدهما يدين بالمذهب السنى
فرض عليها أن تتخذ سياسة معينة تتفق مع مصالحها أولا وقبل كل شئ ، كما
دفعها الى تقوية نفوذها وعميق وجودها وحشد حردوها فى المنطقة على
حساب الصراع الدائر فيها . وكان من الطبيعى أمام هذه الظروف المتشابكة
المداخلة المقسدة أن يكون هناك اختلاط وتشابك بين تاريخ الحشيشية
وتاريخ كل من الصليبيين والسنين . ذلك أن كل طرف من هذه الأطراف
الثلاثة كانت له أهداف وغايات تشابكت وتداخلت فى بعضها أحيانا وتعارضت



وتنافرت . بماعدت أحيانا أخرى . وكانت المصلح والظروف والملابسات المحيطة هي التي تفرض هذا التضارب أو التباعد وذلك للسلام أو الجفاء . ففى الوقت الذى استعد له السنيون للقضاء على الوجود الصليبي مع العمل على اجلاء الصليبيين الدخلاء من الاراضى المقدسة ، كان هناك طرف يمثل فى الحشيشية يهدف الى ابقاء الوضع على ما هو عليه حتى يضمن وجوده هو كقوة منارلة للسنيين تعمل على اضعافهم والتهوين من شأنهم ، الامر الذى يسهم فى القضاء على المذهب السنى ونشر المذهب الشيعى فى شتى انحاء العالم الاسلامى المعروف وقعدالك . وكان هذا هو أقصى ما يعمناه الشيعة واسماعيلية الشام وهذا هو نفس الشيء بالنسبة للصليبيين الفريين من الحشيشية . فتراهم فى الوقت الذى يسعون فيه من أجل مد نفوذهم وزيادة قوتهم فى الاراضى المقدسة على حساب الفريقين المتصارعين ، نجدهم يعملون على تدعيم أو اوسر الصداقة مع الحشيشية ليضمنوا تأييدهم لهم فى حربهم ضد السنيين ، أو على الاقل يضمنوا حيادهم وعدم تعاونهم مع الفريق السنى الامر الذى يهدد الوجود الصليبي بشر كبير . وبلاحظ أن السياسة الصليبية فى هذا الصدد قد حققت أغراضها فى كثير من الاحيان ، وان كان قد خانها التعريف فى أحيان أخرى . ولقد كانت النتيجة الطبيعية فى مثل هذه الظروف الصعبة أن تشهد منطقة الشرق الادنى طوال القرن لثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى) نوما من الاختلاط والتلاحم فى العلاقات بين هذه الأطراف الثلاثة كان له أثره المباشر أو غير المباشر على سير مجرى الاحداث التاريخية بالمنطقة خلال الفترة موضوع البحث وبعد ذلك بزمن غير قصير .

لقد نتج عن هذا الاختلاط أن التزم كل طرف من هذه الأطراف الثلاثة سياسة مستقلة تكيف وفقاً لمقتضيات الظروف والأحوال صار عليها عند تعامله



واتصاله بالطرفين الآخرين . نرى أن الحشيشية قد تفانوا من أجل الحفاظ على سياستهم وتطبيقها تطبيقاً عملياً سليماً يتمشى مع أهدافهم وغايتهم، ممتسكين في ذلك بمبادئ أسلافهم ، تلك السياسة التي ظلوا يكاثرون من أجلها حوالي قرنين من الزمان وعلى هذا كانوا يلتزمون في كل موقف من المواقف التي تواجههم بنفس سياستهم دون محاولة الإنحراف عنها ، وجدبر بالذكر هنا أن السنين والصليبيين كانوا على وعي تام بهذه السياسة التي سار عليها الحشيشية والتي جعلتهم يلتزمون جانب الخيطة والحذر عند تعاملهم معهم أو احتكاكهم بهم . ولذلك كان الاسماعيلية بالشام دائماً يتقبلون في خدمة الأصدقاء والأعداء حسبما يميله عليهم مصالحهم التي كانت فوق كل اعتبار ، محاولين القضاء على المذهب السنّي ، ومتخذين الدين الاسلامي ستاراً دقيقاً شفافاً يخفي حقيقة الطمع فقد ظهروا أمام العالم الاسلامي باعتبارهم المحافظين على تعاليم الدين الاسلامي وشرايعه في الوقت الذي تتعارض فيه نظمهم وعقائدهم وتعاليمهم وتفكيرهم تعارضاً تاماً مع القيم العليا السامية التي ينادى بها هذا الدين . ونتج من هذا أنهم أضحوا قوة سياسية كبيرة لا يستهان بها يعمل لها الخصوم والأصدقاء ألف حساب . ويوضح مدى التزامهم بتطبيق هذه السياسة من موقفهم من السنين والاتصالات التي تمت بينها . إذ كانوا دائماً يحاولون تحقيق الهدف الرئيسي لهم وهو التغلب على المذهب السنّي والقضاء عليه متخذين من سياسة العتق يقادته وزعمائه وسيلة لتنفيذ مآربهم ، لأنهم وجدوا أن هؤلاء القادة بمثابة الرأس المدبرة والقوة المحركة لأي وحدة إسلامية سنية تقوم في المنطقة وبالتالي تهدد وجودهم . وخير مثال على ذلك موقفهم من الرواد الأول لحركة الإفاقة الإسلامية في بواكير القرن الثاني عشر الميلادي (بدايات القرن السادس الهجري) للوقوف في وجه الخطر الصليبي الذي كان قد استفحل أمره في



في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، وكان من نتائج هذه السياسة إغتيال كل
مورد و آقسنقر البرسي فضلا عن المحارلين الفاشلئين للقضاء على السلطان
صلاح الدين الأيوبي . وتبجلى سياسهم أيضا في وقوفهم بجانب الصليبيين
ضد القوى الاخلاية السنية بزامة نور الدين محمود (١) . كذلك وجد
الحشيشية بصفة عامة أن مصالحهم واحدة ومشاركة مع الصليبيين الدخلاء ،
ولذا سعوا إلى التقرب منهم لتكوين جبهة واحدة تسكن من تشايت القوى
السنية في المنطقة ، الأمر الذي يسعدم على تحقيق أهدافهم والقضاء على هذه
القوى ونشر المذهب الشيعي . ولا يعني هذا الالتزام على طول الخط بتلك
السياسة الرامية إلى التفاهم مع العدو الصليبي . فكثير ما حل الجفاء محل السلام
بين الطرفين ، وكثيرا ما اصطدما في مناوشات خفيفة أو معارك دامية . ثم
أن محاولات التقارب والتفاهم بين الطرفين كانت تملها عليهما اعتبارات المصلحة
المشتركة في القضاء على العالم السني الذي كان يمثل عقبة كبيرة أمام مطامع كل
منها . وغير خاف أن سياسة التقارب والتفاهم بينها كانت تملها مصالحها المشتركة
برغم تباين الأهداف . فالصليبيون الغربيون يريدون القضاء على العالم السني
لحقيق أطامهم في المنطقة بينما كان هدف حشيشية الشام تثبيت نفوذهم
وتدهيم كيانتهم على حساب العالم السني . لذلك لم يكن من المنتظر أن تسعمر
أو أن تدرم مثل هذه السياسة لهم وجود الأسس المعينة الناجبة لاسعمرارها
ورسوخها . بل والأكثر من ذلك نجد أنه في بعض الأحيان كانت اعتبارات
المصلحة المشتركة تربط بين اسماعيلية الشام وبين السنين في المنطقة . وعلى

(١) تناولنا هذه الناحية في تبي من التصيل في الفصل الرابع انظر



هذا الأساس نجد أنه في فترة من الفترات حدث صفاء في سماء العلاقات بين الحشيشية والسنيين ، وكان ذلك في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي (أخريات القرن السادس الهجري) ، أي منذ إبرام معاهد الصلح بين السلطان صلاح الدين وبين مقدم الاسماء ياقية راشد الدين ستان ١١٧٦ م / ٥٧٢ هـ . ولكن هذا الصفاء الذي حدث لا يعني البتة تحلي الحشيشية عن سياساتهم التقليدية ، فهو لم يكن صفاء مذهبيا ، بمعنى إن لم تنفخ الخلافات المذهبية العميقة بين الطرفين ، ولم يؤد إلى تحلي أنصار كل من المذهبين السنن والشيعي عن سياسته ومبادئه وتجميد الوضع على ما انتهى إليه في ذلك الوقت والذي يتلخص في أن يسود المذهب السنن أرجاء العالم الاسلامي المعروف وقتذاك ويصبح زعيمه هو المترع على العرش .

وعلى هذا كان الصفاء يذهبها بكلمة أوضح في التعبير نوحا من الركود خلال فترة زمنية طالت أو قصرت يمتنع فيه كل طرف من الاحتكاك بالطرف الآخر . ومع ذلك كان سكونا مؤقتا اقتضاه ظروف معينة بعد أن ظل كل منهما طوار رحلة شاقفة طويلة من السنوات يحارب الآخر. سياسيا وحريريا ومذهبيا ، ويستغل كل الأساحة المتاحة له لتحقيق انتصاره على خصمه ومن المحتمل أن يكون كل من الطرفين قد افتمل هذا الركود من أجل خلق استراحة قصيرة أو هدنة مؤقتة يحقق كل منهما يدهم أهدافه ومكاسبه كفيما يشاء وبالأسلوب الذي يراه على حساب الآخر فبالنسبة للحشيشية كانوا يسعون إلى انهالك السنيين والاضفاء عليهم وعلى قادتهم وتمثل هذا بجلاء في موقفهم من صلاح الدين الذي كان يدهم عبارة عن كفاح وجهاد مستمرين ضد الصليبيين والحشيشية على السواء . هذا بالنسبة للحشيشية ، أما بالنسبة للسنيين فرميا رأوا في تلك الاستراحة القصيرة فرصة ذهبية ينفروا لها من أجل



تحقيق الجهاد الأكبر وهو توحيد الشرق الأدنى الإسلامي توطئة للقضاء على الصليبيين واجلائهم من الأراضى المقدسة ، ثم التمسككم بعد ذلك في تصفية الموقف مع الاسمايلية ومذهبهم ولكن بيد أن الفدر كان رحياً بأنعمار المذهب السنى ، إذ جعل بوفاة سنان وأضعف حال أتباعه من بعده في الوقت الذى تضاعفت فيه قوة السنين وازدادت مكاسبهم على حساب الصليبيين . وقد أدى هذا إلى خيبة أمل الحشيشية بل وإلى ارتباك الحفظ الذى خططوه واهتزاز سياستهم وقد ساعد على القضاء عليهم في نهاية الأمر على يد السنين بزعامة الظاهر بيبرس في النصف الثانى من القرن السابع الهجرى (النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى) .

ولاشك أن الصليبيين قد واجهوا ضربة قاصمة من وراء فترات اتفاسق الحشيشية والسنين ، لأنهم كانوا يصدون هجمات السلطان من جانب ، ويتصدون لمخاطر العدائرية من جانب آخر . لذا كان عليهم أن يعملوا جاهدين من أجل توسيع شقة الخلاف المذهبى من جديد بين السنين والحشيشية حتى يتفادوا توحيد جهودها وبذلك يتهيأ الجو الملائم لتحقيق النصر على السنين . ومهما يكن من أمر ، فهناك صورة أخرى تلقى المزيد من الضوء على مدى التزام اسماعيلية الشام بسياستهم التى اختطوها وساروا عليها . ونعنى بذلك عداء العدائرية للصليبيين الذى انتهى باغتيالهم بعض كبار الفرنج مثل ريموند الثانى صاحب طرابلس وكونراددى مونتفرات صاحب صير . ولقد وجدوا في الوقت الذى اغتالوا فيه هذين القائدين أن مصالحهم تحتم عليهم اتخاذ ذلك الموقف ، فهى إذن سياسة متعددة الجوانب والزوايا ، متشابكة الخيوط ، ولكنها مع ذلك تلتقى عند غاية واحدة وهدف واحد وعلى هذا نراهم في الوقت الذى يشعرون فيه أن مصالحهم تفرض عليهم عدم وجود هذه الصداقة



مع طرف من الأطراف . المعنية سرعان ما يتقبلون ضده وتتحول الصداقة إلى عداه سافر وهكذا . والأمننة على ذلك عديدة نستقيها من أحداث البحث ووقائعها ، مثلما حدث بالنسبة لحادثة إعتيال القائم بن الصليبيين ، فقبل مقتلها كانت علاقة الصليبيين بإسماعيلية الشام يسودها الود والاستقرار . ولكننا نغلب فجأة إلى عداه انتهى باغتيال زعيمين كبيرين للفرنج بالشام .

وإلى جانب ما تقدم ، نجد أن الصليبيين كانوا هم أيضاً ثابتين في سياستهم حيال إسماعيلية الشام . إذ كانوا يحاولون الاستفادة من كل مرافق العداة بين السنيين والحشيشية تحقيقاً لمصالحهم الخاصة فزاهم مثلاً بفتح زون فرصة العداة الذي ظهر بحملته بين إسماعيلية الشام والسنين أيام تاج الملوك بوري صاحب دمشق ويحاولون بالحالف معهم لأخذ دمشق مقابل أن يسلموا الحشيشية مدينة صور^(١) . ويتضح ذلك أيضاً عندما انهز الملك عموري ملك بيت المقدس الصليبي فرصة العداة الشديد بين إسماعيلية الشام والسنتان صلاح الدين الأيوبي وأبدى موافقه على عرض سنان في التحالف معه . وكان الملك للصليبي في موقفه هذا يعيد النظر وهو يحمل لمصلحة الصليبيين ، لأنه سوف يضمن بتحالفه مع إسماعيلية الشام وقوفهم على الجهاد في الصراع الدائر بينه وبين السنيين من ناحية كما أنه سوف يأمن شرهم من ناحية أخرى^(٢) .

وهكذا تركت سياسة الأسماعيلية أعمق الأثر على موقف كل من الصليبيين والسنين ، إذ تمكن كل منهما أن يجني الكثير من وراء ذلك وإن كان قد

(١) ابن التلاني ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٢ وللمزيد من التفاصيل عن

هذه الرواية انظر الفصل الثاني

Guillaum de Tyr, op cit., 996.

(٢)



واجها بعض الصعاب والعقبات أحيانا . فبالنسبة للصليبيين كانوا يشعرون أن وجود هذه الطائفة على مسرح الاحداث إن لم يحقق لهم رجحان كفتهم على السنيين بصعالتهم ، ما ، فعلى الأقل سوف يعمل على إيجاد نزع من التوازن بينهم وبين السنيين . ثم أنهم سوف يأمنون غدر خناجر الفداوية ذلك أنهم كانوا يعلمون جيدا مدى العداة الذى يكنه كل من الاسماعيلية والسنيين حيال الآخر ، وكانوا يدركون تماما مدى المنافسة بينهما من أجل نشر مذهب كل منها وتقوية على حساب مذهب الطرف الآخر . ثم أنهم كانوا يعلمون أن فرص التقارب بين هاتين الجماعتين قليلة بل تكاد تكون بعيدة المثال . هذا فضلا عن أنه لو تم تقاربا فلن بطول بل سرعان ما سيتحطم أمام ضخمة الرغبة في وجود أحمـد المذهبين فقط على حساب الآخر . ولذا حاول الصليبيون استغلال نقطة الضعف هذه وأخذوا يعملون على اكتساب صداقة الحشيشية والعمل في نفس الوقت على تعميق هـوة الشقاق بين أصحاب المذهبين السنى والشيعى حتى يتمكنوا من خدمة مصالحهم . وبناء على ذلك استغل الصليبيين كافة الظروف المحيطة بهم إستغلالا كبيرا فنلا أناحت لهم فرصة قضاء السلطان صلاح الدين الأيوبي على الخلافة اللطمية في مصر إلى جانب العداة التقليدى بين الشيعة والسنة ، فرصة طيبة لتحقيق أهدافهم ، فانصلوا ببعض المتآمرين بمصر من أجل إعادة المذهب الشيعى مرة أخرى (١) . وإلى جانب هذا تمكن الصليبيين أيام حملة الملك لويس التاسع على بلاد الشام في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السابع لهجرى) من استغلال هذا

(١) اومبرنوتزينانو : صفحة من تاريخ العلاقات بين وليم الثانى النورمانى وصلاح الدين انظر مجلة كلية الآداب — جامعة الإسكندرية — المجلد الخامس (١٩٤٩) ص ١٩٢



للمراع التقليدي المستحکم بين المذهبين، والإفادة من النزاع القائم بين مسلمي الشام ومصر في ذلك الوقت لتحقيق مصالحهم .

فقد وجدوا فيه فرصة طيبة لتبادل البعث والرسل مع كل من مماليك مصر والابويين والحشيشية في الشام وأخذوا يهددون أمراء مصر بالانضمام إلى خصومهم بنى أيوب في الشام أن لم يسرعوا بإجابتهم إلى مطالبهم. ثم يؤكدوا للأبويين أنهم لن يترددوا في مناصرتهم على أعدائهم بمصر أن أهمل الممالك مطالبهم ، فيحثون الطمأنينة في نفوسهم ومع ذلك لم يوصدوا الباب نهائياً في وجه السنين في مصر والشام بل تركوه مفتوحاً لياجؤا منه في أي وقت يشاءون . وم بعد ذلك كله يركون الفريقين المتنافسين جانباً ويتجهون بابعارهم وتقلهم نحو اسماعيلية الشام في محاولة هدفها اكتسابهم إلى جانبهم ضد كل الممالك في مصر وبقايا الأبويين في الشام^(١). وفي هذا إشارة واضحة للاختلاف المذهبي بين الممالك في مصر وبقايا الأبويين في الشام وهم من المسلمين السنين وبين اسماعيلية الشام الذين يدينون بالمذهب الشيعي .

هذا بالنسبة للصليبيين ، أما بالنسبة للسنين فلما لاشك فيه أنهم اكتسبوا من وراء وجود طائفة اسماعيلية الشام في المنطقة التي الكثير رغم أن هذا لم يكن بناء على تخطيط سابق متفق عليه من الطرفين . وإنما الظروف وحدها هي التي خدمتهم . في ذلك المجال لأن مجرد وجود عداء بين الاسماعيلية والصليبيين كان يتجم عنه اغتيال القداوية لكبار القادة الصيبيين وبذلك يؤدون أجال خدمة للسنين الذين كانوا يهدفون في المقام الأول إلى القضاء على الكيان الصليبي في الأراضي المقدسة وقد اتضح ذلك فيما سبق ذكره عندما تعرضنا

(١) جوزيف نسيب ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ص ٣٥٠ .



لموضوع إغتيال كل من الأمير ريموند الثاني صاحب طرابلس والمركز كوتراذ
دي مونتفرات صاحب صور وملك بيت المقدس (١)

ولقد نتج عن هذا وجود عداء خفي يمكنه كل طرف من هذه الاطراف
الثلاثة للآخر ، وبات كل من أمراء المسلمين السنين والفرنج يحسبون حساب
فداوية الشام . ويحشون بطشهم وسياستهم الارهابية التفتحة على الاغتيالات
المنظمة والفك بكل من يقف عقبة أمام أطهامهم . وآية ذلك العطف والتأييد
الذيان تمتعتهما الدعوة الاسماعيلية في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي
(أوائل القرن السادس الهجري) عند بداية نشاطها بالشام وذلك من حكام
المنطقة مثل رضوان صاحب حلب وابنة الب ارسلان (٢) ويتضح هذا بجلاء
أيضاً في زيارة الكونت هنري صاحب شامباني والملك الاسمسي لبيت المقدس
لمعاقل الاسماعيلية في الشام . ورغم أن هذه الزيارة قد تمت بعد الحاج شيخ
الجليل إلا أنه بدد أن الصليبيين قد وافقوا على قبول الدعوة حتى يتجنبوا
أي شرخ في العلاقات قد يقع بينهم وبين الاسماعيلية نتيجة عن سوء الفهم الذي
يمكن أن ينجم عن عدم إتمام هذه الزيارة أو عدم قبولها ، فضلاً عن رغبة
الصليبيين في تدعيم علاقات الود والصدقة بينهم وبين المشيشية تدهيما لكيانهم
في المنطقة بعد أن تبلورت حركة الاقافة الاسلامية وقتها بظهور شخصيات
اسلامية بارزة أخذت على نفسها مهمة توحيد منطقة الشرق الادنى الاسلامي

Gaillaume de Tyr, op. cit., p. 797

(١)

Erales, op cit, p. 182.

(٢) أوضع لنا دفريري مدى هذا التأيد أنظر :

Defrémy, op cit., p. 377,



نوطنة لتوجيه ضربة قاسمة إلى بنية ما قبل اللاتين في الشام . واصل موقف شيخ الجبل من الزعم الصليبي عندما جملة يرى بعنى رأسه كيف بطيعة فدأويه طاعة عمياء حتى ولو كان في ذلك هلاكهم ونهايتهم – لعل في هذا الموقف ورد الفعل من قبل هنرى صاحب شامباني ما يؤكد حقيقة مشاعر الصليبيين حيال الاسماعيلية ومدى المخاوف والهواجس التي كانت تغتلبهم بمجرد رؤية أحد القداوة وهو يلقى بنفسه من أعلى القاعة أو وهو يطمئن نفسه بمنجبره استجابة لأمر سيده .

وعلى أية حال ، إذا كنا قد اوضحنا ان كلا من الطرفين الصليبي والسني كان متخوفا من تلك الفرقة الشيعية ، إلا ان هذا مرجعه ليس خناجر القداوة فحسب ، بل لان السنيين كانوا يخشون ايضا تقلل المذهب الشيعي وانتشاره بحيث –ورد في يوم من الايام ويطفى على النفوذ السني مما يؤدي إلى القضاء عليه وعلى ابناءه . كذلك كان العالم السني يخشى قيام تحالف وإتحاد يضم الصليبيين والحشيشية في جبهة واحدة مما يساعد على تشتيت الجبهة السنية وضمها أمام القوتين المتنافستين . وهذا هو نفس الوضع بالنسبة للصليبيين ، او كانوا يرون ان مجرد التقارب بين القوى السنية والاسلامية إنما يشكل خطرا دائما عليهم وعلى مصالحهم في المنطقة . ولذا كان عليهم ان يبذلوا جهودهم من اجل عدم اتاحة الفرصة لقيام اى نوع من الوحدة او التفاهم يمكن ان يجمع بينهما في صعيد واحد ونفس ساذكرناه عن السنيين والصليبيين يمكن ان نقره بالنسبة للاسماعيلية فهم ايضا كانوا يخوفون من اى تفاهم ولو كان وقتيا قد يتم بين اللاتين والمسلمين والسنيين وهكذا كان المسيحيون الغربيون والمسلمون والسنيون يخشون فدأوة الشام ، وكان الاسماعية ايضا يعملون بسنى السبل على الا يتم اى تفاهم بين الترفيقين الآخرين .



واسعكالا لتقييم العلاقات بين الصليبيين راسمعية الشام فهناك عدة تساؤلات
 تطرح نفسها وتلح في طلب الاجابة منها ، وذلك حتى نكتمل الصورة من
 كافة جوانبها ولعل أول هذه التساؤلات هو ، هل كان ينتظر لاية اتصالات
 صليبية اسماعيلية أن تصل إلى نتائج حاسمة رة طمة ؟ . مما لاشك فيه اننا إذا
 رجعنا قليلا ال الوراء وأمعنا النظر في الاظمة الاسماعيلية لوجدنا ان هذه
 الطائفة التي اصبحت قوة سياسية كبرى في وقت من الأوقات ، والتي كان
 يحشاه الملك والأمرام المسلمين والفرنج طوال مدة وجودها في الشام ، أي
 منذ بداية القرن السادس حتى أواخر القرن السابع الهجري (منذ بداية القرن الثاني
 عشر وحتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) لم يكن لديها جيش قومي منظم
 مدرب أحسن تدريب ومزود بالاسلحة على غرار الجيش الصليبي أو الجيش
 السني يمكن الاعتماد عليه في صد الهجمات القوية ومواجهة الهزات العنيفة التي
 تعرضت لها طوال تاريخها ، والتي كان لها اكبر الأثر في الحد من قوتها
 في المنطقة فلم تكن أعمالها الحربية تخرج عن نطاق ما نسميه اليوم باسم العمليات
 الفدائية . وهي عمليات ، مها وسعت ، فهي محدودة ضيقة وتأتيها بالعالي غير
 حاسمة أو قاطعة . وبناء على ذلك لم يكن تفوذها راجع إلى وجود قوة
 عسكرية مهمتها ، بل إلى نظام متقن يعتمد أساسا وقبل كل شيء على قوة
 العقيدة . فبدون هذه العقيدة القديمة التي كان يجمعها أفراد اسماعيلية الشام
 والتي حكمتهم جميعا يدينون بالتبعية والطاعة العمياء لشيوخهم ، ذولا
 ذلك لفضي آيها بأكلها منذ نشأتها وظهورها على مسرح الأحداث. وبطبيعة
 الحال فانه لم يكن ينتظر أن يرجي أي فائدة إذا ما حدث تحمـ الم بصورة
 جدية بين هذه الجماعة وبين الصليبيين في المجال الحربي وة ذلك ، لسبب بسيط
 وواضح وهو ان العمليات العسكرية لا تمتد على الاعتيالات الردية فحسب



وهي التي يفتن تنفيذها فداوية الشام ؛ بقدر اعتمادها على حسن القيادة الحربية وحسن استعمال الاسلحة ووضع الخطط الحربية السليمة والقيام بهجوم او صد عدوان ، وكل هذا لم يكن اسماعيلية الشام يتمتعون به هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لو فرض وحدث شر هذا التحالف الصليبي الاسماعيلي فيبدو انهما كانا يكتب له الدور والالتزام - تكرار لا اختلاف كل منهما عن الاخر في العقيدة والديانة والهدف فلم يكن يحميهما سوى عدو واحد مشترك معنن في القوي السنية الموجودة في المنطقة . بمعنى انه لو زال هذا العدو بالنسبة لكلية - لا توجدت حاجة العلة التي تربط بين مصالح الصليبيين والاسماعيلية وظهر الخلاف واضحا وسامرا بينها . ورغم ذلك فقد حاول الصليبيون ، كما سبق ان اوضحنا . اقامة اتصالات وعقد اتفاقات مع الحشيشية في عهد راشد الدين سنان للوقوف مما في مواجهة السلطان صلاح الدين الايوبي .

وجدير بالذكر في هذا المقام ، أن الصليبيين إذا كانوا قد طلبوا من الحشيشية ، لم يكن ذلك بهدف الحصول على مساعدتهم في حربهم ضد السنيين ، وإنما بهدف أن يأمنوا شرهم من جانب ، وأن يوجهوا السنيين من جانب آخر بأنهم قد أضافوا على قوتهم قوة أخرى كان يخشاه كل من يسمع عنها ، الامر الذي يساعد على تحطيم الروح المعنوية والنفسية عند السنيين وادخال الرعب في قلوبهم . وبناء على ذلك ، لم يكن يرنجى أية نتيجة حاسمة من وراء أى اتصال صليبي اسماعيلي ينهى بالتحالفت بينهما . والنتيجة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها هي أن يأمنوا شرهم ويستفيدوا بطريق غير مباشر من عداة الحشيشية للسنيين ، وبذلك يحققوا غرضين في وقت واحد

وإذا كنا قد أوضحنا مدى افادة كل من الصليبين والسنين من وراه وجود طائفة اسماعيلية الشام سواء بطريق مباشر أم غير مباشر ، والدور الذي قامت هذه به الطائفة على مسرح الأحداث ، فما هو الموقف لو لم تظهر هذه الطائفة بالشام وقتذاك ؟ بما لا شك فيه أن وجود العشيئية في ذلك الوقت بالشام الذي كان فيه الصراع فعلياً على أشده إنما كان بشكل خطراً كبيراً على المنطقة . هكذا ، رغم أن وجودهم قد أهدأ كثيراً كلا الطرفين المتصارعين في شتى المواقف والميادين ، وإن كانت تلك الفائدة في بعض الأحيان غير مقصودة أو معقدة وبدون تخطيط سابق لها ، ومن الطبيعي أنه لو لم يظهر اسماعيلية الشام وقتذاك لفضحت ^{شنتى سور الزمير} القوى في المنطقة ، ولما غم أحد الفريقين على حساب الآخر ، أو على الأقل لتغير مسار الأحداث في رقعة الشرق الأدنى خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين . ويحتمل بناء على ذلك أن عدم وجود العشيئية في منطقة كان سيشكل فائدة كبرى بالنسبة للسنين ، لأنهم كانوا سينمكون من تجمع قوام وتركيبتها لقضاء على هدو واحد فقط هو الصاييين دون أن يكون هناك أدنى خوف من غدر الفداوية ومن خناجرهم المسمومة التي كانت تقمذ في صدور كبار قادتهم من وقت لآخر . ولربما أدى هذا إلى زيادة الانتصارات التي حققوها على الصليبيين ، بل وربما أدى الأمر إلى سرعة استرداد بيت المقدس وغيرها من المعاقل والحصون التي وقعت في أيدي العدو الغاشم في وقت أقرب بكثير من الوقت الحقيقي الذي استغرق لتنفيذ هذا الهدف . فـسكان وجود العشيئية كان بمثابة حجر عثرة في وجه السنيير وأحد العوائق التي عرقله الوحدة الإسلامية التي طالما نادى بها كثير من قادتهم ، ثم تحققت أخيراً على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في أخريات القرن السادس الهجري ، والاشارة على ذلك

كثيرة تعرضنا لها على امتداد الكتاب فلولاً فداوية الشام لما قتل كثير من
 أئمة السنين الذين بنوا الرهبة والخوف في قلوب الصليبيين ، مثل الأمير
 جناح الدولة صاحب حمص وكل من مودود وآقسنقر البرسقي ، ولما
 تعرض السلطان صلاح الدين للمجاهدين الفاشقين الذين كدنا أن نعليجهم
 بحياته وبمجيد الأمة الإسلامية في ذلك الوقت .

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من الطرفين المتصارعين في المنطقة
 ونعني به الصليبيين ، لوجدنا أن لولا وجود أسماء يلية الشام بالمنطقة لما تمحدثنا
 من تخفيف ما حققوه من بعض الانتصارات على السنين خلال فترة وجودهم
 بالشام ، ولما تمكنوا أيضا من انتهاز الفرص التي أتت لهم نتيجة لعدهاء
 الحشيشية الذين والتي استغلواها إلى أقصى حد أثناء العدوان العاصي على
 الشرق الأدنى . والامثلة على ذلك كثيرة تعرضنا لها بالتفصيل في
 ثنايا الكتاب . فمثلا مقتل كل من مودود وآقسنقر البرسقي بأيدي فداوية
 اشهام أدى لارتباك كبير في صفوف المسلمين والسنين في وقت كانوا يستعدون
 فيه لفككتهم أنفسهم وتوحيد جيوشهم ، مما شجع الصليبيين على إنتهاز الفرصة
 وتدعيم قواهم ومضاعفة استعداداتهم العسكرية تمهيدا لمواجهة السنين .
 فكان هذا بمثابة خسارة كبيرة لفصية الجهاد الديني والبقظة الإسلامية
 بحدرا ما هو كسب الصليبيين الدخلاء . وإلى جانب هذا يمكن القول بأنه لو
 قدر عدم ظهور جماعة الحشيشية في ذلك الوقت لأفاد الصليبيين كثيرا من
 من وراء ذلك ، وحبهم أهم كانوا لن يتعرضوا للخسائر الجسيمة التي
 واجهوها بالفعل عقب اغتيال الكثير من كبار قادتهم من أمثال ريموند الثاني
 وكونراد دي مونترات وريموندين بوهيموند الرابع صاحب انطاكية



وطرابلس وفيليبدي مونفورت (١) إذ كان من نتائج فقدان المملكة الصليبية هؤلاء القادة اللاتين أثرا كبيرا في مجربات الأحداث ، لانه أتاح الفرصة للصليبيين اللذين استنفوا الارتباك الذي حدث في شترب الصليبيين وتمكنوا من مضاعفة قواتهم وتدعيمها بالنسبة التي التي أدى إلى انتصارهم في كثير من المعارك وبصفة خاصة أثناء الحملة الصليبية الثالثة التي كانت بقيادة الملك ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا والتي انتهى بها الأمر إلى الانسحاب والعودة إلى أوروبا مصحوبة بمار الهزيمة والقشل .

وغنى عن القول ، أن وجود اسماعيلية الشام أهداه الصراع الصليبي الإسلامي كان له أثره الكبير بالنسبة للطرفين المتصارعين وتأثيره الخطير عليهما ، وإذ كنا قد توصلنا إلى نتائج هامة عند تعرضنا للموقف الذي ينتج عن عدم وجود الحشيشية في المنطقة أثناء هذا الصراع ، فيحتم أن نلقى نظرة عريضة وشاملة للموقف الذي ينشأ إذا ظهرت تلك الطائفة في المنطقة في وقت لم يكن هناك فيه أي أثر للصراع القائم بين الصليبيين من جانب والصليبيين من جانب آخر فمن الطبيعي انه كان لوجود الصليبيين على مسرح الأحداث أثر كبير وواضح على السياسة التي اتبعتها الحشيشية في صراعهم ضد الصليبيين ، لأن مجرد انشغال هذه القوى الدينية في توحيد الجبهة الأسلامية ، والتأهب لمحاربة أعدائها الصليبيين إنما يعد كسبا كبيرا لطائفة الاسماعيلية ، إذ يفتح لها فرصة أكبر للعمل على أضعاف المذهب السني ومحاربه دون

Eracles, op. cit., p 192, Chronique de Terre Sainte, L 6 (١)

Gestes de Chip ois, Cf R.H.C. — Duc. Arm., t. II, p. 77.

وتد شرتنا الى ذلك في الفصل الرابع



مقاومة جديده من جانب . فضلا عن أن المارك الحربية التي قد تنشأ بين الفريقين السنى والصليبي قد تبعد السنين ولو قليلا عن مهاجمة الاسماعيليه أو التفكير في القضاء عليهم وعلى قلاعهم الأمر الذي يساعدهم على مضاعفة قواهم وتغلغل نفوذهم . وبناء على ذلك فإن افتراض عدم وجود الصليبيين في المنطقة إنما يشكل خطراً كبيراً على الحشيشية خاصة وأنهم ظهروا في وقت كانت فيه الدولة الأيوبية في عنفوانها وشبابها وعلى رأسها زعيم قوى وسياسى هو الناصر صلاح الدين يوصف ابن أيوب . ولا شك ان تفرغ السلطان في حالة عدم وجود الصليبيين كان سيساعده كثيراً في سرعة القضاء على هذه الطائفة حفاظا على استمرار تربع الخليفة العباسى السنى على عرش العالم الإسلامى وإقامة الخطبه له في شتى أنحاء هذا العالم .

واستكمالاً لسلسلة التساؤلات التي أوضحتها والتي يفرضها علينا هذا البحث من خلال تقييمنا وتحليلنا للعلاقات الصليبية الاسماعيليه ، نعود فنسأل ماذا يعنى زوال طائفة اسماعية للشام في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (أخريات القرن السابع الهجرى) ؛ بالنسبة للصراع الصليبي السنى القائم وقتها ؟ فإذا كان الصليبيون يشعرون بمرارة الموقف الذى ينشأ عن ابعاد الاسماعيليه عنهم لفترة من الفترات وتفتقر بهم من السنين خلال القرن الثانى عشر . وأوائل القرن الثالث عشر الميلادى فانهم بذلك يحضرون هذه الورقة الرابحة التي يستخدمونها في صراعهم ضد السنين والتي يلوحون بها في وجوههم . إلا أننا نرى أن هذا الشعور يبدو قد انتهى في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السابع الهجرى) عندما تم القضاء على اسماعية الشام على يد السلطان الظاهر بيبرس ، لأنه في الوقت الذى كان فيه اسماعية الشام يواجهون الضربات الأخسرية وفي الوقت الذى كانت فيه حصونهم وقلاعهم تتهاوى



وثمة قط الواحدة تلو الأخرى ، كان الصليبيون أيضا يعانون من الضعف والاعلان بصدان اعتدل ميزان اقوى بشكل نهائي وحاسم لصالح مصر والشرق الأدنى الإسلامي ، وأصبحوا ينتظرون الضربة الاخيرة التي تطيح بهم . وقد تم هذا بالفعل عندما سقطت عكا في أيدي المسلمين أيام السلطان الاشرف خليل ١٢٩١/١٢٩١ هـ ، وكانت آخر معارك الصليبيين الحصينة التي يحتفظون بها في بلاد الشام . ثم أن الصراع التقليدي الذي كان بين الفرنج والسنيين في القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) لم يكن بذات القوة والحماة للذين لسنهما في صراع القرن الثامن عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) . وأصبح الموقف لا يتطلب وجود الحشيشية على مسرح الأحداث لاثارة نوع من الصراع المذهبي التقليدي من جديد بين المسلمين فقد كان النصر حليفا للسنيين بعد أن أصبح مراكز الثقل يميل بقوة ووضوح إلى جانبهم . ونخلص من ذلك أن وجود هذه الطائفة لم يكن ليؤثر تأثيرا جذريا فعلا على الجانب الصليبي أو يعمل على رجحان كفته .

نخلص مما سبق أن العلاقات التي كانت قائمة بين الصليبيين و اسماعيلية الشام في القرن الثاني عشر الميلادي وحتى نهاية وجودهم في أواخر القرن الثالث عشر إنما كان أساس وجودها هو الصراع المذهبي بين الحشيشية والسنيين . وبدون وجود هذه القوى الثالثة لما قامت بطبيعة الحال أية إتصالات سلمية أو عدائية بين الطرفين الصليبي والاسماعيلي . وإلى جانب هذا فقد كشف البحث بكل وقائمه وتفاصيله أن سياسة اسماعيلية الشام تدل على المكر والدهاء والخديعة واختيار التوقيت المناسب لضرب مصالح أعدائها كل منهم بالآخر حتى تتمكن في النهاية من تحقيق ما نصبوا إليه . ولكن إذا كانت هذه الطائفة قد نجحت في الإبلاغ بين أعدائها من صليبيين وسنيين ، وإذا كانت قد افادته من



وراء ذلك إلى حد كبير ، فإنها لا شك لم تنجح في تحقيق هدفها الاساسى الذى من أجله عملت على تنمية نفوذها وقوتها في المنطقة ، وهو القضاء على المذهب السنى وإحلال المذهب الشيعى محله . ولعل عدم تحقيق هذا كان لحكمة كبيرة خطها القدر ، إذ كان رحيا لم يرضى أن يكون لهذه الطائفة في يوم من الأيام شأن كبير في المنطقة ، لأنه من المحتمل إن كان قد تحقق هذا وانتصرت طائفة اسماعيلية الشام وقضت على المذهب السنى وأنصاره في المنطقة لعمات على نشر مبادئ الهدامة ونظمتها الفتاكة واشهدت المنطقة عهدا جديدا لم تره من قبل يقوم على سياسة سفك الدماء والارهاب دون الالتزام بقواعد الدين الإسلامى على الوجه السليم ، الأمر الذى يؤدي إلى تغير مجرى الأحداث في رقعة الشرق الأدنى خلال الفترة المتبقية من العصر الوسيط بل وحق العصر الحديث . ولو أنه من الانصاف القول بأن تسلسل الأحداث وتتابعها ومنطق الأمور والأحوال يؤكدان بأنه لم يكن ينتظر لدعوة اسماعيلية الشام أن تحقق نصراً حاسماً على حساب العالم السنى . ويمكن إرجاع فشل الاسماعيلية في تحقيق هذا الغرض إلى عدة عوامل أهمها أنها لم تكن تستند إلى أسس وأركان الدولة المنظمة من حيث وجود حكومة شرعية وجيش قائم منظم واستطول مزود بأسلحة البعارة ومالية تابعة يمكن الإتفاق منها على كافة مرافق الدولة . وكانت تعتمد العنصر الهام والركن الجوهري في تكوين الدولة ، وهو وجود الأرض حتى تتخذ منها وطناً تمارس عليه شتى مظاهر الحياة التعاونية سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية وما إلى ذلك . فلم يكن مقرها إلا الحصون والمعاقل المعترزة فوق الجبال داخل دائرة واحدة ضيقة . وبالإضافة إلى ذلك لم يكن معترفا بها بالنسبة للعالم الخارجى المعروف حينذاك . ولعل كل هذا قد أطاق قيام تحالف قوى وفصال بينها وبين الصليبيين كثيرا في



تثبيت أقدانهم في الأراضي المقدسة مستندين إلى استمرار الصراع المذهبي بين
 الحشيشية والسنيين واشتداده من ناحية ، وإلى تأييد فعال من جانب هذه
 الطائفة من ناحية أخرى .

ولإى جانب ما تقدم ، يوجد سبب آخر له أهمية كبرى بالنسبة لفشل
 الحشيشية في تحقيق أغراضها في ظل الصراع الصليبي الاسلامى ، وهوانهم لم
 يتخذوا خط سير واحد في سياسهم تجاه للطرف الصليبي . فتارة يدون
 استعدادهم للتضارب معه ، وتارة أخرى يظهرون تباعدهم وتفرم عنه معطين
 الهداه بأقزاف فدائهم عملياتهم الاغيبالية لواحد من كبار قادته . فلو أنهم قد
 أظهروا تقاربهم الصادق للصليبيين لتغير الوضع بالنسبة لهم تجاه السفين، ولربما
 أحرزوا بعض الانتصارات عليهم ، ولو إنه لم يكن ينتظر أن تكون حاسمة
 أو قاطعة للأسباب التى أسلفناها . وفضلا عن هذا فقد كان لوجود قادة سنيين
 أكفاه أثره الكبير في ضعف شأن الحشيشية على مر الزمن ، وبخاصة أيام
 الناصر صلاح الدين الذى تمكن من أهباط عزيمتهم ومقدم معاهدة صلح مهم
 توقف بموجبها نشاطهم العدائى تجاه الفريق السنى . لكل هذه العوامل فشلت
 طائفة الاسماعيلية في تحقيق ما كانت تصبوا اليه في علاقتها بكل الصليبيين والسنيين
 في وقت كان فيه الشرق الأدنى الاسلامى يغلب كالمرجل وفوق أرضه تدور
 رحى حرب شرسة دامية بين عدو صليبي دخيل وبين أهل البلاد ، وفي وقت
 كانت فيه مفاهيم المعصور الوسطى المبكرة قد آذنت بالووال معلنة عن بداية
 أوضاع جديدة ومفاهيم جديدة مغابرة .

والواقع أن تقييم العلاقات التى كانت قائمة بين الصليبيين وأسماعيلية الشام
 إنما ندين به لخلاصة قراءاتنا لمصادر البحث ومراجعة من عربية وأجنبية ،
 خفية ومطبوعة، وما أكثر هذه المصادر والمنايع والأصول وما أكثر تعددها



فوتنوعها بسبب تعدد وتنوع المش كل والقضايا التي عالماها . ومع ذلك لما أقل للسادة التي جاءت بها علينا في موضوع كان أسهب ما كتب فيه لا يعدو بمخاً صغيراً أو دراسة مركزة أو فعالة في بضع صفحات أو فصلاً أو بعض فصلين . ومن هنا أيضاً نجى أهمية هذه الدراسة التي قنابها . وعلى أية حال ، أن كان هناك كثير من المصادر قد كُشفت بشكل ما عن حقيقة هذه العلاقات في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) ، إلا أن هناك منابع على جانب كبير من الأهمية ونفعي بها المنابع الأدبية وما تتضمنه من شعر ونثر وقد ساعدتنا كثيراً في توضيح بعض النقاط التي تكشف عن حقيقة هذه العلاقات . فضلاً عن اعتبارها جانباً هاماً من الجوانب التي خدمت هذه الدراسة . أما بالنسبة للشعر الأول من المصادر الأدبية وهو الشعر فقد عثرنا على بعض من الآيات التي أرسلها راشد الدين سنان إلى صلاح الدين الأيوبي أثناء اشتداد الصراع بينهما .^(١) ويتضح من هذه الآيات قوة الأسلوب الذي كان يتمتع به شيخ الجبل حينذاك ، فضلاً عن أنها تكشف عن الثقة الكبيرة التي كان يتمتع بها هذا الزعيم الأسمايلي والتي يمكن أن نردها إلى أحد عاملين أولهما اعتماد على فداويته بوصفهم القوة التي يمكن أن تخيف السلطان وتجعله يعدل عن سياسته العدائية تجاه الأسماعيلية ، وثانيها أستناده على وجود تقارب بينه وبين الصليبيين يساعده في التغلب على السلطان السني أن وصل الأمر إلى ثورته وغضبه من كلمات التهديد الموجهة إليه وإصراره على مهاجمة الحشيشية . أما بالنسبة للجانب الآخر من المصادر الأدبية وهو النثر ، فلدينا نموذجاً هاماً كشف عن طبيعة

(١) مصافي غالب : أعلام الاماميلية ص ٣٠٣ ، كما تعرضنا بالتفصيل لشرح

هذه الآيات في الفصل الثالث



العلاقات والانصالات بين العرابيين و اسماعيلية الشام ، فضلا عن أنه يوضح طبيعة أسلوب العصر في ذلك الوقت وتمثل هذا النموذج في خطاب شيخ الجبل ستان الموجه إلى ملوك أوربي ، والذي يثبت فيه براءة الملك الأنجلزى رتشارد قلب الأسد من تهمة التحريض على مقتل الماركيز اللاتيني كوانراد دى مونفترات . (١) ونستنتج من هذا الخطاب العديد من المسائل الهامة في خط سير العلاقات الصليبية الاسمايلية خلال الفترة موضوع البحث . أولها أن الصلة التي كانت قائمة بين الطرفين تلمس بالاستقرار والصفاء ، لأنه لولا هذا لما أرسل شيخ الجبل الخطاب المذكور بوجه فيه التهمة إلى نفسه إلى أتباعه باعتبارهم الجناء الحقيقيين في حادثة اغتيال الماركيز وينفيها عن ملك إنجلترا . وثاني هذه المسائل ، أن الحشيشية في ذلك الوقت كانوا يهتمون بقوة إرهابية هائلة وذلك اعتباراً من بدايات القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) من ناحية ، وبنقة الصليبيين من ناحية أخرى . ولولا هذا لما نجح رأ شيخ الجبل من أن يعلن أمام كافة الدول الأوروبية عن مسؤوليته في مقتل الزعيم الصليبي دون أى رهبة من انتقام الصليبيين وأهل الغرب . وجدير بالذكر ، إلى جانب ما تقدم ، أن الملك رتشارد عندما طلب من شيخ الجبل العمل على إثبات براهته من التحريض على مقتل كوانراد بالكتابة إلى جميع ملوك أوروبا ربما يكون قد وعد شيخ الجبل وأتباعه بمحايمه من أية محارلات انتقامية قد يعرض لها من قبل للصليبيين الغربيين هو موماً و لدليل على ذلك أننا لم نسمع بالفعل عن ردود فعل لهذه الواقعة بالذات ، وذلك بعكس ما لقيه الحشيشية من انتقام شديد عقب اغتيالهم الأمير ريموند الثاني .

Roger of Wendover, op. cit., t. II, p. 29.

(١)

انظر أيضا في شأن هذا الخطاب تفصيلا الفصل الرابع



وكيفما كان الأمر يمكن القول بأن الحشيشية كانوا قوة لها شأنها وخطرها وتأثيرها في المنطقة ، وقد تمكنت من بث الرعب في قلوب الأعداء والأصدقاء على السواء ، ولم تخشى أباً من القوتين الأخرتين في المنطقة ونفى بها الصليبيين والسنيين . فضلاً عن أن وجودها على مسرح الأحداث قد ألقى مزيداً من الضوء والأهتمام الذي وجهه لهجرات الأحداث التي كانت المنطفة مسرحاً لها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين (القرنين السادس والسابع من الهجرة) ، الأمر الذي جعل كلاماً من طرفي الصراع الصليبي والسنى يتنافس من أجل التمتع بصداقة الاسمايلية بالشام وكبيرهم حتى يأمنوا شرهم ، ويضمنوا حياتهم أثناء هذا الصراع الدامي العنيف الذي يعتبر من أبرز خصائص الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط ، بل ومن أبرز الظواهر الهامة في التاريخ بصفة عامة .







تناولنا في الفصول السابقة الأوضاع التي سادت -بلاد الشام طوال القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) ، وكيف كانت تاريخ الاسماعيلية مختلطاً بتاريخ الصالبيين والسنيين بحيث اضعوا قوة سياسية لا يستهان بها وسلاحاً فتاكا يرهب الاصدقاء والاعداء . فبات كل الأمراء الصليبيين والمسلمين يخافون بطشهم ويحسبون حسابهم وذلك بسبب سياستهم التي تقوم على الفتك بمن يعترضهم في سبيل تحقيق غاياتهم الشخصية ومنافعهم الذاتية ، تلك التي راح ضحيتها كثير من الزعماء السنيين وكبار الفرنج على السواء .

ويتضح من دراستنا السابقة أن تاريخ اسمايلية الشام يعد جانباً هاماً من جوانب الصراع الطويل بين الشرق والغرب خلال الفترة الوسيطة من التاريخ الوسيط ، وهي في الواقع مرحلة كيانها ومقوماتها الخاصة لها . وأن الباحث المرفق في تاريخ الطائفة الاسمايلية يجد أن جذورها تمتد إلى القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) عندما انتسبت إلى اسماعيل بن جعفر الصادق . ولكنها كانت في بداية الأمر عبارة عن حركة مذهبية دينية تهدف إلى نشر مبادئها فحسب بالشكل الذي يضمن للمذهب الشيعي الدوام والبقاء دون أن يكون لها أي أهداف سياسية ودون أن تنتج إلى تكوين دولة يصبح لها الشأن الكبير بالنسبة للعالم الاسلامي المعروف وقتذاك ، مثلما حدث في القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) على يد شيخنا الجليل الحسن بن الصباح في فارس وراشد الدين سنان في الشام كما سبق أن ارضعنا ويمكن القول أن تاريخ الحركة الاسمايلية في الشام في القرن الثاني عشر الميلادي هو امتداد لبداية تاريخ الطائفة الاسمايلية في القرن الثالث الميلادي (الثاني الهجري) ، ولكن في صورة جديدة ونوب مغار إذ استقرت تحت اسم الدين والرغبة في نشر مبادئ المذهب الشيعي لتحقيق غاياتهم ، في وقت



كان فيه للدين مكانته التي لا تخفى على أحد .

على أية حال ، لقد أدى وجود طائفة اسماعيلية الشام إلى احتكاكهم بالقوى التي كانت موجودة على مسرح الأحداث في ذلك الحين ، ونفى بها الصابيين والمسلمين السنيين . وحدث اختلاط وتشابك بين هذه الاطراف الثلاثة ، بحيث لا يمكن للمعتدى لتاريخ الحركة اسميلية فصل أحد هذه الاطراف الثلاثة عن الطرفين الآخرين أو غرض الطرف عن أي منها وقد اتضح أن العلاقات بين هذه الفرقة الهدامة والطرفين الآخرين لم يكن يسودها التناغم والود التامين ، وانا كانت تارة تتخذ مع الصابيين لواقوف معاً ضد هجمات السنن بقصد اضعافهم واضعاف مذهبهم ، وتارة أخرى توازر المسلمين السنيين ضد الفرنج في المنطقة ، بمعنى انها كانت تتقلب في خدمة الاصدقاء والاعداء حسبما تمليه عليها مصالحها الخاصة . ولكن مع ذلك لم تتمكن طائفة اسماعيلية الشام من تحقيق غرضها المذموم والذي طالما نادى به من أجل تحقيقه وهو نشر المذهب الشيعي والقضاء على المذهب السني .

وقد واجهتنا أثناء دراستنا بعض المشاكل والقضايا التي تمس النظم الاسماعيلية والتي كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر على مجرى العلاقات اسميلية الاسماعيلية من ناحية ، وعلى الاتصالات السنية الاسماعيلية من ناحية أخرى . ونوصلنا فيها إلى استنتاجات تسد فجوات وترد على التساؤلات التي قد تجول في اذهان الباحثين . ومن أهم هذه القضايا التي تصدنا لها أصل وجود جنة الحشيشية ومدى ارتباط وجود هذه الجنة بالطاعة العمياء التي يقدمها الفداوية إلى شيخ الجبل . واتبعنا إلى أن هذه الجنة لم يكن لها وجود إلا في خيال مؤسسها الحسن بن الصباح فقط ، وظل الفداوية بعد وفاة ابن الصباح يتوارثون الخلف عن السابق خيال الجنة ورضيها وفكرة وجودها

حسباً أو همهم بها زعيمهم بحيث أصبحوا ، فتمنن بوجودها ويعيشون على أمل
 دخولها إذا قدموا طاعتهم العمياء لشيخهم دون أدنى تردد أو تفكير ، بحيث
 أصبح أملهم في دخول الجنة وإيمانهم بضرورة طاعة الزعيم تنفيذاً للفقيدة
 الاسمايلية هما الحافزين القويين لتقديم الطاعة العمياء لشيخ الجبل وتنفيذ
 أوامره دون أي تردد (١) .

كذلك ناقشنا مختلف الآراء التي نارت حول تسمية طائفة اسماء بـ « طائفة
 بالحشيشية » وخلصنا إلى استبعاد تسميتهم بـ « طائفة » نسبة لعاطيهم
 الحشيشي وراينا أن هذه التسمية ربما تكون قد أتت نتيجة لعاطي أحد
 زعماء الطائفة مادة الحشيش ولو عانا أمام اتياه بوصفه الامام المصوم عن كل
 ما يرتكبه . ونظرا لأن المعاطي لهذه الادة يعرف باسم الحشاش فان الحشيشية
 تعني اتباع الحشاش لا أكثر ولا أقل (٢) .

هذا بالإضافة إلى مسائل أخرى عديدة لنا بمناقشتها عند عرضنا لموضوع
 البحث وعلى أية حال ، إذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتائج والحقائق فلم
 يكن هذا إلا بعد مجهود شاق وضخم بين ثنايا سطور المصادر الأجنبية القديمة
 للعاصرة لفترة موضوع البحث أو المتأخرة عنها زمنيا التي مازال بعضها بلفظه
 الاصلية ولم يترجم بعد إلى اللغات الحديثة ، فضلا عن المصادر والمخطوطات
 العربية والتي لم ير بعضها ضوء النشر والطباعة بعد . وذلك لأن موضوع
 البحث يكتمفه الكثير من القموض لقلّة المادة التاريخية التي كتبت عنه وتخلو

(١) ناقشنا مختلف الآراء في هذا الموضوع في الفصل الأول

(٢) يمكن الرجوع إلى الآراء التي تبأت في شأن تعدد اسمايم إلى الفصل الأول



المآتية العربية والأوربية على حد سواء من كتاب مستطل بذاته يضم حوادث العلاقات التي كانت تربط بين اسمايلية الشام والمصليين في القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) .

وأما عن للعلاقات الصليبية الاسمايلية نفسها ومدى ما حققته من نتائج خلال الفترة موضوع البحث ، فيمكن القول أنها لم تحقق الكثير ، أو بكلمة أخرى أدق وأرضح في التعبير لم تحقق تطورا حاسما في العلاقات بين الصليبيين للغربيين وبين اسمايلية الشام ، وكل ما هنالك وقادات من الرسل والسفارات وتبادل المراسلات والمكاتبات في بعض الأحيان ، والى جانب التهديد من قبل الحشيشية والقويح باستخدام الخناجر المسمومة أحيانا أخرى ، إلى جانب الاجهاز على عدد من زعماء الفرنجة إذا كانت مصلحتهم تقتضى ذلك . ولكن هذه العلاقات على أية حال لم تسفر عن رابطة قوية بين الطرفين قد يمكن أن تؤثر تأثيرا فعالا على مجرى الامور في منطقة الشرق الأدنى .

ونتيجة أخسرى هامة توصلنا اليها هي أنه لم تكن هناك أية علاقات ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية بين الصليبيين وبين الحشيشية في الشام وكل ما هنالك تلك الاتصالات السياسية التي اساقنا اليها .

ومها يمكن من أمر ، فقد استمرت طائفة الاسمايلية بالشام تواصل نشاطها وسياستها التي خططنها لنفسها خلال الفرون السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) بنفس التخطيط الذي كانت تسير عليه في الفرون السادس الهجري ، بحيث أصبحت ماملا مؤثرا في حوادث العصر وتطوراته . وبناء على ذلك حاول الحشيشية أن يفتنوا فرصة وجود الملك الفرنسي لويس التاسع بالأراضى المقدسة وهو منهوك القوى بعد هزيمة في مصر على يد المماليك البحرية يظهرها على مسرح السياسة من جديد ، وليحاولوا إرهابة حتى يخضع



لهم وقرعوا بنفس الدور الذي قاموا به في مناسبات سابقة خلال الحروب الصليبية المتقدمة (١) إذ بادر شيخ الجبل بسورية بإرسال سفارته إلى الملك لويس في عكا ١٢٥٠م/١٢٧٠ هـ بطلب منه المبادرة بتقديم فروض الولاء والطاعة له. (١) واستقبل الملك لويس هذه السفارة استقبالا حسنا، وأثناء اجتماعه بأفرادها كمان رئيس الوفد يجلس في المقدمة ويرتدي زيا حسنا ودرعا كالا ومن خلفه شاب آخر يمسك في يده ثلاثة خناجر يتداخل بعضها في بعض، ووقف خلفه شاب ثالث ودهه قطعة من القماش لها على زراعه وتدل على أنها كفن للملك إذا رفض مطالب شيخ الجبل أو فكر في مصاداته (١). وبدأ رئيس الوفد اجتماعه مع الملك الفرنسي بأن سأله، عن اسان سيده، عما إذا كان يعرفه أم لا؟ فأجاب الملك بأنه سمع عنه والفرصة لم تقع له بزيارته. فأهدى الرسول الاسماعيلى دهشة كبيرة لعدم مبادرة الملك الفرنسي بإرسال الهدايا الثمينة إليه لكسب صداقته طالما سمع بوجوده، وذلك كما فعل غيره من كبار رجال الغرب والشرق. ثم انتهى - به قائلًا للملك بأنه إذا لم يتمكن من فعل هذا فعليه اصدار أمره بأغفاء شيخ الجبل من الجزية السنوية المقرضة عليه من قبل جماعى الدارية والابستارية. واستمع الملك الفرنسي إلى هذه

(١) جوزيف نسيم: المدوان الصليبي على بلاد الشام ص ٢٢٨.

Rotheim, Lite du Manuserit de Rotheim, (f. R. H. C. H. Occ, t- II, 621), Cf also Grousset, op. cit., t. III, p. 516.

(٢) مذكرات جواتيل - ترجمة الدكتور حسن حبيبي ص ٢٠٣ - ٢٠٤، جوزيف

نسيم: المدوان الصليبي على الشام ص ٢٣١. أنظر أيضاً كتاب روثلان في مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية.

Rotheim, Cf. R. H. C. H. Occ., t. II, p. 624.

اللهجة الغربية دون غضب ، ولم يشأ أن يرد على المدرب الاسماعيلي فيما طلبه إلا في جلسة أخرى حتى يتسنى له بحث الامر مع مقدمي هاتين الجماعتين الربانيتين . (١) وعندما عقدت الجلسة الثانية التي حضرها مقدم الاستبارة وليم دي شانوف ومقدم لداوية رينو دي فيشيه زكيات في مساء قس اليوم ، طلب الملك من الرسول الاسماعيلي إعادة مطلب سيده فلم يشأ ذلك ولكنه اضطر مكرهاً أن يكرر ما سبق أن طلب من الملك في الجلسة السابقة تحت ضغط رئيسي الجماعتين . وعند ذلك طلب مقداً هاتين الجماعتين مقابلة هذا الرسول في دير الاستبارة بمساح صباح اليوم التالي لدراسة الامر . (٢) وفي الموعد المحدد تمت المقابلة الثالثة دون وجود الملك الفرنسي . وفيها لاماه بعنف وتوبيخ وابدأ بهشتها على تجرأ شيخ الجبل في توجيه مثل هذه المطلب إلى الملك وغاظته بهذه اللهجة العنيفة المهيبة بكرامته ، وأخبراه بأنه لولا مراعاتها للملك الفرنسي لانحرافه هو ومن معه في بحر دسكا دون مراعاة لشيخهم ، ثم أنهياً الحديث بكليفه بالذهاب إلى سيده فوراً على أن يعود خلال عشرة أيام عملاً بالهدايا القيمة فضلاً عن خطابات الاعتذار والمودة إلى الملك الفرنسي حتى يتم الصفح عن الاسماعيلية ومقدمهم (٣) .

(١) ، مذكرات جوانفيل - ترجمة الدكتور حسن جيتي ص ٤١ : راجع كذلك :

Michaud, op. cit., t. II, p. 467, Defr-émery op. cit., p. 476.

(٢) مذكرات جوانفيل - ترجمة الدكتور حسن جيتي - ص ٢٠٥ ومن المراجع

الاجنبية أنظر :

King, op. cit., P. 249.

Michaud, op. cit., t. II, p. 267. Defrémery. (٤)

أنظر كذلك جوزيف نسيب : الدوران الصليبي على بلاد الشام ص ٢٢٧ .



ولما علم الشيخ الاسماعيلى من رسله بما هم فى هذه المحادثات قرر بعد تفكير عميق ارسال رسالة اخرى للملك تحمل له ما يسمه بجمعه بنسب ما صدر منه . ولعل ما اراده شيخ الجبل من وراء ذلك هو السير على نفس سياسة اسلاف شيوخ القرن الثانى عشر الميلادى . التى تنحصر فى الجرى وراء مصالحهم ومصالح اتباعهم فحسب ولو ادى ذلك الى التحالف مع الاعضاء ، وانقلاب بين مختلف القوى والأطراف الميمنة فى رقعة الشرق الأدنى . ولقد وجد مقدم الاسماعيليه حينذا : أن مصاحبه فى التفاهم مع الصليبيين فى هذه الظروف التى كان يجتازها الشرق الأدنى الاسلامى حيث كان السنيون فى مصر والشام منقسمين على أنفسهم ، وسكان الملك الفرنسى يسعى لاثارة حمله صليبيه جديدة مسغلا هذا التفكك الاسلامى الأمر الذى يؤدى إلى اضعاف الجبهة الإسلامية والابقاء على التكيان اللاتينى المدمر فى الشرق وإيجاد حالة من التوازن كان الفرنج بالشام فى أمس الحاجة اليها . هذا ، ومن المحتمل أيضا أن يكون شيخ الجبل قد اضطر إلى طلب صداقة لويس التاسع لأن طائفة الاسماعيليه فى هذا الوقت كانت قد أنهكت قواها ووصلت إلى طور الشيخوخة ، ووجدت من الضعف بدلا للقوة التى حكمت تمتع بها فى القرن السابق التى أتاحت لها القيام بدور فعال فوق رقعة الشرق الأدنى ، مستغلة الصراع الصليبي الاسلامى لتعقيق أطماعها وتنفيذ مآربها وغاياتها .

وهما يكن من أمر ، فقد وصل رسل شيخ الجبل إلى الملك لويس فى مكاء وأحضروا معهم قبض زعيمهم هدية إلى الملك فالتين نيابة عن شيخهم -- انه لما كان القميص أقرب إلى الجسد من أى ثوب آخر كان هذا يعنى أن شيخ الجبل أصبح بعد الملك أقرب إلى نفسه من أى ملك آخر . وفضلا عن ذلك قدم الرسول الاسماعيلى للملك خاتم شيخ الجبل وهو من الذهب الخالص



ومنفوش عليه اسمه بالإضافة إلى كثير من التعريف القيمة (١) . وأسطبل الملك هذه السفارة بكل أرتياح ، وبادل زعيم الاسماعيليه بهدايا مائة تعبيراً عن رضائه عنه ومودته له . ومن بين هذه الهدايا مجموعة من الجواهرات ، فضلاً عن أقمشة قومية وحريرية وكؤوس فضيه وذهبية . وقد رافق هذه البعثة المرسله من الملك الفرنسي الشيخ الاسماعيلى أحد الرهبان الدرمنيكان ويدعى إيف لبرتون وسكان يقطن الاسان للعربى (٢) .

ولا يستبعد أن يكون الموقف الحرج الذى واجهه الملك لويس من قبل السنين في مصر والشام هو الذى جعله ينظر بعين الود إلى الاسماعيليه ، ويصل على محالقتهم مستغلاً في ذلك العداء المذهبي العتيق بينهم وبين أهل السنة ، خاصة وإنه كان يسعى لتأليف حملة ضلبيه جديدة في الشام تعوض هزيمته التي منى بها في مصر . ولقد اختلف المؤرخون المحدثون في نتائج تبادل الرسل الهدايا بين الطرفين اللاتينى والإسماعيلى فمنهم من قال إنه يعتبر مظهر أمن مظاهر التحالف الفعلى بينها ، بينما رأى البعض الآخر ان إيف لبرتون قد اخفق في مهمته وطاد هون ادراك الهدف . ولكن طالما لا يوجد نحت إيدنا ما يفيد صراحة هذا الشأن ، فلا يمكن أن نحكم على ماتم حكماً نهائياً قاطعاً وأما بشأن تبادل الرسل بين الطرفين فلا يبدو أن يكون نوطاً من أنواع الففاهم والسود فيها . ولا يمكن ان نذهب إلى ابعده من ذلك حتى الآن عسى ان يكشف لنا الزمن عن نصوص

(١) مذكرات جوانفيل - ترجمة الدكتور حسن حبشى م ٢٠٦ ، ميشيل لباد :

الاسماعيليون والدولة الاسماعيليه ، ص ١١٠ أنظر أيضا :

Michaud, op. cit., t. II, p. ١67; Daussaud, la Syrie, Planch 128

Conder . op. cit, p. 380.

(٢) مذكرات جوانفيل - ترجمة الدكتور - ن حبشى م ٢٠٧ .

ورثائق جديدة قد تأتي مزيداً من الضوء على هذه الفترة الغامضة في تاريخ العلاقات الصليبية الاسماعيليه . ثم انه لو كان قد تم إتفاق فعلي بين الطرفين لبادر المؤرخ جان دي جواتيل بذكره في مذكراته عن لويس التاسع (١) ، خاصة وان جواتيل كان -لازماً لذلك لويس طوال إقامته في مصر والشام التي دامت قرابة ست -سنوات لا يكاد يفارقه لحظة واحدة .

على أية حال ، رغم هذا الود المتبادل بين الطرفين الذي فرضته أحداث أواسط القرن الثالث عشر في منطقة الشرق الأدنى إلا ان الصليبيين مضوا فترتهم وجودهم في الشام وهم في حالة من الرعب والتزعزع من الفسداوية وخناجرهم خاصة وان الملك لويس ربما يكون مازال مألماً في ذهنه بمحاولة اغتياله في فرنسا على يد الفسداوية ١٢٣٦ م / ٦٣٣ هـ . (٢) وتذكر المصادر انه في احد الايام أثناء أقامة الملك لويس في صيدا التي أمدت من يوليو ١٢٥٣ إلى يوليو ١٢٥٤ م / (٦٥٠ - ٦٥١ هـ) لتزيم استحكاماتها لخرج مع جواتيل للتنزه فوق صهوة جواديهما ولكنها صادقا في الطريق أحد الفسداوية يهولوا القديس في إحدى الكنائس فأنتظرا لسمعاه . وعندما بلغوا الجزء الذي يعرض فيه الصليب لتقبيل شك جواتيل في الكاهن الذي يهولوا القديس واعتقد انه أحد فداوية شيج الجبل ولذا لما جاء دور الملك لتقبيل للصليب أسرع وأخذ

(١) جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على الشام من ٢٤٨ أنظر كذلك :

Campbell. op. cit p. 431.

(٢) A. O. L. , 626; Defrémery. op. cit., p. ٥2

أنظر أيضا فليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ٢ ص ٢٤٧ .



من الكاهن وحمله بنفسه إلى ملكه خوفاً على حياته (١). وان دل هذا على
شيء فأنما يدل على أرق مراتب الوثء والاخلاص من قبل جوانمبيل للملك،
كما يدل على مدى تخوف اللاتين من شيخ الجبل وفداويته .

وجديد بالذكر في هذا المجال انه لم ترد أية اشارة سواء في المصادر
العربية المعاصرة أو المتأخرة زمنياً عن هذا السفارة . ولعل هذا راجعاً إلى
أحد أمرين : أما أن المؤرخين السنيين قد تجاهلوا عن عمد أمر هذه السفارة
لما بينهم وبين تشيعة من عدااء وتناحراً فضلاً عن نظرهم إلى هذه الطاقة
نظرة رعب وتوجس . أو تكون هذه المحادثات قد تمت بطريقة شفوية على
سريرها وحتى لا تقع في ايدي السنيين وينفضح أمرها . (٢) كما انه من الواضح
انه لم يذكر اسم شيخ الجبل القدي ارسل سفارته إلى الملك الفرنسي في عكا
والذي استقبل مبعوته فيما بعد . ولكن بالبحث تمكن حصره في شخصين ،
وذلك بناء على النقوش التي عثر عليها احد علماء الآثار واسمه فوسية
Fossey في خريف ١٨٩٦ - اثناء جمعه لنصوص اليونانية الموجودة في
سورية ، حيث وجد نقشين هامين على الباب الجنوبي لمدينة مصياف برجمان
إليه ١٤٦١ هـ / ١٧٤٩ م ، وكل منهما مكمل للآخر . فقام بتصديبرهما ووضعها
تحت تصرف الباحث المعروف ماكس فان برشم Maz Van Berchem الذي
قام بدراسة (٣). والنقش الأول نصفه كالآتي : « أمر بهارة سورهدينة مصياف
وعمل هذا الباب المبارك الولي وصاحب تاج الدنيا والدين أبو الفوح بن
عبد أمر الله نصره » . أما النقش الثاني فينص على « بولاية أحد عبيد الدعوة

(١) جوزيف نسيم ، العدان المليبي من الشام ص ٢٤٩ .

(٢) جوزيف نسيم : المرجع السابق ص ٢٢٩ .

Berchem . p. cit., p. 5٦ , ٥6.

(٣)



المهادية عبد الله بن ابي فضل بنى عبد الله رحمة الله فى شهر ذى القعدة سنة
وأربعين وستائة .

وواضح ان هذين التقيين برجمان إلى ذى القعدة سنة ٩١٦ هـ أى فيما بين
فبراير ومارس ١٤٤٩ م وفق ما أنتهت إليه الدراسات التى قام بها ما كس فان
برشم ، بينما ترجع بعثة شيخ الجبل إلى لويس فى عكا فيما بين سبتمبر وديسمبر
سنة ١٢٥٠ م / جمادى الأول وشعبان ٦٤٨ هـ .

ونظرا لأن أبا الفتوح بن محمد تولى منذ ١٠٧٧ هـ / ١٢٢٩ م وحتى ١٠٩٦ هـ /
١٤٤٩ م وذلك طبقا لما أورده زامباور عند استعراضه لاسماء شيوخ الجبل
فى سورة فاننا نرى أنه من الطبيعى أن أبا الفتوح بن محمد ليس هو شيخ الجبل
المقصود الذى تبادل السفارات مع الملك لويس فى الشام ، وإنما من خلفه فى
الرياسة . ولكن مما يؤسف له أنه توجد فجوة فى أسماء شيوخ الجبل فى سورة
فيما بين وفاة أبي الفتوح بنى محمد ١٢٤٩ م وتولية شيخ الجبل رضا الدين أبى
المعالى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م (٢) . أى أن هناك فجوة فى سلسلة شيوخ الجبل فى
بلاد الشام تقدر بحوالى عشرة سنوات ، لاتسعتنا المصادر والوثائق والأصول
والنفوس التى تحت أيدينا حتى الآن باسماء من قولوا الدعوة فيها من مقدمى
الاسماعيلية وسواء كان هذا أم ذلك ، فان لويس التاسع ضمن بصداقة شيخ
الجبل الاسماعيلي المجهول الاسم حتى الآن حياة فى الصراع السياسى الدائر
بينه وبين المسلمين السنيين فى مصر الشام فى ذلك الحين .

(١) زامباور : معجم الانساب - ٢ ص ٢٢٩ انظر أيضا :

Berchem. op. cit.. p. 99.



وإذا كان الاتصال بين الصليبيين والحشيشية في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي (أواسط القرن السابع الهجري) قد تم في صورة تبادل المرسل والسفارات، فإن المؤرخ فليكس فابري Flix Fabri يذكر نوعاً آخرًا وغريباً من الاتصال بين شيخ الجبل والصليبيين إذ يوضح أن شيخ الجبل اتخذ من الحملات الصليبية في أوائل هذا القرن وسيلة لتدعيم دعواته وبث الدعوة من طريقها في شتى الأرجاء . وكان ذلك عندما تقرب زعيم الاسماعيلية بالشام في حوالي سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م إلى اثنين من القساوسة المنشقين عن الكنيسة اللاتينية والبارعين في تحضير الأرواح والتعميق في العلم، ثم سجنهما وأعلن لهما بأنه سيخلى سبيلهما إذا ما بشرنا بخروج حملة صليبية للأراضي المقدسة -قوامها كثير من أطفال ألمانيا وفرنسا بعد الإجماع لهم بأن الله قد أوضح عدم إعادته الأراضي المقدسة إلا على يد أطفال أربياء ومن هنا قامت الحملة المشهورة في التاريخ باسم حملة الأطفال ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م والتي كان مصيرها الفشل الذريع كما هو معروف في التاريخ إذ غرق عدد منهم ومات البعض الآخر ، وتم بيع البعض الثالث في أسواق الرقيق ، أما من تبقى فقد عادوا إلى ذوبهم^(١). وقبل أن هدف شيخ الجبل من وراء هذه الحملة هو اعناده على قوادها وقساوستها المرافقين لها ليكونوا بمثابة مبعوثين له طوال حياتهم هذه^(٢). ويجب تقبل هذه الرواية بشيء من التحفظ والحذر ، خاصة وأنه لم يرد ذكرها في أي من المصادر الأخرى المعاصرة . ويبدو أن شيخ الجبل - أن صحت هذه الرواية-

Fabri, *The Book of the Wanderings, Of. Palestine* (١)
 Pilgrims, Text Society, t. II p. : 51.
 A.O.L., t, p. 6.8 (٢)

كان بهدف من وراء هذه الحملة إلى أمرين أولهما أن يعمل على تربية هؤلاء الأطهال وتدريبهم تدريبات شاقة ليكونوا أساساً لتدعيم جماعة الغداوية بهم . وثانيهما أن يشغل المسلمون السنيون بمجيء هذه الحملة الأمر الذي يساعده على تحقيق مطامعه في المنطقة على حساب الصراع الصليبي السني الذي ينتج -م عن وصول هذه الحملة إلى الأراضي المقدسة .

وهذه كلها مجردة قروض واحتمالات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث خاصة وأن الحقائق الكاملة لم تنكشف حتى الآن عن حقيقة حملة الاطفـال وحقيقة أهدافها وأسبابها وكل ما يعرف عنها بصفتها فاطمة هي النتيجة التي وصلت إليها .

لم يقتصر اتصال الصليبيين بالحشيشية في الشام في هذا القرن على ما تقدم ذكره ، وإنما كان هناك لون آخر من الاتصالات بينهما يتمثل في إغتيال الغداوية لكبار القادة الصليبيين من أمثال ريموند بن بوهيموند صاحب انطاكية وطرابلس وفيليب ذي مونفورت صاحب صور ومحاولة قتل الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا وذلك في ضوء التفصيلات التي سردناها من قبل في هذا الشأن (١) . ولقد استمر اسماعيلية الشام بعد هذا يواصلون سياستهم تجاه السنيين والصليبيين بنفس الأسلوب وعلى نفس المنهج إلى أن انتهى أمرهم على يد الظاهر بيبرس ١٢٧٤ م / ٦٧١ هـ .

ورغم أن موضوع البحث يقتصر على اسماعيلية الشام ، إلا أننا نرى أنه من المناسب أن نشير في عجلة إلى نهاية أمر الدولة الأم في الموت على يد للفول، إذ أن نهاية الدولتين كانت في وقت متقارب والاسباب متشابهة وفي ظروف

(١) أنظر سابق بالتفصيل الرابع

مقاربة لمن المعروف ان الاسماعيليه ظلوا طوال تاريخهم مدعصين في قلاعهم منذ ٤٨٧ هـ / ١٠٩٠ م حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (النصف الثاني من القرن السابع الهجري) دون أن يتعرضوا لأى غزو خارجي عليهم أو يقضى على قلاعهم سواء كان في الموت بفارس أو مصيف بسورية (١) ، ولكن الوضع تبدل هنا بالنسبة للاسماعيلية في فارس بظهور المغول في آسيا . فلم يكن الفوائد المغولي هولاء كما يحتمل الشكل الذى كانت عليه الطائفة الاسماعيليه من ناحية تهديدها للإمراء والحكام والمجاورين وجمع الاثاوة منهم ، فضلا عن أن أملاك ركن الدين خورشاه شيخ الجبل كانت تقع ضمن مقاطعات المغول ولذا فكر فى الاغارة عليهم وتدميرهم (٢) . هذا رغم ما قاله البعض ان سبب غزوة المغول للاسماعيلية هو نجرأم على قتل ابن جنكيزخان المغولى (٣) .

ومها كان الأسباب التى ادت الى الاغارة عليهم ، فقد حاصرت جيوش المغول قلاع الاسماعيليه الموجودة في فارس في شعبان ٦٥٦ هـ / سبتمبر ١٢٥٦ م واعطاهم الاستيلاء على خمس قلاع منها ثم تخريبها ، فغضبا عن أنفسهم قتلوا الكثير من سكانها . وارسل هولاءكو إلى شيخ الجبل - بهدده بأنه إذا لم يحضر بنفسه إليه خلال خمسة ايام فليستهم تاجرب ، ويبدو أنه خان على حياته فذهب إليه . فلما علم سكان قلعة الموت بذلك قاموا بتسليمها إلى المغول المحاصرين لهم ، وسكان ذلك فى شوال ٦٥٦ هـ / نوفمبر ١٢٥٦ م . وبعد

(١) Chalandon, Histoire de la Première Croisade, p. 283.

(٢) سعيد ماعور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١١١٤ أنظر أيضا :

Marco - polo, Traveles p. 77.

Treese op. cit., p. 195.

(٣)



ذلك سقطت جميع الفلاح الباقية في المنطقة في ابدى المغول وأماموا بحرق
المكتبة الكبرى للاسماعيلية الموجودة في الموت والتي كانت تحتوي على
عدد كبير من الوثائق والأعمال الفلسفية وكتب الطائفة (١). ولم يكف
هولاكو بتمشيت شمل الاسماعيلية في فارس ، بل ارسل الى ركن الدين خورشاه
بطلب منه الكتابة إلى داعية بالشام وكان وقتذاك ابا المعالي رضا الدين بأمره
بتسليم فلاح الدعوة الموجودة هناك الى المغول . ولكن ابا المعالي رفض
الامتثال لذلك الامر واعلن المقاومة . لما كان من هولاكو الأأنشن هجوما
عنيفا على هذه الفلاح واستولى على بعضها ١٢٦١/٥٦٥٨ م. ولكن شيخ الجبل
تمكن من ان يسترد الفلاح المتصبة منه منتزعا فرصة تشتت شمل الجيش
المغولي في الشام اثر هزيمة بحنة امام الجيش المصري في موقعة عين جالوت (٢).
وإن دلت هذه الحوادث على شيء فأنما تدل على مدى الضعف الذي وصل
اليه الاسماعيلية في فارس بعامة وشيخ الجبل هناك بصفة خاصة في تلك الحقبة
من الزمن . وتدلل أيضا على قوة الشخصية التي كان يتمتع بها شيخ الجبل في
سورية حتى لقد بلغ به الأمر أنه أصبح يطرح أوامر السلطة العليا في الموت
جانبا دون أن يخشى الخطر المغولي الذي يهدد المنطقة .

(١) عارف تامر : قصة رسائل اسماعيلية ص ١٩ - ٢٤ أنظر كذلك :

Hayton, la Flor des Estoire de la Terre d'Orient Cf. R.H.C.-
Doc Arm., t. II. p. 168 ; Brcardus, Pirectorium Ad Passagiuna
Faciendem, (f. R.H.C. - Doc-Arm., t. II, p. 96, Treeca, op. cit.
Loc. cit.

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١١٧ . أنظر أيضا :

(u ard, op. cit., p. 379 ; Bescham op. cit. p. 464.

على أبة حال ، تمكن القول من اغتيال شيخ الجبل ركن الدين خورشاه مع باي أفراد امرته ، ولكنه نجح في تهريب ولده شمس الدين مجد الوريث الشرعي للإمامة الاسماعيلية ، وكان عمره حينذاك سبع سنوات . (١) وجدير بالذكر أنه قيل بأن الاسماعيلية احسوا بالخطر قبل ذلك بمسدة سنوات كما أحست به جميع دول أوروبا ، فأرسلوا الى إنجلترا وفرنسا ٦٣٧ / ٨ ١١٣٩ م يرجوهما العمل من أجل الوقوف في وجه هذا الخطر ، ولكن طلبهم لم يلق آذانا صاغية . وقد شهد بذلك اسقف مدينة منشستر Manchester بإنجلترا (٢).

ومها كان من أمر ، فقد استقبل المسلمون نبأ القضاء على الدولة الاسماعيلية في فارس بفرح شديد . ومعنوا لوامتد أثر هذا إلى المروع الاسماعيلي في الشام حتى تصغر أحوالهم واحوال الدول الاسلامية بوجه تام . ولكن يبدو أن القدر قد أبطأ عجلة النهاية لهذا الفرع فترة قصيرة حتى جاءت نهايته على يد السلطان الظاهر بيبرس . إذ ادرك أنه من المستحيل للسكوت على وضع هذه الطائفة واتباعها الذين كانوا في نظر المماليك مجرد زنادقة ، فضلا عن موقفهم المائع بين الصليبيين من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى . لذلك بدأ بفرض ضرائب باهظة على سفنهم التي تمر عبر الاراضي المصرية وعلى الهدايا التي أعتاد

(١) سيد هاشور : الحركة الصابية ج ٢ ص ١١٥ ، عارف تامر : خير رسائل اسمايلية ص ٢٢ - ٢٤ أنظر كذلك :

Def. é. é. é. , p. cit., pp. 48-49

(٢) أنظر حاشية الدكتور محمد مصطفى زيادة في كتاب السلوك لأميرة الدول الملوك الملوك للمقريري ج ٢ ص ٣٨٣ راجع أيضا :

Browne, op. cit. t. III p. 6



الصليبيون أرسلها إلى شيخهم في الشام ، وذلك إفسادا لتواقيس الاسماعيلية وتعجيزا لمن اكتفى شرم بالهدايا . (١) وفضلا عن هذا فقد لام يبرس بالهجوم على قلاعهم في الشام في عام ١٢٦٤ / ١٢٦٥ - ١٢٦٦ م فلم يستطعوا مقاومته واضطر زعيمهم نجم الدين أن يطلب من السلطان يبرس اعباره هو واتباعه ضمن رجاله . (٢) . ولما أحس السلطان باستفلال جماعة القرامطة الاسعارية فرصة ضعف الاسماعيلية واستمرار تحصيل الجزية منهم ، فقد أراد اغواءهم منها . ولذا اشترط على جماعة الاسعارية أثناء معاهدة الصلح التي عقدها معهم ١١٦٧ م / ١٢٦٥ الامتناع عن أخذ الجزية التي كان الاسماعيلية بالشام يدفعونها لهم . (٣) وقد قيل أنه لما شعر الاسماعيلية بضعف موقعهم أمام الصليبيين كتبوا إلى السلطان يبرس يتضرعون اليه بأنه إذا عقد صلحا مع الفرنجة لابد وأن يشر اليهم فيه حتى يفهم الفرنجة بأنهم من غلمانها (٤) . ولما وافق الاسعارية على اغواء الحشيشية من الجزية المدروسة عليهم حضر الى السلطان بمصر وفد من قبل الحشيشية في جمادى الآخرة ١٢٦٥ / أوائل مارس ١٢٦٧ م من أجل تقديم الشكر له . ويروي المقرئ في هذا الشأن أن الوفد قال للسلطان « هذا المال الذي كنا نعمله قطعة لفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين لينفق على المجاهدين ، ومن ثم أصبحت هذه الأموال بمثابة جزية

(١) سعيد عاشور : العمر الموروث في مصر والشام ص ٢١١ .

(٢) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ص ١٠٧

(٣) A.O.L., t. II, p. 385; King, op. cit., p. 462

أنظر كذلك محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر يبرس في مصر ص ٩١ . سعيد عاشور : الظاهر يبرس ص ٨٢ . وكان مقدار هذه الجزية ٢٠٠ نعمة من الذهب فضلا عن مائة مقدار من الفصح والشعير من كل فرد .

(٤) Clémery, op. cit., p. 2.

(٤)



تقدم إلى مصر كل عام (١) . ولكن يبدو أن اسماعيلية الشام لم يتركوا أن ضاقوا باليود دفع هذه الجزية إلى مصر . ففي ١٣١٩م / ١٦٦٧هـ أرسل شيخ الجبل نجم الدين معوثا من قبله إلى بيبرس يطلب منه إنقاص المال الذي يضعه الاسماعيلية كل عام في بيت المال . وكان بيبرس في ذلك الوقت مستاء منه لأنه لم يفسد إليه عندما نزل بالقرب من بلاد الاسماعيلية . ولذا فقد أمر بعزله وقلد صارم الدين مبارك بن الرضى صاحب العلية . بدلا منه ، على أن تكون مصيف وبلادها خاصة بالسلطان . (٢) وارسل معه جيشا بقيادة الامير عز الدين العديمي ، فامتنع أهلها عن تسليمها أول الأمر ولم يلتوا بعد ذلك أن فتعوا أبوابها عندما علموا أنه نائب السلطان بيبرس . وتمكن بذلك من الاستيلاء عليها . ولم يجد نجم الدين وولده شمس الدين بدا من الدخول في طاعة السلطان ، فطلب منه في ابريل ١٣٧١م / شعبان ٧٦٠هـ السماح لها بالخضوع بن بدية فاجابها إلى سؤالها أما بالنسبة لصارم الدين ضد تمكن من الاستئثار بحكم مصيف وطرده الأمير عز الدين من القلعة . فلما علم السلطان بيبرس بذلك قام بتولية نجم الدين أمر حصون الاسماعيلية بالاشتراك مع صارم الدين ، وفرض عليه جزية سنوية قدرها مائة وعشرون ألف درهم . فلما علم صارم الدين بذلك فر إلى دمشق لما كان من بيبرس إلا أن كتب إلى صاحبها يطلب منه القبض عليه . وبالعهل تم الماء للقبض عليه وأرسل إلى القاهرة

(١) المفريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ق ٢ ص ٥٠٧ ومن المراجع الاجنبية

راجع الآتي :

A.O.L., t. II, p. 87 : Def éméry. op. cit., p. 52.

Def éméry, op. cit. p. 5٥.

(٢)

حيث حبه السلطان في أحد ابراج اسوارها . (١)

وما ذكرناه يدل على مدى الغضب والإنحلال اللذين اعتريا الدعوة الاسماعيلية بالشام بحيث أصبح السلطان المملوكي في مصر يمين على اتباعها ومقدمها ويدخل في عزل شيوخها وإحلال آخرين بدلا منهم . ومن هنا نجد وجه الاختلاف الكبير وسعة الشقة بين حال الاسماعيليه في ذلك الوقت وحالهم أيام مقدم مثل راشد الدين سنان إذ بلغ بهم الأمر أنهم فقدوا التقا في أنفسهم وفي قلوبهم وشجاعتهم بل وفي رؤسائهم ، وكادت عليهم في الشام الذلة والعبودية والمخضوع للظاهر بيبرس (٢) . فلما قدر للمفول القضاء على المركز الأم في الموت بغارس قبل ذلك لتاريخ بحوالي ربع قرن من الزمان .

ولاشك أن القضاء على طائفة الاسماعيليه بالشام على يد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس جاء صدمة كبيرة وخيبة أمل بالنسبة للصليبيين لأنهم كانوا يعتمدون في صراهم ضد المسلمين على وجود العداء المذهبي بين هذه الطائفة وبين القوى السنية في المنطقة . ولكن مع ذلك فقد أراد الصليبيون انتهاز هذه الفرصة بذبول دولة الاسماعيليه في الشام وتداعبها وذلك العمل على ضم الحثيشية الى جانبهم . فأسرع بوهيموند السادس أمير طراباس الى شيخ الجبل وانفق على تدبير مؤامرة لاغتيال بيبرس وأومر بالمصاحبة الكبرى التي ستم عليه وعلى

(١) اليوتيني : ذبل مرّة الزمان ج ٢ ص ٤٣١ ، محمد جمال الدين سرور : دولة

الظاهر بيبرس في مصر ص ١٥١ أنظر أيضا ؛

Chronique de Terre Saint, Les Gestes de Chiprois Cf. R.H.

C.-Doc. Arm., t. II p. 777.

Guyard, op. cit., p. ٤76.

(٢)

أثبته من وراء ذلك . ولكن ما ولعهم قد بات بالفشل حيث قبض على اثنين من الفداوية في أوائل عام ١٢٧١م/١٩٩٩ هـ وكان في نيهم الشروع في اغتيال السلطان فأمر السلطان بهنهما (١) .

وجدير بالذكر في هذا المجال أن السلطان يبرس كان يستخدم خاجر الفداوية في القضاء على أعدائه الصليبيين وفرسان القيوون الذين كانوا يشكلون خطرا كبيرا عليه . وكان الظاهر يبرس إذا أراد التخلص من أحد أعدائه يكلف أحد الفداوية لتنفيذ هذه المهمة مقابل مبلغ من المال . فإذا عا داسالما كان له المال وإذا مات بصحيح المال من نصيب أولاده وورثته بعد ذلك (٢) . وعلى أية حال ، كانت كل الظروف تؤذن بقرب زوال إساميلية الشام وقواهم ، وكان ذلك على يد الظاهر يبرس ، الذي تمكن من الاستيلاء على قلاعهم في الفترة الواقعة بين ماي ١٢٧١ و ١٢٧٣ م (٦٧١ - ٦٧٣ هـ) ففي سنة ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م أرسل قواته للاستيلاء على قلاعهم الطليقة والخوابي والرصافة ولم يبق خارجا عن مملكته من جميع حصونهم سوى قلاع الكهف والقدموس والبيقة ، وذلك لأن أهلها اعصموا بها راضعين الاستسلام والتسليم للسلطان ، بل قدموا عليهم زعيما منهم أمعانا في التحدي (٣) . ولكن في يوم الثالث والثمان من ذي القعدة ٦٧١ هـ / ٢٦ و ٢٠ مايو ١٢٧١ م سقطت كل من البيقة والقدموس في أيدي الظاهر يبرس . أما الكهف فقد صمد أهلها أمام

(١) Satton, op. cit., t.I,p. 131 : Defrémery, op.cit., 61.

(٢) Conder, op. cit., p. 391: Guy-ard, op. cit. p.377.

ويذكر القلقشندي بانهم سوا بالفداوية منذ ذلك الوقت لمفادتهم بالمال حتى يتناولوه انظر : القلقشندي : صبح الامشي ج ١٣ ص ٤٧٣ .
(٣) البونني : زين مرآة الزمان ج ٢ ص ٤٠٣ .



الضربات الشديدة الموجهة إليها من قوات السلطان . ولم يسفر هذا الرضع طويلا ، إذ قدسوا إلى السلطان مفاتيح الحصن في يوليو ١٢٧٣ م / ٢٢ ذي الحجة ٦٧٣ هـ . وبسقوط هذا الحصن انتهت دولة الحشيشية بالشام وأصبح أفرادها خاضعين للسلطان يبرس خضوعا تاما (١) . وتحوّلت هذه الطائفة الارهابية بعد ذلك إلى تيرازم ليس لها أى نشاط عسكري أو أية أهمية سواء من الوجهة السياسية أو المذهبية ، وأصبح الملوك يستخذمونهم في التخلص من أعدائهم واشتهر اسمهم في هذا الوقت بالفداوية دون أى امم آخر ، وذلك لانهم كانوا يأخذون فدية أنفسهم على الاستماتة في مقاصد من يستملهم (٢) . ويذكر الرحالة المغربي ابن بطوطة أثناء زيارته لأماكن قلاع الدعوة بانهم كانوا ساهم الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ هـ - ٧٤١ م) / (١٢٩٨ - ١٣٤٠ م) . فكان إذا أراد أن يبعث أحدهم لانغياك ، أى من أعدائه يعطيه دينه فان سلم بعد انتهاء مهمته فهو له ، وأن أصيب فهو لاولاده (٣) .

وعلى هذه الصورة ينتهي تاريخ اسماعيلية الشام الحافل بالجرائم والمؤامرات والارهاب والجانسية ويتفرق شملهم منذ ذلك الحين ويتشتتوا فيما بيننا من سورية وأواسط آسيا وباكستان وعلى وجه الخصوص في الهند حيث يقسم فيها الآن حوال مائة وخمسون الفا من الاسماعيلية يعرفون باسم الخوارج أو المولوية . وكان يتزعم هذه الطائفة منذ وقت قريب اغاخان - الذى توفي

(١) Setton, op. cit., t. I, p. 101 : Previtè - Orto, The

Story of Europe, t. 1:7, p. 109.

Defrémery, op. cit., p. 70

(٢)

(٣) مذهب رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٦١ أنظر أيضا :

Defrémery, op. cit., p. 74.



هذه عدة سنوات - حيث كان اتباعه يقدرونه إلى درجة تدفعه إلى منحهم ما سوي
وزنه ذهباً كل عام . وإتخذ بقاياهم بعد ذلك من التجارة والصناعة والزراعة
حرفة لهم ، وظلوا يكتمون تعاليم ومبادئهم ويحرمون على إجراء شعائرهم
في الخفاء تمسحاً على السرية تامة التي إتخذها أسلوباً لهم منذ البداية . ولم يلبس
اليهم شيء من أعمال الاختيال (١) ، وهكذا تحول تاريخهم إلى أسطورة تتردد
في اسماح قارئها .

(١) هيلب حتى ، تاريخ العرب - ترجمة محمد مبروك تانغ " ج ٢ ص ٥٧٥ ، مبدأه
هتان : تاريخ الحميات السرية ص ٥٤ ، ذكر عبد التواب : دولة الخنجر والحيش ص ٨٠
أنظر أيضاً :

Ency. Brit. t. II. p. 621.

الملحق الأول : استيلاء اسماءيلية الشام على حصن أفامية ، ثم أخذ القرنجة له
انظر العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل زمان . ج ٢٠ قسم ٣
لوحة ٥٩٠ - ٥٩٢

الملحق الثاني : زيارة الملك الصليبي هنري صاحب شاهباتيا لأراضي الاسمايلية
في الشام .
نقلا عن الماورخ اللاتيني هرقل في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية
ج ١ ص ٢١٠ .

الملحق الثالث : بعثة شيخ الجبل الى الملك الصليبي عموري الأول وقاوضهما
من أجل اغتداء اسماءيلية الشام من الجزيرة المفروصة عليهم لصالح
قرسان المعبد .
نقلا عن الماورخ اللاتيني وايم العموري في مجموعة مؤرخي الحروب
الصليبية ج ٢ ص ٩٩٥ - ٩٩٨ .

رأينا تذييل الكتاب بهد من الملاحق الهامة التي ترتبط بموضوع البحث إرتباطا مباشرا ، وتلقى الضوء على بعض قضاياها وشاكله الملحق الأول يتضمن نصا مقتبسا من مخطوطه « عقد الجمان » لبدر الدين العيني ، وهي لم تنشر بعد . وهو يعالج قصة استيلاء اسماعيلية الشام على حصن إقاميه في ختام القرن الخامس الهجري (ختام القرن الحادى عشر الميلادى) ، والظروف التي تم فيها الاستيلاء على الحصن ، ثم امتلك الأفرنج له بعد ذلك . وهذا النص يكشف عن فترة غامضة في العلاقات بين الصليبيين والمسلمين من شيعة وسنة . أما الملحق الثاني فهو يتناول زيارة الملك الصليبي هنرى صاحب شامانيا لأراضى الاسماعيليه في الشام سنة ١١٩٧م / ٥٩٣هـ والنص مدون أصلا باللغة القرنسية الوسيطة ، ويوجد بكتاب المؤرخ هرقل في « مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية » ، ولم ينقل بعد إلى اللغات الحديثة . ورغم أن تاريخ هرقل يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) ، إلا أن النص المشار إليه يتميز بأهمية خاصة ، لما تضمنه من معلومات تاريخية قيمة ، اغفلها ومرت عليها مر الكرام بقية المصادر والأصول القديمة المعاصرة للفترة موضوع البحث أو المتأخرة عنها زمنيا فهو يبين جانبا هاما من جوانب العلاقات الصليبية الاسماعيليه خلال القرنين الثاني عشر (القرن السادس الهجرى) لكتاب يعتبر مصدر ثقة فيها يكتب . وقد نقلت النص المذكور من القرنسية الوسيطة إلى اللغة العربية ، وحرصنا أن تكون الترجمة مطابقة للاصل قدر الاستطاعة . أما الملحق الثالث والاخر فهو عبارة عن نص لآحد المؤرخين اللاتين المعروفين في القرن الثاني عشر الميلادى ، وهو المؤرخ وليم الصورى . ويشير النص إلى بعثة شيخ الجبل في بلاد الشام إلى الملك مسورى الاول ملك بيت المقدس اللاتينى ، ويتعرض لكثير من النقاط الهامة ، من بينها الامجاه والمسميات التي



كان اللاتين الفريون يطلقونها على طائفة الاسماعيليه ومقدمها وهي إلى حد بعيد مشابهة لما هو وارد في المصادر والأصول العربية . ويذكر الكاتب أيضاً معلومات كثيرة من شيخ الجبل واتباعه ، وهي وأن كانت أحياناً غير دقيقة . الا أنها لا تخلو في كثير من طرافه . ويتناول النص موضوع سفارة شيخ الجبل الى الملك الصليبي التي طلبت منه استفلان تفوزه لإعفاء الاسماعيليه من الجزية التي يدفعونها لجماعة الفرسان الداوية وما تم بشأن هذه السفارة ويكشف النص ، فضلاً عن ذلك ، عن التيارات الخفية وراء مواقف كل من الصايبيين واسماعيليه الشام جبال الآخر في القرن الثاني عشر . وهذا النص الأخير مدون باللاتينية ، وقد قمنا بنقله إلى العربية مراعين دقة الترجمة مع وضوح المعنى .



الملحق الاول

استيلاء اسماعيلية الشام على حصن اقامية ، ثم أخذ القرنيحة له
من مخطوطه « عقد الجمان في تاريخ أهل . زمان » لبدر الدين
أبو محمد محمود بن احمد بن موسى العيني (١)

وفي سنة تسع وتسعين واربعماية (٢). ملك الأفرنج حصن اقامية من
بلاد الشام . وسبب ذلك أن خلف بن ملاعب الكلابي كان قد تطلب على حصص ،
وكان الضرر به عظيما ورجاله كانوا يقطنون المريق . فكثرت الحراية عنده
فأخذها منه نتش بن الب ارسلان وأيمده عنها . وانقلت به الأح وال إلى أن
دخل مصر فلم يلفت إليه من بها . كان المتولي يأمر اقامية من جهة الملك
رضوان أرسل إلى صاحب مصر وكان يميل إلى مذهبيهم فاستدعى من
يتسلم إليه الحصن منهم وهو من أمنع الحصون . فطلب ابن ملاعب أن يكون
هو المقيم به ، وقال « اني أرغب في قتال الأفرنج ومؤثر لجهاد » ، فسلموه
إليه . فلما ملكها خلع طاعتها وأرسلوا إليه يشهدونه بما فعلوا بولده الذي عندهم
فأجاب « اني لا أزل مكاني وابتعوا إلى بأعضاء ولدي حتى أكله » . فأبوا
من رجوعه إلى الطاعة وأقام باقامية يقطع الطريق ويخيف السبيل فكثرت
أمواله . ثم أتت الأفرنج ملكوا سمرين وهي من أعمال حلب . فلما ملكها
الأفرنج تفرق أهلها ، وتوجه القاضي إلى ابن ملاعب وأقام عنده فأكرمه
وأحبه ووثق به .

(١) نسخة مصورة للمخطوطة تحت رقم ١٠٨٤ تاريخ بدار الكتب المصرية .
القسم الثالث من الجزء العشرين لوجه ٥١٠ - ٥١٢ .
(٢) تقايل سنة ١١٠٥ م .



فأهل الحيلة اليه ، وكتب إلى ابني طاهر المعروف بالصانع وهز من أعيان الملك رضوان ووجوه الباطنية ودماهم بالفكك به وأن يسلم إقامته إلى الملك رضوان . فذهب أولاد ابن ملاعب اليه وكانوا قد تسللوا من مصر وقالوا له قد بلغنا عن القاضي كذا وكذا والرأي أن تهاج وتحتاط لنفسك ، فان الأمر قد اشهرت واحضره ابن ملاعب فأتاه وفي يده مصحف لأنه رأى أمارات الشر ، تخلفه له على الوفاء له والنصح وأخلى سبيله ، وأعاد القاضي مكاتبه إلى ابني طاهر الصانع وأشار عليه أن يوقف ثلاثة مائة رجل من أهل سرمين ، ويوفد معهم خيلا من خيول الافرنج ورؤس من رؤسهم وبأثرن إلى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة يشكون من معاملة رضوان وأصحابه لهم وإنهم قد انقض عليهم طائفة من الافرنج نظفروا بهم وانقضوا على كل ما كانوا يمدونه اليه . ففعل الصانع ذلك منهم ، ووصل القوم إلى اقامية وقدموا إلى ابن ملاعب معهم من الخيل فقبل ذلك منهم ، وأمرهم بالمقام عنده ، وأترهم في ريبض اقامية فلما كان في بعض الليالي نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالقلعة من أهل سرمين . ودلوا الحبال واصعدوا اولئك القادمين ومصعب جماعة إلى ابن ملاعب فأحس به فقال من « انت » فقال « انا ملك الموت ، جئت لأقبض روحك » فقتله وقتل أصحابه وهرب ابنه . ولما سمع ابوطاهر الصانع خبر اقامية سار إليها وهو لا يشك أنها له فقال له القاضي « ان- وافقني والعت معي فعلى الرحب والاف أراجع من حيث جئت » ، فأبى منه وكان احد اولاد ابن ملاعب بدمشق تند طعمكين غضبانا ، فهرب إلى الافرنج واستدعاهم إلى اقامية وقال لهم ليس فيها قوت غير شهر واحد فأقاموا عليها وحاصروها فجماع أهلها الافرنج وقتلوا القاضي وابا طاهر الصانع وهو الذي اظهر مذهب الباطنية بالشام .

المعق الثاني

زيارة الملك الصليبي صاحب شامانيا لاراضي
الاسماعيلية في الشام
تقلا عن المؤرخ اللاتيني هرقل في مجموعة مؤرخي
الحروب الصليبية (١)
النص الاصل بالغة الفرنسية الوسيطة

; ; ... cont Henri vient jusques Tortosa, li Sires des Hassissins li manda par ses messages, priant que il deust passer par sa Terre, car il avoit grant talent de lui veoir et de se li a ecointer de lui, et tenir le a seignor etamis. Icest mandement plot au cont Henri, Il li ala volontires. Enssi come li ront de Tortosa; le Sir de Hassissins vint a l' encontre de lui et le recat moult honorablement, et mena par sa Terre et li mostra ses Chastians. come il vindrent devant le Chasted que l' en elimele Rast, qui est plus fort de tes ses chastlaus, il demanda au Cont « Font vos Homes enssi Obelssant a voc come les miens sont amei sort ameins? » les Conte respondi Oill. Le Seigneur des Haisissins « il ne feroient mie aïot vesire comandement come lemione feroient lesmiens comandemens, et Je le vos feral veoir? » il teneit une toaille en sa main. si lor fist mestre, etc cïaus, qui estoient le Chastel, se comencierent a laisser choir en contre val, et se briserent le cos. Quant le Cont Henri vit ce, il li preiaque il ne feist plus. Il lor fist Syne, et il se tindrent. puis entrerent ou Chastel dont ii avoit

Eracles. Cl. R.H.C. - H.Occ., t. II, p. 210. (١) انظر

وللتفاصيل من تاريخ هرقل: نظار المقدمة التحليلية للمصادر والمراجع



a l'entrér fer esmlu come un darty il dist au Cont. « Encore vos mostreraige coment il font mon comandenent . » Il geta un drap que il teneit en sa main , dont il ot de ciaus homes , qui estoient devant la port , si ferirent trois ou quatre , et furent mors . Le Conte Henri il pria que il n'en feist plus .

La Conte Henri se Jorna leans . le Sir des Hassasiens li dona de biaux Joyaus . et deriches , et sur tout ce ; afia lui et tous ses homes . et afia tos les amis que il a voit de ca mer et de la la mer .

الترجمة العربية للنص

لما علم شيخ الجبل الاسماعيلي بخروج الكونت هنري صاحب شامانيا واتجاهه نحو طرطوس ، أرسل اليه يرجهه زيارة اراضى الإسماعيلية المجاورة لطرطوس . فاستجاب هنري لذلك . ولما وصل استقبله الزعيم الاسماعيلي استقبالا حسنا ومشرفا ، وصحبه إلى قلاع الدعوة ليهربه بها فيها . وأمام أحد القلاع قال له : « هل رجالك يدينون لك بالطاعة بنفس الدرجة التي يدينون لي بها رجالى ؟ فأجاب هنري « نعم » فأشار شيخ الجبل يده إلى أحد فداويته فسرطان ما الذى بنفسه من أعلى برج القاعة فسقط أسفلها ميتا . فتأثر الكونت بهذا المنظر ورجاه عدم تكرار هذا مرة أخرى . وبعد ذلك دخلوا إلى للقاعة ليشاهدوا مبادئها . فوجه هذا الشيخ حديثه إلى الكونت هنري مرة أخرى قائلا له : « سأريك إلى أى مدى ينفذ رجالى أوامرى » . فألقى بمندبله الذى كان ممسكا به فقام أحد فداويته الموجودين بالقاعة بطنن نفسه بخنجره المسموم فخر صريحا . فأعاد الكونت رجاءه للشيخ . وأخيرا ، وبعد إنتهاء الزيارة أهدى إلى الملك الصليبي هدايا قيمة ، وكذلك أهدى رجاله المرافقين له . وبعد ذلك رحل هنري إلى إنطاكية حيث استقبل بمفاوة .



الملحق اثالث

بعثة شيخ الجبل إلى الملك الصليبي عموري الأول وتفاوضها من
أجل إعفاء اسماعيلية الشام من الجزية المفروضة عليهم لصالح
فرسان المبد.

تقلا عن المؤرخ اللاتيني ولسم العموري في مجموعة مؤرخي
الحروب الصليبية (١).

النص الأصلي بلفته اللاتينية

Accidit eisdem diebus apud nos res periculosa nimis et det-
estabilis, regno et ecclesiae, usque in praesens tempus, fortasse in
perpetuum lugenda. quod ut plenius innotescat, sumendum est
altius narrationis exordium. in provincia Tyrensi, quae phoenicis
dicitur, circa episcopatum Antaradensem, est quidam populus,
castella decem habens cum suburbanis suis; est quoniam eorum,
ut saepius audivimus, quasi ad sexaginta milla, vel amplior. Hic,
non haereditaria successione sed meritorum praerogativa, magistrum
solent sibi praeficere, et eligere praecceptorem, quem, secretis anti-
lignitatum nominibus, senem vocant; euiusmodi subjectionis et obe-
dientiae vinculo, solent obligari, ut nihil sit tam durum, tam
difficile, tamque periculosum, quod ad magistri imperium, ardenti-
bus animis non aggrediantur implere. Nam inter caetera, si quos
habent principes odiosos aut genti suae suspectos dataui de suis,
vel blurbis, non considerato rei exitu, utrum evadere possit, illuc
contendit, cui manuum est; et tam pro complendo auxilium imperio

Guilaum de Tyr: Cf. R.H.C. - H. Occ., t. II PP. 905 - 906 (1)



circum et laborat, quousquē casu in junctum peragat officium, praeceptoris mandato satisfaciens. Hos tam nostri, quem Sarraceni nescimus unde nomine deducto Assassinos vocant. Hi etiam annis p[ro]p[ri]i quadringentis sarracenorum legem et eorum traditiones tanto zelo colerunt, ut respectu eorum omnes alii quasi praevaricatores judicarentur, ipsi autem legem viderentur implere. contigit autem diebus nostris, quod magistrum sibi praeceperant virum Facuadissimus subtilem. et acris valde ingenii. Hic, braeter morem majorum suorum cepit habere penes se evangeliorum libros et codicem apostolicum; quibus continuato incumbens studio miratorum christi et praeceptorum seriem, sed et apostoli doctrinam, multo labore aliquartisper quaeque, inle conficiens christi et suorum suam et honestam, cum iis quae miser et seductor Mahemet complicitatibus suis et deceptis ab eo tradiderat, coepit serdere quicquid cum lacte biberat, et prae dicti seductoris immunditias abominare Eodem quoque modo populum suum erudiens, ab observantia illius superstitionis cessare fecit, oratoria quibus antequam Fuliant dejiciens, eorum jejunia solvens, virum et suillas carnes suis indulgens. Tandem ad interiora legis dei volens procedere, virum prudentem, in consiliis providum eloquentem, et magistri sui doctrinam redolentem, nomine Boaldelle, ad dominum regem dirigit, verba secreta detentem quorum praecipuus et maximus erat articulus, quod si Fratres militiae Templi, qui castella regni eorum habebant contemina, duo milla aureorum quae singulis annis de hominibus eorum quasi pro tributo solebant assumere eis vellent remittere, et Fratrum suorum leuacep observare civitatem, ipsi ad fidem christi et baptismum converterent.



الترجمة العربية للنص

لقد حدث في عام ١٧٣٢م شيئاً خطيراً جداً وكرهه بالنسبة للمسيحية والملكية (١) مما سيظل موضع الأسف لفترات طويلة من الزمن . ولكن نغف على تفاصيل ١٠ وقع لابد وأن نرجع إلى الوراثة .

كان يقطن في مقاطعة صور في ضواحي اقية تسمى انتراد نعم تقرر من الناس يتكون عشرة حصون في بلاد الشام ، وكان عددهم يصل ستين ألفاً أو أكثر . ورغم أنه يطلق عليهم اسم « الحشيشية » إلا أننا لا نعرف مصدر هذه التسمية . وكان يطلق على زعيمهم « شيخ » ولم يكن منصبه من طريق الأثر وإنما كان بالاختيار ، بحيث إذا لم يثبت كفاءته يتم عزله واخيار آخر بدلا منه . وكان اتباءه يدينون له بالطاعة العمياء في كل ما يصدر اليهم من أوامر وفي مقابل هذا كان زعيمهم يتفانى في العمل من أجل الوصول بجماعته إلى حد الكمال . ورغم أن هذا الزعيم كان يحتفظ بقائه وطاقت بجماعته إلى حد الكمال . ورغم أن هذا الزعيم كان يحتفظ بقائه وطاقت وتقاليد أسلافه العرب ، إلا أنه كان يدرس للكتب المسيحية المقدسة وتعاليم السيد المسيح بالإضافة إلى عقائد الديانة الإسلامية ، وبذلك يكون قد جمع بين العقيدة المسيحية وبين عقيدة الدين الاسلامي .

وفي أحد الأيام أرسل هذا الشيخ مبعوثا إلى الملك الصليبي يحمل رسالة سرية يقترح فيها طلب موافقة فرسان المعبد (٢) على أن يردوا له الألفين قطعة

(١) المقصود بذلك الجريمة التي ارتكبتها فرسان المعبد باغتياهم رجل تبيخ الجبل انوفدين الى الملك الصليبي - أسامت الى الكنيسة والمسكية مما على أساس أن انك كانت مشغولاً عن سلامة وصول هؤلاء الرسل الى سيدهم .
(٢) المقصود بهم جماعة الفرسان الداوية .



الذميه التي أخذوها من أتباعه في صورة جزية سنوية تفرض عليهم مقابل أن
يظهر هو وأتباعه بالعميد والدخول في زمرة الميحيين . ولقد استقبل
الملك هذا الرسول استقبالا حافلا وأبدى موافقته على دفع هذا المبلغ من دخله
الخاص وبعد انتهاء مهمة الرسول توجه طالدا إلى بلاده . وقد أرسل الملك في
رفقته حارسين ليكونا معاونيه في طريق عودته . وهنا حدثت المفاجئة الكبرى
التي أفقدت ازدهار وتعاليم الكنيسة . إذ هجم عليه بعض من أتباع فرسان
المبيد وذبحوه بسيوفهم .

المصادر والمراجع



- بيان المختصرات الوارد ذكرها في حواشى الكتاب.
- مجموعة الحروب الصليبية .
- المخطوطات العربية .
- المصادر الاصلية الاوروبية .
- المصادر الاصلية العربية .
- المراجع الثانوية الاوروبية .
- المراجع الثانوية العربية والمعرية .
- هوالر المعارف .





بيان باختصرات الورد ذكرها في حواشي الرسالة

- A. O. L. — Les Archives de l'orient latin.
Cam. Med. Hist. — Cambridge Medieval History.
Ency Brit. — Encyclopaedia Britannica.
Encyc. of Islam. — Encyclopedia of Islam.
J. A. — Journal Asiatique.
R. L. C. - D. c. Arm. — Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens.
M. H. C. - H. occ. — Recueil des Historiens des Croisades Historiens occidentaux.
R. O. L. — Revue de l'orient Latin.



(٨)

مجموعات الحروب الصليبية

- Michaud, J., Bibliothèque des Croisades, 3 vols. London, 1852.
- Recueil des Historiens des croisades, publié par les soins de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. in 16 huge folio vols, paris, 1841 - 1906 :
- I. Historiens Occidentaux, 5 tomes (1844 - 1895),
 - II. Historiens orientaux (Arabes), 5 tomes (1872 - 1906).
 - III. Historiens Grecs, 2 tomes (1875 - 1881).
 - IV. Documents Arméniens, 2 tomes (1889 - 1906).
 - V. Lois, 2 tomes (1811 - 1843).
- Les Archives de l'orient Latin, publiées par la société de l'orient latin, 2 vols - paris, 1881 et 1887. Textes inventaires et études originales .
- Palestin Pilgrims, Text Society, 13 vols - and general Index. London, 1887 - 1897.
- Revue de l'Orient Latin, publiée sous la direction de M M. Le Marquis de Vogué et Ch. Schefer - paris, 1893-1911.

(٢)

للخطوط العربية (١)

ابن أبي سرور (ت ١٠٢٨ هـ / ٦١٩ م) محمد بن أبي سرور زين الدين البكري:
«عيون الاخبار ونزهة الابصار» - دار الكتب المصرية - رقم
٧٧ تاريخ .

ابن ايك (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) أبو بكر بن عبد الله:
١ - كنز الدرر وجامع الفهر ٩ ج - دار الكتب المصرية - رقم
٤٦٦٣ تاريخ « تصوير شمسي » .

٢ - در التيجان وغرر تواريخ الارمان - دار الكتب المصرية
برقم ٤٤٠٩ تاريخ .

ابن بهادر (عاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) محمد بن محمد
بن بهادر: «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر» - دار الكتب
المصرية - رقم ٢٣١٩ تاريخ - تصوير شمسي - .

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩) جمال الدين أبو الحسن يوسف:
«التمل الصافي والمعروف بعد الوافي» - ج ٥ - دار الكتب
المصرية - برقم ٢٣٥٥ تاريخ .

ابن دقاق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر
الغلائي: «الجمهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين» - دار الكتب
المصرية - برقم ١٥٧٢ تاريخ .

(١) اشرفنا في حواشي الرسالة الى المخطوط (بوردنة) والمورد به (لوحة) والمطبوع
به (صفحة) تيسيرا لكل منهم .



ابن العديم (ت ٦٩٦ هـ / ١٢٩٧ م) كمال الدين ابى حفص عمر بن أحمد بن هبة الله :

١ - زبدة الحلب في تاريخ حلب د - دار الكتب المصرية - رقم ٩٦١٩ تصوير شمسي .

٢ - د بنية الطاب في تاريخ حلب د - دار الكتب المصرية - رقم ١٥٦٦ ح تص: برشمسي .

ابن قاضي شبة (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) بدر الدين ابى الفضل عهد بن أبوبكر: ه الدر الثمين في سيرة نور الدين ه دار الكتب المصرية - رقم ٩٤٠٢ ح تصوير شمسي .

الاصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين عهد بن عهد بن حامد :

١ - البستان الجامع لتواريخ أهل زمان د - جامعة الدول العربية - ميكروفيلم رقم ٢٨٧ تاريخ .

٢ - نصرقة التظرة وعصرة الفطرة ه تصوير شمسي .

المينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥٩ م) بدر الدين أبو عهد محمود بن أحمد بن موسى :

د عقد الجمان في تاريخ أهل زمان د - ٢٣ ج في ٦٩ مجلد - دار الكتب المصرية برقم ١٥١٤ تاريخ تصوير شمسي .

النويرى (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد : د نهاية الارب في فنون الادب د - ٥٥ مجلد - دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف طامة - تصوير شمسي .

الخزرجى : (غير معروف تاريخه وقاته) جمال الدين علي بن الحسن الخزرجى: د المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك د ٢ ج - دار الكتب المصرية برقم ٣٨٦٣ تاريخ .

فؤرخ مجهول : شفاء القلوب في مناقب بنى أيوب جامعة الدول العربية رقم ٢٩٤ تاريخ .

(۳)

المصادر الاصلية الاجنبية

- Ambroise**, The Crusades of Richard Lion — Heart — Translated from old French by M J. Hubert. New-Yorw: 1047.
- Annales de Terre Sainte** 1095 - 1291, Publiées par R. Rohricht et G. Raynaud, in A.O.L., II, pp 477 - 467.
- Brocardus**, Directorium ad passagium Faciendum Ed. R.H.C. - Doc. Arm. t.II, Paris, 1896 (pp 363-310).
- Burchard of Mount Sion**, A Description of the Holy Land (A.d: 1230), translated from the original Latin by A. Stewart. London, 1896. Cf. Palestine Pilgrims' Text Society, XII, pp. 1-136.
- Eracles**, L'Eracles Empereur et sa Conquete de la Terre d' Outremer. Ed. R.H.C. - H, Occ, t.II, Paris, 1859, pp. 1-481.
- Fabri, F.**, The Wanderings of Brother Felix Fabri (circa 1480-1483 A.d), translated by A. Stewart, 2vols, London, 1893. Cf. Palestine Pilgrims' Text Society, IX, London, 1897.
- Guillaum de Tyr**, Historia Resum in Partibus transmarinis Gestarum. Ed. R.H.C. - H. Occ., t. I, Paris, 1859, pp. 490 - 1130.
- Hagenmayer, H. (Ed)**. Chronologie de L'Histoire dep Royaume de Jerusalem Regne de Bouldouini (1101-1118). Cf. R.O.L, t. XI, Paris, 1880.
- Hayton**, La Flor des Estolres de la Terre p'Orient. Ed. R.H.C. - Doc. Arm. t. II, Paris, 1896, pp. 55-361.



Methoum, Comt de Gorigos, Table Chronologique. Ed. R.H.C.-Dec. Arm., t.I, Paris, 1869, pp. 471-490.

Joinville, Jean de, Histoire de Saint Louis

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية للكتاب المذكور، وهو تحت اسم «مذكرات
 جوانفيل : القديس لويس - حياته وحملاته على مصر والشام - ترجمة الدكتور
 حسن حبشي - القاهرة ١٩٦٨ .

Mattew of Westminster, The Flowers of History, 2 Vols. London, 1835.

Matthieu d'Edesse. Extraits de La Chronique. Ed. R.H.C.- Doc Arm. t.I., Paris, 1898, pp. 3-550.

Michel le Syrien, Extrait de la Chronique de Michel le Syrien. Ed. R.H.C.- Doc. Arm., T; I, Paris, 1869, pp. 309 - 409.

Polo, Marco, The Travels of Marco Polo the Vention. London, 1917.

Rappin de Thoyras, The History of England, translated from the old English by M.A Tindal. London, 173.

Roger of Wendover, Flowers of History, 2 Vols. London, 1849.

Rothelin, Continuation de Guillaum de Tyr dite du Manuscrit de Rothelin (1229-1161). Ed. R.H.C.-H. Occ., t. II. 189. pp. 489-63 .

Sanuto, Marino, Secrets for the Crusades to Help them to Recover the Holy Land, Written in A.D1111. part XI of Book- III, translated by A. Stewart. London, 1896. Cf. Palestine Pilgrims' Text Society, vol. II, pp. 1-71.

Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum, translated in to English by Somerset de Chair: London; 1836.

Chronique de Terre Sainte, Les Gestes des Chiprois. Ed. R.H.C.- Doc. Arm., t. II, Paris, 1869. pp. 65-871.

(٤)

المصادر الاصابة العربية

ابن الاثير الجزرى (ت ٦٢٠ / ٥ ١٧٢٤ م) أبو الحسن أبي الكرم . الملقب
عرا الدين :

١ - الكامل في التاريخ - ١٣ ج - القاهرة ٣٠١ : ٥ / ١٨٨٣ .

٢ - التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل - تحقيق عبدالقادر
طلحات - القاهرة ١٩٦٣ .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩ / ٥ ٣٧٧ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :

مذهب رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار في غرائب الامصار ،
وعجائب الاسفار - ٢ ج - القاهرة (بولاق) ١٩٣٤ - ١٩٢٧ .

ابن تفرى بردى (ت ٨٧٤ / ٥ ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن بن ، سف :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ٩ ج - القاهرة ١٣٤٨ -
١٣٦١ / ٥ ١٩٢٩ - ١٩٤٢ .

ابن جبير (ت ٦١٤ / ٥ ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الاندلسي :

رحلة ابن جبير - قام على نشره وليم رايت - الطبعة الثانية - ليدن
(بريل) ١٩٠٧ .

ابن الجوزى د سبط ، (ت ٦٥٤ / ٥ ١٢٠٧ م) أبو المظفر شمس الدين
يوسف ابن قزأغلى :

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - ج ٨ - حيدر اباد الدكنن -
الهند ١٩٥١ .

ابن الجوزى (ت ٤٩٧ / ٥ ١٢٥٢ م) جمال الدين أبي الفتح عبد الرحمن :
تليس ابليس - القاهرة ١٩٢٨ .



ابن حوقل (مائى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أبى للقاسم
النفيعى :

صورة الأرض - ليدن (بريل) ٢١٩٢٨ م .

ابن خلدون (ت ٥٨٠٨ / ١٤٠٦ م عبد الرحمن مجد :

العبر ودبوان المبتدأ والخمر فى أيام العرب والعجم والعبير ومن
عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر - ٧ ج - القاهرة (بولاق)

٥١٢٨٤ .

ابن خلكان (ت ٦٨١ / ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم :
وفيات الأيمان وانباء ابناء زمان - ٢ ج - القاهرة (بولاق)

٥١٢٩٩ .

ابن الشحنة (ت ٨٩٠ / ١٤٨٥ م) أبو الفضل مجد بن الشحنة الحلبي :

الدر المنجذب فى تاريخ حاب - بيروت ١٩٠٩ .

ابن شداد (ت ٩٢٢ / ١٢٣٦ م) القاضى بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن
رافع :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية بسيرة صلاح الدين . القاهرة

٥٣١٧ .

ابن الفرات (ت ٩٠٧ / ١٥٠١ م) ناصر الدين مجد بن عبد الرحيم بن على :
تاريخ الدول والملوك تحقيق د. حسن مجد التمايع - ٣ ج -

البصرة ١٩٦١ - ١٩٧٠ .

ابن القلانسى (ت ٥٥٥ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزه بن اسعد بن على بن محمود :
ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ .



ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمرو القرشي :

البداية والتهذيب في التاريخ - ١٤ ج - القاهرة ١٣٥١ - ٣٥٨ هـ
 ابن منقذ (ت ٨٤٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر اسامة بن مرشد :
 كتاب الاعتبار - اعنى بتصحيحه هورتبغ - ليون (بريل)
 ٠ ١١٨٨٤

ابن الوردي (ت ٧٦٩ هـ , ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر :

تمة المختصر في اخبار البشر ، ويعرف بجاريخ ابن الوردي - ٢ ج -
 القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٨٦٨ م) .

ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) جمال الدين محمد بن سالم :
 منجرج الكروب في اخبار نبى ايوب - نشر وتحقيق الدكتور جمال
 الدين الشيال - ٣ ج - القاهرة ١٩٠٣ - ١٩٦٠ ، ١٠ ج ٤ ، ٥
 نشر د. حسنين محمد ربيع القاهرة ١٩٧٢ - ١٩٧٧ .

أبو الشامسة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٩٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين :
 الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية - ج - القاهرة -
 ١٢٨٧ ٠ ١٢٨٨

أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن علي :

١ - تقويم البلدان - باريس ١٨٩٠ .
 ٢ - المختصر في اخبار البشر ويعرف بجاريخ أبو الفدا - ٤ ج -
 القسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

- البغدادي (ت ٥٤٧٠ / ١٠٢٩ م) عبد القادر بن طاهر بن محمد :
 الفرق ١- مع الفرق - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد -
 القاهرة ٩١٠ .
- البنداري (ت ٥٦٤٣ / ١٢٤٥ م) الفتح بن علي بن عبد البنداري الاصفهاني :
 مختصر تواريخ آل سلجوق - تحقيق هوتسما - ليدن ١٨٨٩ م .
 أبو اليمن العليمي (ت ٥٩٢٧ / ١٢٢١ م) أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد :
 الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل - ٢ ج القاهرة ١٩٢٨ م .
 الذهبي (ت ٥٧٤٨ / ١٣٤٨ م) أبو عبد الله محمد بن احمد عثمان تأيماز
 شمس الدين :
 « العبر في اخبار من غير » تحقيق صلاح الدين المنجد - ٥ ج -
 الكويت ١٩٦٣ .
- الجبلي (ت ٥٧٧١ / ١٠٧٠ م) تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن الحسن :
 و طبقات الشافعية الكبرى - ٦ ج - القاهرة ١٣٧٤ م .
 الشهرستاني (ت ٥٥٤٨ / ١١٥٣ م) محمد بن عبد الكريم :
 كتاب الملل والنحل - ٣ ج - القاهرة ١٣٦٨ م / ١٩٤٠ م .
 الصفدي (ت ٥٧٦٤ / ١٢٦٣ م) صلاح الدين أبو الصفا ، خليل بن الدين
 ابيك :
 « الوافي بالوفيات - ج ١ » استنبول ١٩٣١ م .
 الاصطخرى (ماش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) أبو اسحق
 ابراهيم بن محمد :
 « المسالك وللمالك - ليدن ١٩٦٧ م .
 الاصفهاني (ت ٥٩٩٧ / ١٢٠١ م) عماد الدين بن محمد حامد :



- ١ - الفتح القسوى فى الفتح القدى تحقيق محمد محمود صبيح - القاهرة ،
 ٢١٩٦٥ .
- ٢ - تاريخ دولة آل سلجوق - القاهرة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م .
- العمري (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٤٨ م) شهاب الدين أبو العباس المعروف بأبن فضل
 اقه :
- مسالك الابصار فى مالک الامصار - ج١ - نشرة المرحوم احمد زكى -
 لقاهرة ١٠٤٢ هـ - ١٩٢٤ م .
- العماد الحنبلى (ت ١٠٨٠ هـ - ١٧٨٣ م) أبو الفلاح عبد الحمى بن على بن محمد :
 شذرات الذهب فى اخبار من ذهب - ج ٩ - القاهرة ٩٣١ :
- الزوينى (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود :
 ١ - آثار البلاد واخبار العباد - نسخة فى مجلد طبع جوتنجن ،
 لها مقدمة باللغة الألمانية للاستاذ وستنفلد غونا - جوتنجن
 ٨١٨ م .
- ٢ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نسخة فى مجلد طبع
 جوتنجن لها مقدمة بالألمانية لذات الكتاب - جوتنجن ١٨٤٩ م .
- الفقلاشندى (ت ١٢١ هـ / ١٤١٨ م) احمد بن على بن احمد عبد الله :
 صبح الاعشى فى صناعة الانشا - ج ١٤ - القاهرة ١٩١٣ -
 ١٩٢٠ م / ١٣٢١ - ١٣٣٨ هـ .
- الكتيبى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر بن احمد د الرحمن فخرى الدين :
 فوات الوفيات - ج ٢ - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - القاهرة
 ١٩٥١ .
- المريزى (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢٦ م) تقي الدين احمد بن على :



١ - السلوك لمعرفة دول الملوك - الجزء ان الأول والثاني إلى عام ٧٤١م -
نشره وعلق عليه الدكتور عبد مصطفي زياده - القاهرة ١٩٣٤ -
١٩٤٧ .

٢ - العاظم الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - الجزء الأول
تحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٩٧ .
٣ - المراعظ والاعتبار في ذكر الخطلط والآثار - ٧ ج القاهرة
١٩٧٠ .

المنيقي (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) أبو فراس بن
جوشن .

فصل من اللفظ الشريف لمناقب راشد الدين ستان - اعنى باشره
المستشرق جويارد بالمجلة الاسوية ، العدد السابع من المسلسل السابع
١٨٧٧ م .

الانصارى الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٢ م) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن
أبي طالب :

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر - ليزج ١٩٧٢ م .

اليونيني (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) موسى بن محمد بن احمد قطب الدين :

ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - ٢ ج - الهند ١٩٥٥ .

تاج الدين شاهنشاه بن أبوب .

مصنجات من كتاب التاريخ لصاحب حماه : القاهرة ١٣١٧ هـ .

الحمدى (غير معروف تاريخ الوفاة) محمد بن مالك أبي الفضل .

كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة - نشر عزت العطار .



ياقوت الحوى (ت ١٦٦٥ / ٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب
شهاب الدين :

معجم البلدان - ٤ ج زهرس - ليزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ م
تاريخ مجهول مراد الاطلاع على اسماء الامكنة والبلاغ - ٦ ج - قام بشره
ت ج . جوينبولى T.G.J. Juynboli طبع بريل ١٨٦٤ م

(٥)

المراجع الثانوية الأوربية

Adams, G. B.,

The History of England From the Norman Conquest to
the Death of John (1066 — 1216) . London, 1905.

Al — Muscati, Jawad,

Hassan Bin Sabbah, translated to English by Abbas. H.
Hamdahi. Pakistan, 1958.

Anthony, J. C. Keer,

The crusades. London, 1965.

Archer, T. A.,

The Crusades : The story of the Latin Kingdom of Jeru-
salem. U. S. A, 1894.

Barracough, G,

The Origins of Modern Germany, Oxford, 1947.

Bell, M. I.,

A short History of the papacy. London, 1911.

Belloc, H.,

The Crusades, London, 1912.

Berchem, Max Van,

Epigraphie des Assassins de Syrie., cf. J. A. 9th series,
ix, 1897.

Besant, W. & Palmer, E.,

The History of Jerusalem. London, 1888.



- Bréhier, L. .**
L'Église et L'orient au Moyen Âge. Paris, 1907.
- Brook, Z. N. .**
Methuens History of Medieval and Modern Europe (From
9:1 to 1'98), 8 Vols London, 1908.
- Brown, E. .**
A Literary History of Persia, 4 Vols. Cambridge, 1957.
- Bryce J.**
The Holy Roman Empire, London, 1907.
- Calthrop, M. .**
The Crusades. London (N D.).
- Campbell, G. .**
The Crusades. London, 1900.
- Chalandon, F. .**
Histoire de la première croisade. Paris. 1924.
- Chapman, C. E. .**
A History of Spain. Newyork. 1931.
- Conder, C. R. .**
1 — The Latin Kingdom of Jerusalem. London, 1907.
2 — The City of Jerusalem. London, 1909.
- Davis, H. W. .**
England Under the Normans and Angevins (1066-1279).
London, 1928.
- Delrémery, M. C. .**
Nouvelles Recherches sur les Ismaéliens ou Bathiniens
de syrie CF. J. A Se serce, t. V, 1800, pp. 60 - 76 .



- Delaville Le Roulx, J.,**
Les Hospitaliers en Terre Sainte et a chypre (1100 —
1307). Paris, .904.,
- Doda ; G.,**
Histoire des Institutions Monarchiques dans Le Royaume
Latin de Jerusalem (1099 - .290). Paris, 1894.,
- Duruy, M. V ,**
Histoire du moyen age. Paris , 1902 .
- Dussaud , R .,**
La Syrie Antique et Médiévale. paris , 1931.
- Eyre, E .,**
European Civilization , 3 Vols . London, 1925.
- Funck – Brentano, F.,**
1 — The Middle Ages. London, 1922.
2 — Les Croisades . Paris, 1934.
- Grousset , R ..**
1 — Histoire des Coisades, 3 v.1s. Paris, 1t48.
2 — L' Empire du levant . Paris , 1949.
- Guyard , M. S .,**
Un Grand Maitre des Assassins au temps de Saladin .
CF. J. A. 7s. Serie, t. IX, 1977, pp. 3.4 — 489.
- Hallam, H.,**
View of the state of Europe during the Middle ages.
London, 1 71 .
- Hardwick , C.,**
A History of Christian Church ; Middle age . London ,
1881.



- Hitti, P., and others,
The Arab Heritage. New Jersey, 1944.
- Hollis, G.,
Between Two Crusades A Table of A. D. 187,
London (N. D.).
- Irega N.,
Histoire des Croisades. Paris, 1924.
- Jenkins, C.
Medieval European History. London, 1924.
- King, E. J.,
The Knights Hospitallers in the Holy Land, London,
1931.
- L'ABBÉ de Vertot,
Histoire de l'ordre des chevaliers, 2 vols. Paris, 1691.
- Lacroix, P.
1 — Vie Militaire et Religieuse au Moyen ages. Paris,
1873.
2 — La Chevalerie et les Croisades. Paris, 1837.
- Lamb, H.,
The Crusades. London, 1831.
- Landens, B.,
The Middle ages, 3 Vols U. S. A, 1924.
- Lane - Poole, St.,
Saladin. New York, 1898.
- Lewis, B.,
1 — Saladin and the Assassins, reprinted From the
B. S. O. A. S. t. xv. London, 193.



- 2 — **The Sources For the History of the Syrian Assassins**, t. xxvii. London, 1952.
3 — **The Arabs in History** London, 1966.

Lewis, T.,

A History of Germany. New York, 1889.

Ludlow, J. M.,

The Age of the Crusades. London. 1839.

Maimbourg, P.,

Histoire des croisades, 4 vols — Paris, 1834 — 1835.

Maycock, A.,

The Papacy, London, 1908.

Michaud, M.,

A History, of the crusades, tr. from the original by W. Robson, 3 vols. London, 1852.

Michelet, M ;

History of France . tr. by Walter K. Kelly, 3 vols. London. 184 - 5.

Michels, M.,

précis de l' Histor du Moyen age. Paris, 836.

Oman, C.,

History of England, Oxford, 1895.

Ostrogorsky, C.,

History of the Byzantine State. Oxford, 195

Painter, S.,

A History of the Middle Ages. New York, 1954

Peters, M. A .

A Short History of France. London 1944.

- Previté — Orton, C. W.,**
The History of Europe From 1188 — 1388, 3 vols.
London, 197.
- Robrieht, R.,**
Geschichte des Konigreichs jerusalem (1100 — 1.91).
Innsbruck, 1893.
- Runciman, S.,**
A History of the Crusades, 3 vols — London, 1957.
- Schlumberger, G.**
Campagnes du Roi Amaury Ier. de jérusalem en Egypte,
au XII. siècle. Paris, 1906.
- Setton, K. M. (Ed.),**
A History of the crusades, 2 vols. Philadelphia, 1958.
- Stephenson, C.,**
Mediaeval History. New york, 1943.
- Stevenson, W. B.,**
The Crusades in the East. London, 1907.
- Stubbs, W.,**
Germany in the Early Middle Ages (476 — 1 50).
New york, 1908.
- Thatcher, J. and Schwill, F.**
1 - Europe in the Middle Ages- London, 1907.

2 -A Source Book for Mediaeval History - New york, 1905.
- Thompson, J. - W.,**
History of the Middle Ages (300 - 1500). London,
1931.



Tout, T. F.,

- 1 — France and England : Their Relations in the Middle Ages and Now. Manchester, 1922.
- 2 — The Empire and the papacy (918 — 1.73). London, 1904.

Treese , H. ;

The Crusades. New york, 1964.

Trevelyan , G. M. ,

History of England. London, 1943.

Watson , C. M. ,

The Story of jerusalem. London, 1912.

Woodhouse , F. C. ,

Military Religious order of the Middle Ages . London , 1874.

Vasillev , A. A. ,

Histoire de l' Empire Byzantin, 2 vols. Paris, 1932.

- Cambridge Mediaeval History, 8 vols, Cambridge, 1911-1936.
- Encyclopaedia (A. N.) of World History , U. S. A. , 1968.
- Encyclopaedia Britannica, 23 vols, London; 1968.
- Encyclo paedia international, 20 vols, Canada, 1970.
- Encyclo paedia of I slam, 5 vols, London, 1931 - 1965.

(٦)

نراجع ثانوية العربية والاصرية

- احمد البيلى (الدكتور) : حياة صلاح الدين الايوبى - القاهرة ١٩٢٦ .
- احمد محمد مجاهد مصباح : محاضرات في تاريخ الفرق الاسلامية - القاهرة ١٩٥٢ .
- اسماعيل سرهنك : حقائق الاخبار عن دول البحار - ج ٣ - القاهرة ١٩٧٣ .
- او ميرنو : صفحة في تاريخ العلاقات بين غلبا لم الثانى النورماندى وصلاح الدين - مجلة كاية الاداب باسكندرية - المجلد الخمس (١٩٤٩) .
- باركر (ارنست) : الحروب انصليبية - ترجمة الدكتور لسيد الباز العرينى - القاهرة ١٩٦٠ .
- بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البطيكي - ج ٥ - بيروت ١٩٤٩ .
- جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :
- ١ العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى - الاسكندرية ١٩٦٣ .
- ٢ المدوان الصايبي على بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٧١ .
- ٣ ملاحظات مصر بالممالك المعجارية الايطالية في ضوء وثائق صبح الاعشى - مطبوعات جمعية الاثار بالاسكندرية - الاسكندرية ١٩٧١ .
- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :
- ١ - تاريخ الاسلام السياسى والدينى والنقاسى - ج ٤ - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٢ - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب - القاهرة ١٩٥٨ .

حسن حبشى (الدكتور) :

- ١ - الحرب الصليبية الأولى - القاهرة ١٩٤٢
- ٢ - نور الدين والصليبيون - القاهرة ١٩٤٨ .
- حمزة بن علي : الفاليد في مذهب أهل التوحيد - لقاهرة ١٩٠٣ .
- سمرانج (لى) : فلسطين في العهد الإسلامى - ترجمة محمود الممارى بيروت
 ١٩٧٠ .

سعيد عبد المتاح ماشور (الدكتور) :

- ١ - الحركة الصليبية - ٢ ج - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢ - أوروبا المصور الوسطى - ٢ ج - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣ - العصر المماليكى في مصر والشام - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٤ - الناصر صلاح الدين - القاهرة ١٩٦٥ .
- ٥ - للظاهر بيبرس - القاهرة ١٩٦٣ .
- السيد الباز العربى (الدكتور) : مصر في عهد الأيوبيين - القاهرة ١٩٦٠
- السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) .
- ١ - طرابلس الشام في التاريخ الإسلامى - القاهرة ١٩٦٧ .
- ٢ - دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامى ببيروت
 ١٩٧٠ .

- السيد عبد صافق عبد حسين الصدر . الشيعة - بغداد ١٩٣٢ .
- السيد محمد المزراوى : فرقة النزارية - القاهرة ١٩٧٠ .
- سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور) : مقدمة تحليلية لكتاب سياسة تامة لناصر
 خسرو - مجلة تراث الانسانية - المجلد التاسع - القاهرة ١٩٧١ .
- سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى - القاهرة ١٩٢٨ .

- سلم هشى: الاسماعيليون عبر التاريخ - بيروت ١٩٦٩ .
 طه أحمد شرف: دولة النزارية - القاهرة ١٩٥٠ .
 طه شرف وحسن ابراهيم حسن: عيد الله المهي - القاهرة ١٩٤٧ .
 مادل العسوا . منتخبات اسماعيلية - دمشق ١٩٥٨ .
 عارف قاصر :
- ١ - خمس رسائل اسماعيلية - سوريا ١٩٥٦ .
 ٢ - سنان وجراح الدين - بيروت ١٩٥٦ .
- عباس محمود العقاد: فاطمة الزهراء والفاطميون - القاهرة (بدون تاريخ) .
 عبد الفتاح العريان: قرامطة العراق - القاهرة ١٩٧٠ .
 عبد المنعم ماجد (الدكتور) : العلاقات بين الشرق والغرب - بيروت ١٩٦٦ .
 على بيومى : قيام الدولة الايوبية في مصر - القاهرة ١٩٥٢ .
 على سامى النشار (الدكتور) : نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى - الاسكندرية
 ١٩٦٦ .
- عمر أبو النصر: قلعة لوت « الحسن بن الصباح » - بيروت ١٩٧٠ .
 عمر كما توفيق (الدكتور):
- ١ - مملكة بيت المقدس الصليبية - القاهرة ١٩٥٨ .
 ٢ - المؤرخ ولیم الصورى - مجلة كلية الاداب بالاسكندرية
 المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٧ ض ١٨١ - ١٠٠ .
- زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى -
 تحقيق الدكتور محمد حسن ، حسن أحمد محمود - القاهرة ١٩٥٢ .
 زكى عبد التواب: دولة الخناجر والحشيش - لبنان (بدون تاريخ) .

- فيليب حتى : ١ - تاريخ سورية ولبنان فلسطين - ٢ ج - ترجمة الدكتور
كامل البازحي - بيروت ١٩٥٩ .
- ٢ تاريخ العرب ٢٠٠ ج - ترجمة الدكتور محمد مبروك نافع
القاهرة ١٩٥٢ .
- فيليب حتى وآخرون : تاريخ العرب (مطول) - ٢ ج - بيروت ١٩٦٥ .
كامل مصطلح الشيبيني (الدكتور) : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى
مطلع القرن الثاني عشر الهجري - بغداد ١٩٦٦ .
- لويس (بير نارد) : أصول الاسماعيلية - ترجمة خليل جلو - جاسم الرجب -
القاهرة (بدون تاريخ) .
- لويس شيخو : جولة في الدولة العلوية - مجلة المشرق - العدد السابع - السنة
٢٢ - بيروت ١٩٢٤ .
- محمد احمد عبد المال (الدكتور): دولة بني أيوب في اليمن - رسالة ماجستير
لم تطبع - الاسكندرية ١٩٦٨ .
- محمد جمال الدين الشيبان (الدكتور) :
- ١ - تاريخ مصر الإسلامية - ٢ ج - الاسكندرية ١٩٦٧ .
- ٢ مجموعة الوثائق الفاطمية - القاهرة ٩١٨ .
- محمد جمال الدين سرور (الدكتور) . دولة الظاهر بيبرس في مصر - القاهرة
١٩٦٠ .
- محمد راغب محمد بن هشام الطباخ الحلبي : اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء -
٦ ج - حلب ١٩٢٣ .
- محمد عبد الله عنان :
- ١ - تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة - القاهرة ١٩٢٦ .



- ٢ - تراجم اسلامية - القاهرة ١٩٤٧ .
- محمد كامل حسين : طاقة الاسماعيلية - القاهرة ١٩٥٩ .
- محمد كرد علي : خطط الشام - ج٠ - دمشق ١٩٢٥ .
- محمد محمود مرسي الشيخ (الدكتور) : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها - الاسكندرية ١٩٧٢ .
- مصطفى غالب (الدكتور) :
- ١ - تاريخ الدعوة الاسمايلية منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر - سوريا ١٩٥٣ .
- اعلام الاسمايلية - بيروت ١٩٦٤ .
- ميشيل آماري : المكتبة الصقلية - ج٠ - لبيزح ١٨٧٥ .
- ميشيل لباد : الاسماعيليون والدولة الاسمايلية ؛ صياغ - بيروت ١٩٦٢ .
- يحيى هاشم حسن فرغل : نشأة الآراء والمذاهب والفروق الكلامية - القاهرة ١٩٧٢ .
- يسرى الجوهرى (الدكتور) : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية - ١٩٧٠ .
- دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية - المجلد الثالث ج٠ ٥٢ ج٠ ٧٧ ، المجلد الرابع ج٠ ٢٩ طبعة ١٩٧٢ .

